مجلة القُلزم العلمية

ISSN: 1858-9766

علمية دولية مُحكمة ربع سنوية - تصدر بالشراكة مع كلية المنهل للعلوم - السودان

في هذا العدد:

■ **أثر سياسة الإنفاق العام على معدلات التضخم في السودان خلال الفترة (1992-2021م)**
أ. إدريس طه إدريس الحاج محمد
أ.د. حسن بشير محمد نور

■ **الحج وأثره على الأوضاع الداخلية في الحجاز**
د. محمد عبد الكريم محمد الكنيدري

■ **أسس تجديد النحو التعليمي عند شوقي ضيف والمجامع اللغوية العربية**
أ. مشلب محمد الشين
د. صلاح رمضان عبد الله عبد البين

■ **الموقف العثماني من الأطماع الأوروبية في الحجاز (1900 - 1920م)**
أ. عبد العزيز بن حماد الحماد

■ **An overview of the assessment of earthquake events in Sudan**
Dafalla Wadi
Randa Ali
Mohammed Abdallsamed
Ibrahim Malik
Abdelmottaleb Aldoud

■ **Studying some Physical Properties of Water by using Magnetic Resonance**
Dr. Mohammedain Adam Allhgabo Belal
Dr.Ali Salih Ali Salih
A.Marwa Abdelrhem Eldow Noraldeen

العدد التاسع والثلاثون - صفر/ربيع الأول 1446 - سبتمبر 2024م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية - السودان

مجلة القُلـزم العلمية

Al Qulzum Scientific Journal

الخرطوم: مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر 2024
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السـوق العربي الخرطوم - السودان

ردمك: 1858-9766

هيـئة التحـــرير

رئيس هيئة التحرير
أ. د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير
د. عوض أحمد حسين شبّا

نائب رئيس التحرير
د. سلمى عثمان سيد أحمد

سكرتير التحرتير
أ. عثمان يحيى

التدقيق اللغوي
أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر (السودان)

الإشراف الإلكتروني
د. بهية فهد الشريف (المملكة العربية السعودية)

التصميم والإخراج الفني
خالد عثمان أحمد

الهيئة العلمية والإستشارية

- أ.د. يوسف فضل حسن (السودان)
- أ.د. علي عثمان محمد صالح (السودان)
- أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي (المملكة العربية السعودية)
- أ.د. أبوبكر حسن محمد باشا (السودان)
- أ.د. محجوب محمد آدم (السودان)
- أ.د. سيف الإسلام بدوي (السودان)
- أ.د. صبري فارس كماش الهيتي (السودان)
- أ.د. محمد البشير عبد الهادي (السودان)
- د. علي صالح كرار (السودان)
- د. سامي شرف محمد غالب (اليمن)
- د. محمد عبد الرحمن محمد عريف (جمهورية مصر العربية)

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة
تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية على العنوان التالي
هاتف: +249121566207 - +249910785855
بريد إلكتروني: rsbcrsc@gmail.com
السودان - الخرطوم - السوق العربي
عمارة جي تاون - الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات العلمية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان، بالشراكة مع أكاديمية المنهل للعلوم - السودان. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات العلمية والمواضيع ذات الصلة بدول حوض البحر الأحمر.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة، وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين .
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة، وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات، مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

القارئ الكريم،،،

السلام عليك ورحمة الله وبركاته.. نطل على حضراتكم من نافذة جديدة من نوافذ النشر العلمي وهي مجلة القلزم العلمية، ونحن في غاية السعادة والمجلة تصل عددها التاسع والثلاثون بفضل الله تعالى ومنته.

القارئ الكريم:

هذه المجلة تصدر بالشراكة مع أكاديمية المنهل للعلوم وهي إحدى الأكاديميات السودانية الفنية التي وضعت بصمات مميزة في مسيرة البحث العلمي، وهذا العدد هو التاسع والثلاثون في إطار هذه الشراكة العلمية التي تأتي في إطار استراتيجية مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر في تفعيل الحراك العلمي والبحث داخل السودان وخارجه.

القارئ الكريم:

هذا العدد يشتمل على عدد من البحوث والدراسات المهمة ذات البعد النظري والتطبيقي ولضمان نجاح واستمرارية هذه المجلة بإذن الله تعالى نأمل أن يرفدنا الباحثون بمزيد من اسهاماتهم العلمية المميزة مع خالص الشكر والتقدير للجميع..

أسرة التحرير

المحتويات

الموضوع	الصفحة
أثر سياسة الإنفاق العام على معدلات التضخم في السودان خلال الفترة (1992-2021م) أ. إدريس طه إدريس الحاج محمد أ.د. حسن بشير محمد نور	9
الحج وأثره على الأوضاع الداخلية في الحجاز د. محمد عبد الكريم محمد الكنيدري	35
أزمة المثال عند الأصوليين د. علي محمد علي الصادق	77
الإدارة بالاستثناء وأثرها علي الأداء المؤسسي **(دراسة على عينة من شركات التعدين إقليم النيل الأزرق ـ السودان خلال العام 2024م)** أ. هادية خالد القاضي حمراوي د. التجاني الغزالي عبد الخير محمد	95
أسس تجديد النحو التعليمي عند شوقي ضيف والمجامع اللغوية العربية أ. مشلب محمد الشين د. صلاح رمضان عبد الله عبد البين	117
الموقف العثماني من الأطماع الأوروبية في الحجاز (1900 - 1920م) أ. عبد العزيز بن حماد الحماد	139

القياس بين البصريين والكوفيين **(دراسة تطبيقية في بعض القراءات القرآنية)** أ. حليمة محمد علي عثمان د. صلاح رمضان عبد الله عبد البين	181
التدافع اللغوي في عصر العولمة **(اللغة العربية نموذجاً)** أ. إكرام عبد الرازق إبراهيم العيسابي د. هناء محمد أبوزينب محمد	223
An overview of the assessment of earthquake events in Sudan Dafalla Wadi Randa Ali Mohammed Abdallsamed Ibrahim Malik Abdelmottaleb Aldoud	237
Studying some Physical Properties of Water by using Magnetic Resonance Dr. Mohammedain Adam Allhgabo Belal Dr.Ali Salih Ali Salih A.Marwa Abdelrhem Eldow Noraldeen	275

أثر سياسة الإنفاق العام على معدلات التضخم في السودان خلال الفترة (1992-2021م)

أ. إدريس طه إدريس الحاج محمد
طالب دراسات عليا، جامعة النيلين
أ.د. حسن بشير محمد نور
جامعة النيلين

المستخلص:

تناولت الورقة أثر سياسة الإنفاق العام على معدلات التضخم في السودان خلال الفترة 1992-2021م مقارنة ببعض المتغيرات الاقتصادية الأخرى التي تضم معدل نمو الناتج، الإنفاق التنموي، الإنفاق الجاري، سعر الصرف، عجز الموازنة، تمثلت مشكلة الدراسة في التساؤل التالي: كيف تؤثر آلية الإنفاق العام في السودان على معدلات التضخم في المدى الطويل؟، يهدف البحث الي الكشف عن آلية عمل الحكومة في تحقيق أهدافها في السيطرة على التضخم من خلال رسم وتوجيه الإنفاق الحكومي وتأثيره على متغيرات الاقتصاد الكلي بالشكل الذي يحقق أهداف الاقتصاد الكلي ,افترضت الدراسة هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق العام بشقية الجاري والاستثماري ومعدلات التضخم السنوية ,اتبعت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي بالإضافة الي التحليل القياسي من خلال تطبيق نموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الزمنية المتباطئة ARDL باستخدام برنامج (E-views12),توصلت الدراسة الي وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق الجاري والتضخم في الأجل الطويل والقصير مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق الجاري بمقدار 1% يعمل على زيادة معدل التضخم بمعدل (5.7%) ألا أن معدل زيادة التضخم في الأجل القصير (12.7%) أي أن معدل التغيري أكبر نتيجة للعوامل النفسية , وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق التنموي والتضخم في الأجل الطويل والقصير مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق التنموي بمقدار 1% يعمل على انخفاض بمعدل التضخم بمعدل (9.5%) إلا أن معدل التغير في الأجل القصير اقل حيث بلغ معدل انخفاض التضخم (2.1%).. عكست النتيجة واقع الإنفاق العام في السودان حيث أن جل الإنفاق يتم توجيهه لأغراض الإنفاق الجاري،.كانت اهم توصيات البحث: على الدولة ترشيد النفقات العامة وذلك عبر توجهها نحو القطاعات التي لها أثر إيجابي وقيمة مضافة للاقتصاد الوطني والذي ينعكس على زيادة الناتج وتخفيض معدلات التضخم.

الكلمات المفتاحية: التضخم، الإنفاق العام، الإنفاق التنموي، الإنفاق الجاري، عجز الموازنة، سعر الصرف.

The impact of public spending policy on inflation in Sudan during the period (1992-2021AD)

A. Idrees Taha Idresse Al haj Mohamed
Prof. Hassan Bashir M Nour

Abstract:

the Paper approaches the effect of public expenditure on the inflation rates in Sudan during the period 1992-2021 compared with some other variables. The Research problem is the question: how the expenditure policy mechanism in Sudan influences the inflation rates? The Research is aimed at exposing the mechanism of government work in achieving its goals of controlling inflation through drawing and directing public expenditure. The Study hypotheses is that there is a statistical significance in public expenditure of both parts of investment and current and the annual inflation rates. The Study adopts the analytical descriptive method in addition to the standard analysis through the ARDL. The Study concludes to the presence of a positive relationship of statistical significance between current expenditure and inflation in the long and short run, indicating a change in current expenditure of 1%, increasing inflation rate at (5.7%). Presence of an inverse relationship of statistical significance between development expenditure and inflation in the long and short run at the rate of (9.5%). The result is that most expenditure is directed towards current expenditure. The most important recommendation of the Research is that the State must rationalize public expenditure by directing it towards the sectors having positive effect and additional value for national economy to reflect the increase of GDP and reduce inflation rates.

Key word: inflation, public expenditure, development expenditure, current expenditure, budget deficit, exchange rate.

المقدمة:

تعد ظاهرة التضخم من الظواهر الاقتصادية المؤثرة على الأداء الاقتصادي وتعاني منها الدول المتقدمة والنامية بدرجات متفاوتة، مما يترتب عليه اختلاف الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي تفرزها الضغوط التضخمية على اقتصاديات تلك الدول مع تباين في قدرتها على معالجة هذه الآثار.

مشكلة الدراسة:

يعد الإنفاق العام أحد أهم الأدوات الأساسية للسياسة المالية، والتي يمكن من خلالها التأثير على مستويات الطلب الكلي، والتشغيل، ومعدلات التضخم اعتمد السودان خطط الإصلاح الاقتصادي وتبني سياسات التصحيح الهيكلي، إلا أن مشكلة الاقتصاد السوداني في تزايد معدلات التضخم ومعالجة اختلالات الاقتصاد ظلت كما هي عكس هذا الواقع مشكلة واضحة في السياسة الإنفاقية في السودان، فتوجيه وحجم مكونات الإنفاق العام لها أثر في الاستقرار الاقتصادي وكبح جماح التضخم.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

كيف تؤثر آلية الإنفاق العام في السودان على معدلات النمو الاقتصادي في المدى الطويل؟

هل يمكن الاعتماد على سياسة الإنفاق العام للتأثير على معدلات التضخم ومن ثم الوصول إلى الإصلاح الاقتصادي المنشود؟

وللإجابة على مشكلة الدراسة طرحت الدراسة مجموعة من الأسئلة الفرعية التالية:

1. هل يؤثر الإنفاق العام على معدلات التضخم؟
2. ما هو دور الإنفاق العام في الحد من تفاقم التضخم ؟

أهمية الدراسة:

من الناحية النظرية:

وضع إطار واضح لمعالجة تفاقم حدة التضخم من خلال سياسة الإنفاق العام.

من الناحية التطبيقية:

- تشخيص مشكلات الاقتصاد السوداني في الفترة محل الدراسة والتي قد يسهم الإنفاق العام في علاجها.
- توضح الدراسة مدي مساهمة الإنفاق العام في الحد من مشكلة التضخم والركود في السودان.

أهداف الدراسة:

يهدف البحث للتعرف على أثر سياسة الإنفاق العام تحقيق أهداف الاقتصادي الكلي في السودان من خلال الأهداف الفرعية الأتية

- الكشف عن آلية عمل الحكومة في تحقيق أهدافها في السيطرة علي التضخم من خلال رسم وتوجيه الإنفاق الحكومي وتأثيره على متغيرات الاقتصاد الكلي بالشكل الذي يحقق أهداف الاقتصاد الكلي
- توضيح إمكانية أن يمثل الإنفاق العام أحد عوامل التضخم فضلاً عن كونه أحد طرق العلاج.

فرضيات الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على الفرضية الرئيسية التالية:

سياسات الإنفاق الحكومي تتباين في قدرتها على تحقيق أهداف التحول الاقتصادي المنشود.

ويشتق منها الفرضية التالية:

هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق العام بشقية الجاري والاستثماري ومعدلات التضخم السنوية.

منهجية الدراسة:

يعتمد هذا البحث في سبيل تحقيق أهدافه على المنهجين الوصفي والتحليلي من خلال تطبيق نموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الزمنية المتباطئة ARDL باستخدام برنامج (E.Views12)على بيانات سلسلة زمنية تغطي الفترة من 1992-2021م.

حدود الدراسة ومجال الدراسة: حدود الدراسة السودان، مجاله الدراسة الفترة من 1992-2021م

البحث مقسم الي ثلاثة محاور:

المحور الأول: مفهوم الإنفاق وتقسيماته المحور الثاني مفهوم التضخم، المحور الثالث التحليل القياسي لأثر سياسة الإنفاق العام ومتغيرات على التضخم

مفهوم النفقة العامة:

أن المتتبع لتطور مفهوم الدولة يتلمس درجة تطورها في النشاط الاقتصادي وكيف انعكس هذا الدور في أدوات السياسة المالية والذي امتد الي مفهوم ودور النفقة العامة ؛ تختلف الأدبيات

الاقتصادية في رؤيتها حول النفقة العامة وإنتاجيتها, واكدوا علي ضرورة حصر وتقييد الإنفاق الحكومي في أضيق الحدود وان لا يتعدى حماية المواطنين من الأخطار الخارجية والداخلية وتأدية بعض خدمات المرافق العامة ولم يكتفوا بذلك بل طالبوا بأن يكون هذا الإنفاق حيادياً.فلا يجوز للنفقة العامة أن تبادر بالتأثير على متغيرات النشاط الاقتصادي وتجسد عبارة (ساي) أن أفضل النفقات اقلها حجماً خير ما يعبر عن هذا الاتجاه. وقد كان اعتقاد الكلاسيك بان امتناع الحكومة عن التدخل في النشاط الاقتصادي وتركه للقطاع الخاص ذلك لأنه الأقدر على تحقيق اعلي مستويات الرفاهية الاقتصادية للمجتمع. ومع حتمية وقوع الآثار الاقتصادية والاجتماعية وتطور الفكر الاقتصادي تأكد استحالة تحقيق النفقة المحايدة وأصبح علي الدولة أن تعدل من سياستها الاتفاقية وان تستخدم العديد من أنواع النفقات العامة حتى تؤتي هذه السياسة الأثر المرغوب فيه على كافة متغيرات النشاط الاقتصادي وتحول دون وقوع أثآر غير مرغوب فيها. (دراز، ص 409-411)

موقع الإنفاق العام من السياسة المالية:

تعد سياسة الإنفاق العام جزءَ مهماً من أجزاء السياسة المالية وذلك لما لها من تأثير على الطلب الكلي وبالتالي تظهر هنا أهمية سياسة الإنفاق العام كأداة من أدوات السياسة الاقتصادية التي يمكن استخدامها لتحقيق الاستقرار الاقتصادي الكلي، حيث تختلف أثآر هذا الإنفاق تبعاً لاختلاف طبيعة هذا الإنفاق. (عايب، 2010، ص 100)

تصنيف الإنفاق العام:

من خلال تتبع دور الدولة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي وتزايد تدخلها في الحياة الاقتصادية أدي الي تنوع الإنفاق الحكومي نتيجة تعدد أوجهه فبالإضافة الي التقسيمات الإدارية هناك معايير اقتصادية تمكن من تتبع الأثار المباشرة لهذا الإنفاق أخذه في الاعتبار معيار التأثير في الدخل الوطني (الإنفاق الحقيقي والإنفاق التحويلي)؛ معيار الجهة الموجه اليها الإنفاق العام (الإنفاق الجاري والإنفاق الاستثماري) وفي إطار اقتصاد السوق فإنه يمكن التمييز بين إنفاق لا علاقة له بالسوق كالأمن والدفاع، وإنفاق يمثل شروط وجود السوق كالإنفاق اللازم للحفاظ على النظام العام والخدمات الإدارية، وهناك إنفاق يكمل اقتصاد السوق ويهدف الي إشباع حاجات مشتركة مع نشاط القطاع الخاص كالتعليم والصحة، هناك إنفاق يمثل تدخلاً في الاقتصاد كإنتاج الدولة لسلعة مادية. (عايب، 2010، ص 107)

الإنفاق الحقيقي والإنفاق التحويلي:

وينقسم الإنفاق الحقيقي الي: الإنفاق الجاري – الإنفاق الاستثماري(التنموي):

أ- الإنفاق الجاري:

تهدف الدولة من خلال الإنفاق الجاري الي ضمان السير الحسن للمرافق العامة وتشتمل على نفقات السلع والخدمات ومرتبات الموظفين بالإضافة الي سداد فوائد الديون العامة على اختلاف أنواعها. (شهاب، 1988، ص 51-52) وتعد الأجور والمرتبات هي الجزء الأهم من الإنفاق الجاري حيث يتميز هذا الصنف من الإنفاق باستمرار النمو، وتأتي نفقات التشغيل والصيانة في المرتبة الثانية حيث يتضمن عنصر التشغيل إيصال الخدمات الي المواطن بينما يتضمن عنصر الصيانة مجموعة كبيرة من الأنشطة المطلوبة للإبقاء على البنية الأساسية في حالة جيدة. (عايب، 2010، ص 108)

ب- الإنفاق الاستثماري:

الي جانب النفقات الجارية توجد نفقات تخصص لتكوين راس المال وهي التي تستهدف تحقيق زيادة في الموجودات الثابتة للمجتمع، كالنفقات التي تصرف على بناء المصانع, (حشيش، 1983، ص 66) والتي تهدف الي تنمية الثروة القومية وتشتمل على إجمالي تكوين راس المال الثابت والتحويلات الرأسمالية الي الداخل (شهاب، 1988، ص 52)، وتستهدف برامج الاستثمار العام في الدول النامية تعظيم صافي القيمة الحالية للمشاريع التي ترتبط بمدي توفر الموارد والقيود المؤسسية والاقتصادية الكلية، وعادة ما تحدد برامج الإصلاح الهيكلي وما يجب منحه الأولوية من المشروعات. وتعتمد الدول بصفة عامة على الإيرادات العادية لتمويل الإنفاق العام الجاري وعلى القروض العامة لتمويل الإنفاق الاستثماري، كما انه لمواجهة الأزمات الاقتصادية المستعصية تلجأ الدولة لإنعاش الاقتصاد عبر الضغط على الإنفاق العام الجاري والتوسع في الإنفاق الاستثماري.

النوع الثاني من تصنيف الإنفاق يتناول: الإنفاق التحويلي وهذا النوع من الإنفاق ليس له مقابل مباشر وهو يهدف الي تحويل مبالغ نقدية من فئة الي أخري في المجتمع ولا تؤدي الي زيادة مباشرة في الإنتاج المحلي, بل تساهم في إعادة توزيع الدخل (المحجوب، 1992، ص 92), أي أن هذا الإنفاق من شأنه نقل القوة الشرائية من فئة الي أخري, لذلك فهي تهدف الي أحداث تغيير في نمط توزيع الدخل, وينقسم الإنفاق التحويلي الي ثلاثة أنواع حيث يهدف الإنفاق التحويلي الاجتماعي الي السعي نحو تحسين الأحوال المعيشية لبعض الطبقات الاجتماعية الفقيرة ,كما انه قد تأخذ شكلاً اكثر عمومية يتمثل في مساهمة الحكومة في أنظمة التأمينات الاجتماعية ,أما الإنفاق التحويلي الاقتصادي فيشمل الإعانات التي تمنحها الدولة لبعض المشروعات الإنتاجية بقصد تخفيف التكلفة والحد من ارتفاع الأسعار ,ويمكن أن تأخذ شكل إعانات تصدير أو استيراد لتشجيع بعض القطاعات ,وتعد برامج الدعم من اهم برامج الإنفاق التحويلي التي تهدف الي خفض السعر الذي يدفعه المستهلك, ومعظم أشكال الدعم أما أن تكون من النوع المجاني (الصحة والتعليم في بعض البلدان دعم كامل وفي بعضها جزئي)أو النوع الذي يتخذ شكل أسعار تقل عن أسعار السوق ,ولقد بينت عدة تجارب ليس المجال هنا لذكرها أن تقديم

الدعم علي نطاق واسع امر غير صالح لان له اثر عكسي علي كفاءة تخصيص الموارد, وقد يؤدي الي اختلالات اقتصادية كلية من خلال اثره المحتمل علي الموازنة, النوع الثالث من الإنفاق التحويلي هو الإنفاق التحويلي المالي ويشمل ما تقوم به الدولة من انفاق لمباشرة نشاطها المالي ,وتتضمن أساسا فوائد الدين العام السنوية ,وقد زادت أهمية هذا الإنفاق نظراً لتضخم الدين العام في معظم الدول فإقراض الحكومة علي نطاق واسع لتمويل عجز الموازنة يمكن أن يؤدي الي زيادة أسعار الفائدة المحلية مما يرفع تكاليف الاستثمار وتكاليف الاقتراض الحكومي وهذا ما يؤدي الي إمكانية إبطاء نمو الاقتصاد مع مزاحمة القطاع الخاص علي الأرصدة القابلة للاقتراض كما أن نفقات سداد الفوائد تخضع لقوي السوق وهو ما يمكن أن يؤثر بشدة علي وضع ميزانية الحكومة , وبما أن مدفوعات الفوائد ترتبط بأسعار الفائدة في السوق فان ارتفاع معدلات التضخم يمكن أن يؤدي الي آثارا سلبية علي المستوي الاسمي لنفقات الفوائد وبالمثل فإن تخفيض قيمة العملة المحلية يمكن أن يرفع عبء الدين الخارجي الاسمي للحكومة. لقد لاحظنا أن كل من الإنفاق الجاري والإنفاق الاستثماري له تأثير مباشر على الاقتصاد الكلي من خلال تأثيرهما على المتغيرات الاقتصادية الكلية الأساسية كمعدل النمو الاقتصادي والتضخم والتشغيل. وهذا الذي تحاول الدراسة إبرازه بشكل أكثر تفصيلا في الجانب التطبيقي للدراسة دون أغفال العلاقة مع التوازن الخارجي ويسمح لنا تقسيم الإنفاق العام بالتعرف على توجه السياسة الاقتصادية للبلاد، فإذا كانت الغلبة للإنفاق الاستثماري على الإنفاق الجاري فإن هذا يعني اهتمام الدولة بتدعيم القدرات الإنتاجية، وإذا كان الاهتمام بالإنفاق الجاري فهذا يعني محاولة زيادة الطلب الكلي واستيعاب العرض الكلي (عايب، 2010، ص 110).

الإنفاق العام كسياسة اقتصادية:

هناك ثلاثة أهداف اجتماعية تسعي الدولة لتحقيقها من خلال التمويل العام والسياسة العامة تتمثل في الكفاءة والعدالة الاجتماعية، والهدف الاجتماعي الثالث هو استقرار الاقتصاد الكلي، والذي يتم التعبير عنه في تجنب التضخم والبطالة والحفاظ على استقرار النظام المالي والمصرفي ولعله أهمها. (Hillman, p. 3) لذلك نجد أن مفهوم السياسة المالية بشكل عام مرتبط بجهود الحكومة لتحقيق الاستقرار أو تشجيع مستويات النشاط الاقتصادي باتخاذ القرار المناسب لكل حالة من الحالات التي يمر بها الاقتصاد. (الواحد، 1993، ص 26)

مفهوم التضخم:

أن استقرار الأسعار يعتبر هدفاً اقتصادياً ويعد التضخم من اهم القضايا التي يُعني بها صانعي السياسة الاقتصادية ودائماً ما تستهدف تلك السياسات تحقيق أكبر قدر ممكن من الاستقرار في مستويات الأسعار وتجنب حدوث ارتفاعات كبيرة في معدلات التضخم لما يترتب على ارتفاع معدلات التضخم من تأثيرات سلبية خطيرة من أبرزها: تدهور مستويات المعيشة، وتراجع القدرة التنافسية للسلع المنتجة محلياً. (سلطان، 2018، ص 18-19)

أثر التضخم على القرارات المتعلقة بالمستقبل:

يشوه التضخم القرارات المتعلقة بالنفقات المستقبلية والقرارات المتعلقة بمستويات الإنتاج المناسبة نتيجة حالة عدم اليقين التي خلقها ارتفاع الأسعار (ضوالبيت، 2022).

آثار التضخم:

أ. على الدخل: يضر بأصحاب الدخل الثابتة بينما يستفيد منو أصحاب الدخول الناشئة عن الأرباح، الأمر الذي يؤدي الي اختلال العلاقات الاجتماعية بين الطبقات.

ب. على سعر الصرف: يؤدي إلى انخفاض قيمة العملة والعكس صحيح نتيجة زيادة الطلب على العملات الأجنبية. (التجاني، 2014، ص 32)

ج. على ميزان المدفوعات: يؤثر التضخم على ميزان المدفوعات سلبياً، لأن الدولة التي تعاني من ارتفاع أسعار منتجاتها تكون ضعيفة تنافسيا مع منتجات الدول الأقل أسعارا نتيجة لانخفاض سعر صرف العملة المحلية وبذلك تزداد وارداتها وتقل صادراتها مما يؤدي إلى عجز الميزان التجاري من ميزان المدفوعات، أو انخفاض حجم الفائض فيه.

د. على النمو الاقتصادي: التضخم يؤثر سلبيا على النمو الاقتصادي إذ أنه يؤثر سلبيا على قرارات الاستثمار ويؤخرها بسبب عدم التأكد من الأوضاع والظروف المستقبلية،ويري فريق آخر أن التضخم قد يكون دافعاً للنمو الاقتصادي، حيث أن ارتفاع الأسعار لفترة ما تعمل على زيادة الأرباح فتزيد الاستثمارات ويزيد التشغيل والتوظيف وتنخفض البطالة. (الخطيب ودياب، 2014، ص 261-262)

أنواع التضخم في السودان:

التضخم في السودان يمكن أن يكون من جانب زيادة الطلب الكلي وكذلك من جانب الإفراط النقدي وطباعة النقود لتمويل العجز المزمن للميزانية وايضا يمكن أن يكون تضخما «هيكليا» بمعني أن يكون بسبب قصور حاد في هياكل الإنتاج والإنتاجية (الطيب، 2021)ويمكن تحديد العوامل المؤثرة على معدلات التضخم عوامل داخلية وخارجية:

العوامل الداخلية:

أن اختلال أوضاع القطاع النقدي خلال فترة الدراسة تعزي أساسا الي غياب التنسيق بين السياسات المالية والنقدية والتشوهات الهيكلية في الاقتصاد والتي تعتبر من اهم عناصر برنامج الإصلاح الاقتصادي واهم أسباب التدهور الاقتصادي ونجد نتيجة لذلك أن الأسباب الرئيسية لتفاقم التضخم تكمن في الاتي:

1. التوسع في عرض النقود.

2. ارتفاع استلاف الحكومة من البنك المركزي والذي أثر بدوره على حجم التمويل المتاح للقطاع الخاص والذي أثر بدوره على النشاط الاقتصادي وبصفة خاصة على القطاعات الإنتاجية والذي بدوره أدي الي تدهور نظام سعر الصرف والذي بدوره يؤدي الي تزايد الضغوط التضخمية. (موسي، 2012، ص 260)

3. التوقعات التضخمية ويقصد بها الحالة التي تصبح بها التوقعات المستقبلية للأسعار وسعر الصرف عاملاً مهماً في تقدير التكلفة الآنية حيث يتم تقدير التكلفة الحالية على أساس سعر الصرف المتوقع ومستوي الأسعار المتوقعة في المستقبل. (صنقور، 2007، ص156) تنامي معدل ارتفاع التضخم منذ نهاية السبعينات وتفاقم عقب تغير نظام الحكم في 1989م خاصة عقب تبني سياسة التحرير الاقتصادي حيث بلغ متوسط معدل التضخم (156.96%) في عام 1992م نتيجة لرفع الدعم عن بعض السلع وتخفيض قيمة الجنيه السوداني وتوالي الارتفاع حتى بلغ (181%) في العام 1993.وانخفض في 1994 الي (114.5%) و1995م الي (64.55%) ثم عاد للارتفاع في 1996م الي (109.84%) وذلك لانفلات الانضباط في أداء الموازنة العامة والذي أدي الي ظهور عجز كبير تمت تغطيته بالاستدانة من النظام المصرفي. اعتمدت الموازنة استدانة من بنك السودان مبلغ 62 مليار على ألا يتعدى الاستحلاف الشهري 5 مليار جنيه تمت استدانة مبلغ 56 مليار خلال أربعة أشهر من بداية السنة. واستمرت سياسة الاستدانة لمقابلة العجز الناجم عن ارتفاع سعر صرف الجنيه حتى بعد استخراج النفط نتيجة الي عدم مواكبة ارتفاع تكاليف إنتاج النفط. (موسي، 2012، ص 148) أدى تعامل الحكومة مع الذهب كبديل للبترول إلى نشوء حالة غريبة من التشوهات والأزمات؛ فلكي تشتري الذهب من الأهالي بأعلى سعر توسع البنك المركزي في عرض النقود لدرجة ارتفاع التضخم وفقدان العملة الوطنية لقيمتها،وترافق ذلك مع إجراءات انكماشية تمثلت في رفع الدعم عن بعض السلع وزيادة الدولار الجمركي. كل ذلك أدى لما يمكن وصفه بالركود التضخمي. (العراقي، 2018، ص 75) شهدت الفترة من 2016-2021م ارتفاع معدل التضخم من 17.75 %في العام 2016 إلى 32.4 %في العام 2017 وإلى 63.29 %في العام 2018.ثم إرتفع متسارعا ليصل إلى 163.26 %في العام 2020 وفي العام 2021م حتى بلغ اعلي معدل في كل سنوات الدراسة 359.09 %وترجع زيادة معدل التضخم إلى الاتجاه التصاعدي العام نتيجة للإصلاحات الاقتصادية المتعددة خلال هذه الفترة. وأشار الجهاز الحكومي إلى أن سبب الزيادة هو إستمرار إرتفاع أسعار المواد الغذائية.

تطور معدل التضخم وعرض النقود وسعر الصرف وعجز الميزانية خلال فترة الدراسة 1992-2021م

جدول رقم (1)

السنة	التضخم	نمو عرض النقود	سعر الصرف	عجز الميزانية
1992	156.69	168.69	0.10	41.47
1993	181.47	89.68	0.16	24.34
1994	114.5	50.92	0.29	29.48
1995	64.55	74.14	0.58	28.18
1996	109.84	65.18	1.25	210.90
1997	48.39	36.98	1.58	218
1998	18.73	29.58	2.01	163
1999	18.89	24.63	2.53	218
2000	7.76	34.41	2.57	182
2001	4.4	24.68	2.59	250
2002	6.9	30.32	2.63	456
2003	6.25	31.24	2.61	326
2004	9.52	29.93	2.58	800
2005	8.59	46.09	2.44	1,663
2006	7.2	27.37	2.17	3,178
2007	6.21	10.31	2.02	2,508.90
2008	14.3	16.33	2.09	1,277.80
2009	11.24	23.47	2.30	4,895.50
2010	12.98	25.37	2.31	7,586.10
2011	18.08	17.90	2.67	9,121.20
2012	35.6	40.17	3.57	7,440.90

5,800	4.76	13.27	36.5	2013
3,987.50	5.74	17.00	36.9	2014
6,366.90	6.03	20.46	16.9	2015
10,918.10	6.21	29.00	17.75	2016
14,601	6.68	68.35	32.4	2017
38,112	24.33	111.83	63.29	2018
64,292	45.77	60.08	50.99	2019
198,295	54.00	88.84	163.26	2020
73,736	437.00	153.18	359.09	2021

تقارير بنك السودان والعروض الاقتصادية وزارة المالية والجهاز المركزي للإحصاء وإعداد الباحث

في الفترة من 1992 وحتى 2021م سجل ادني معدل للتضخم 4.9% في العام 2001م والتي دخل فيها إنتاج النفط كإضافة للقطاع الصناعي وشهد العام 2021م اعلي معدل للتضخم حيث بلغ 359% والذي شهد العديد من الأزمات السياسية والاقتصادية التي فاقمت الوضع وزادته تأزيماً, وتأكيداً لما ذهبت اليه الدراسة من أسباب لارتفاع التضخم نجده في نهاية فترة الدراسة حيث أثبتت التقارير الحكومية ان الاتجاه العام لمعدل نمو عرض النقود في تصاعد خلال الفترة (2017 - 2021) وأرجعت السبب الي الإرتفاع خلال العامين 2017 و2018 للزيادة في كل من التمويل الممنوح من المصارف التجارية للقطاع الخاص، التمويل المباشر للحكومة المركزية، فرق سعر شراء وتخصيص عائدات الذهب للحكومة المركزية وبند إعادة تقييم الأصول والخصوم لبنك السودان المركزي والبنوك التجارية نتيجة لتغير سعر صرف الدولار مقابل.

المحور الثالث: قياس أثر سياسة الإنفاق العام علي معدل التضخم في السودان خلال الفترة 1992-2021م:

منهجية قياس معدل التضخم:

INF=f (GR, CS, DS, BD, EX)

حيث:

INF : متغير معدل التضخم

GR : متغير معدل نمو الناتج

CS : متغير الإنفاق الجاري

DS : متغير الإنفاق التنموي

BD : تغير عجز الموازنة

EX : متغير سعر الصرف

BD : متغير عجز الموازنة

B0 : الحد الثابت في النموذج

B1, B2, B3, B4, B5: معاملات الانحدار

Ui : حد الخطأ العشوائي (البواقي).

معدل التضخم:

التحليل الإحصائي الوصفي لمتغير معدل التضخم خلال الفترة (1992-2021)

جدول (2)

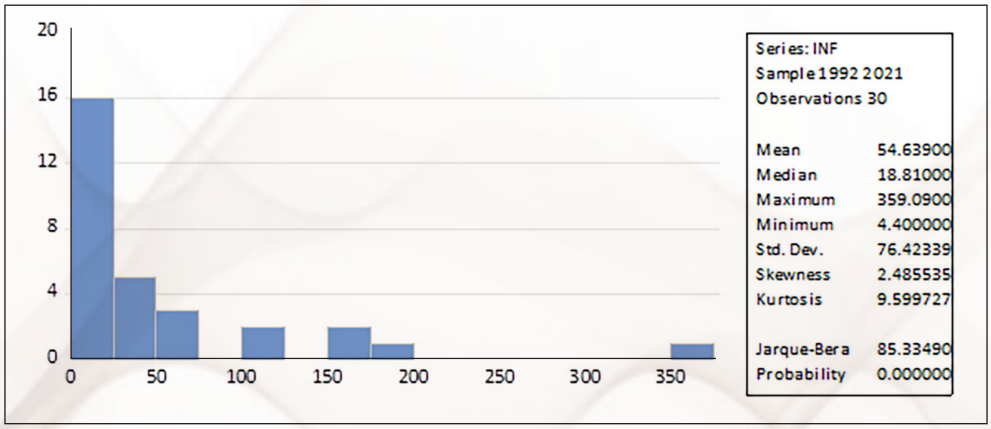

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التقدير باستخدام برنامج E.Views12

يتضح من الجدول (2) أن متوسط متغير معدل التضخم خلال فترة الدراسة بلغت نسبته (54.6) وقد بلغت ادنى قيمة له (4.4) وذلك في عام (2001) بينما بلغت اعلى معدل (359.09) وذلك في عام (2021) , كما يتضح أن معدلات التضخم خلال فترة الدراسة تباينت بشكل كبير حيث بلغت قيمة الانحراف المعياري (76.4), ويدل اختبار الالتواء على إن بيانات سلسلة بيانات معدل التضخم خلال فترة الدراسة لا تتوزع توزيع طبيعي حيث بلغت قيمة معامل الالتواء (skewness) (2.485) كما يدعم ذلك اختبار (Jarque-Bera) حيث بلغت قيمة الاختبار (85.3) بمستوى دلالة معنوية (0.0000) وهى قيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05). وفيما يلي يوضح الاتجاه العام لسلسة متغير معدل التضخم.

خلال الفترة (1992-2021)

الشكل(1)

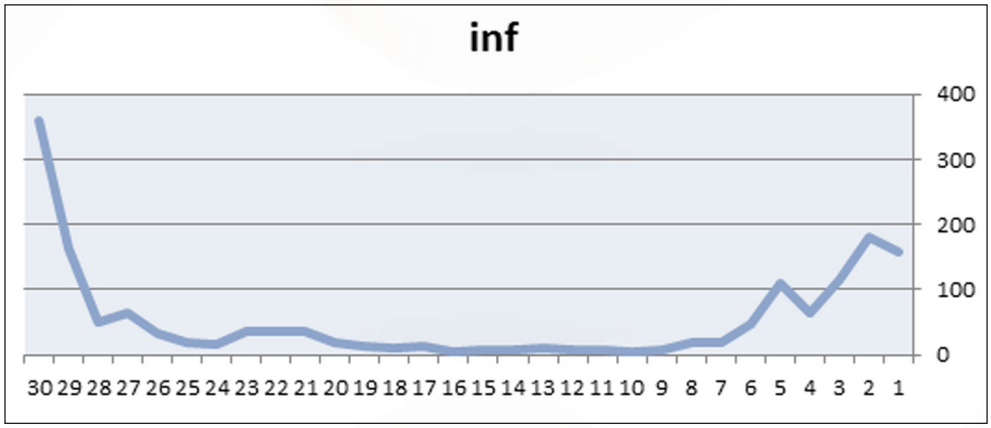

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التقدير باستخدام برنامج E.Views12

لتقدير نموذج الانحدار الذاتي (ARDL) لقياس أثر سياسات الإنفاق العام على معدل نمو الناتج اتباع الخطوات التالية:

(أولاً) اختبار استقراريه متغيرات نموذج الدراسة:

قبل تقدير نموذج الدراسة يتطلب أولا» اختبار استقراريه بيانات المتغيرات وذلك لتجنب الحصول على نتائج زائفة ولتحديد درجة تكامل كل سلسلة من السلاسل الزمنية ونظرا» لتعدد الاختبارات الإحصائية التي يمكن من خلالها الحكم على استقراريه متغيرات الدراسة سوف يتم استخدام اختبار (ديكي فولر) الموسع Augment-Dickey-fuller (ADF)) في حالة وجود قاطع واتجاه وجاءات نتائج التقدير كما هو موضح في الجدول التالي:

نتائج اختبار استقرار متغيرات نموذج أثر سياسات الإنفاق العام التضخم

جدول رقم (3)

المتغيرات	الرمز	اختبار جذر الوحدة		مستوى الاستقرار
		P.value	قيمة الاختبار (ADF)	
1/ معدل التضخم	INF	0.0000	-6.321	الفرق الأول
2/ معدل نمو الناتج	GR	0.0000	-6.636	الفرق الأول
3/ الإنفاق التنموي	DS	0.0000	-6.335	الفرق الأول
4/ الإنفاق الجاري	CS	0.0000	-6.336	الفرق الأول
5/ سعر الصرف	EX	0.0011	-3.97	الفرق الأول
6/ عجز الموازنة	BD	0.0000	-7.375	الفرق الأول

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التقدير باستخدام برنامج E.Views12

يتضح من الجدول رقم (3) واعتمادا على اختبار ديكي-فولر الموسع(ADF) نجد أن جميع المتغيرات متغيرات غير ساكنة في مستوياتها ولذلك تم إعادة إجراء اختبار جذر الوحدة مرة أخرى لهذه المتغيرات فكانت النتائج تشير لوجود سكون لهذه المتغيرات بعد الفروق الأولى عند مستوى معنوية 5% وهذا يعنى أن السلاسل الزمنية لهذه المتغيرات متكاملة من الدرجة الأولى I(1) وهذه يعتبر مؤشر جيد لفاعلية استخدام اختبار الحدود للتكامل المشترك بين السلاسل الزمنية لمتغيرات الدراسة.

نتائج التكامل المشترك لنماذج الدراسة:

بعد الحصول على نتائج اختبار جذر الوحدة للسلاسل الزمنية لمتغيرات الدراسة وتحديد درجة التكامل لكل متغير من متغيرات نموذج الدراسة والاستنتاج بأن السلاسل الزمنية لهذه المتغيرات ساكنة في الفرق الأول ولذلك فأن الاختبار المناسب لذلك هو اختبار الحدود للتكامل المشترك(Bounds Test) للتحقق من وجود علاقة تكاملية طويلة الأجل بين المتغيرات موضع الدراسة، وتم إجراء اختبار التكامل المشترك وفيما يلي جدول يوضح نتائج اختبار الحدود للتكامل المشترك لمتغيرات نموذج الدراسة خلال الفترة (1992-2021):

نتائج اختبار التكامل المشترك لمتغيرات النموذج

جدول (4)

F-statistic	K	Value
4.55	5	
11 Bound	10 Bound	Significance
3	2.08	10%
3.38	2.39	5%
3.73	2.7	2.5%
4.15	3.06	1%

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التقدير باستخدام برنامج E-Views 12

ويتضح من الجدول(4) أن قيمة إحصاء F بلغت (4.55) وبمقارنتها بالقيمة الحرجة عند مستوى معنوية 5% نجدها أكبر من الحد الأعلى من جدول critical value Bounds والبالغة (3.38) وبالرجوع إلى قاعدة اتخاذ القرار يتم رفض فرض العدم القائل بعدم وجود تكامل مشترك وقبول الفرض البديل القائل بوجود تكامل مشترك بين متغيرات نموذج الدراسة الأول وأن هنالك علاقة توازنية طويلة الأجل تتجه من المتغيرات المستقلة إلى المتغير التابع (معدل التضخم).

نتائج تقدير نموذج تصحيح الخطأ (ARDL):

في ضوء ما تقدم فأن وجود التكامل المشترك بين المتغيرات، يعنى إمكانية تصميم نموذج انحدار ذاتي ذي الفجوات الموزعة (ARDL) على هيئة فروق أولى للمتغير مع إضافة فجوة زمنية متباطئة، ولذلك ستقوم الدراسة باستخدام نموذج تصحيح الخطأ بوصفة احدى التقنيات الإحصائية الحديثة في تحليل سرعة التكيف والتلاؤم للمتغيرات عبر الزمن وقد تم تقدير النموذج باستخدام منهجية (ARDL). وذلك وفقا» للخطوات التالية:

أولاً: تحديد فترة التباطؤ المناسبة:

يستدعي قبل تقدير النموذج وفقا» لمنهجية (ARDL) الى تحديد درجة التأخير المناسبة له ولذلك تم تحديد فترة الإبطاء المثلى للمتغيرات في نموذج الدراسة باستخدام متجه انحدار ذاتي غير مقيد Autoregerssive Model Unrestricted vector من خلال استخدام خمسة معايير مختلفة لتحديد الفترة وهي (الشوربجي، 2009، ص 157):

- معيار خطأ التنبؤ النهائي (FPE). -معيار معلومات أكيكلى (AIC). -معيار معلومات شوارز(SC).- معيار معلومات حنان كوين(Q-H).

- معيار نسبة الأمكان الأعظم(LR). ووفقا» لهذه المعايير يتم اختيار فترة الإبطاء المثلى التي تمتلك لأقل قيمة والتي أجمعت عليه معظم المعايير، ويوضح الجدول (5) نتائج اختيار فترة الإبطاء المثلى لمتغيرات الدراسة.

HQ	SC	AIC	FPE	LR	Log L	Lag
11.29399	11.49632	11.20836	0.002	NA	-145.3	0
5.898615	7.314975	5.299228	8.67e-06	171.515	-29.53	1
6.363502	8.993884	5.250355	1.29e-05	38.0	7.12	2
3.044846*	.889249*	.417938*	1.29e-*	51. 67*	94.8	3

* تشير الى العدد الأمثل لفترات الإبطاء الذي يختاره كل معيار عند مستوى معنوية (5%).

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التقدير باستخدام برنامجE-Views12

ويتضح من الجدول(5) أن العدد الأمثل لفترات الإبطاء لنموذج أثر سياسات الإنفاق العام على معدل التضخم والذي أجمعت علية كل المعايير المستخدمة والذي يمتلك أقل القيم للمعايير جميعها هي (ثلاثة فترات زمنية) وبالاستناد الى عدد فترات الإبطاء المحددة وفق معايير اختيار فترة الإبطاء لجميع المتغيرات، كما تم إجراء كل العمليات الحسابية الخاصة بتقدير النموذج باستخدام برنامج E-views12، وذلك على النحو التالي:

- تقدير العلاقة في الأجل الطويل:

فيما يلي جدول(6) نتائج تقدير نموذج ARDL لتقدير العلاقة بين كل من (الإنفاق الجاري، الإنفاق التنموي، معدل نمو الناتج، سعر الصرف، عجز الموازنة) كمتغيرات مستقلة ومعدل التضخم كمتغير تابع في الأجل الطويل خلال الفترة (1992-2021)

نتائج تقدير نموذج الدراسة للأجل الطويل خلال الفترة(1992-2021)

جدول (6)

Prob.	t-Statistic	Std. Error	Coefficient	Variables
0.0334	2.746985	20.28604	5.72545	LOG (CS)
0.0196	-3.159516	2.991155	-9.450604	LOG (DS)
0.1259	1.777182	0.353172	0.627651	GR
0.0192	-3.176339	1.223344	-3.885755	LOG (EX)
0.0366	2.679586	0.783690	2.099965	LOG (BD)
0.0298	2.835198	91.68650	259.9494	C

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة بناء على مخرجات برنامج E.Views12

يتضح من الجدول(6) والذي يبين نتائج تقدير نموذج ARDL للأجل الطويل ما يلي:

- وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق الجاري والتضخم في الأجل الطويل حيث بلغت قيمة معامل الانحدار (5.72545) ((LOG(CS)) وبمستوى دلالة معنوية (0.0334) وهى قيمة أقل من مستوى المعنوية (5%) مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق الجاري بمقدار 1% يعمل على زيادة معدل التضخم بمعدل (5.7%).

- وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق التنموي والتضخم في الأجل الطويل حيث بلغت قيمة معامل الانحدار (9.450604- ((LOG(DS)) وبمستوى دلالة معنوية (0.0196) وهى قيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق التنموي بمقدار 1% يعمل على انخفاض بمعدل التضخم بمعدل (9.5%).

- وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين سعر الصرف والتضخم في الأجل الطويل حيث بلغت قيمة معامل الانحدار (3.885755-) ((LOG(EX)) وبمستوى دلالة معنوية (0.0051) وهى قيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يشير الى أن التغير في سعر الصرف بمقدار 1% يعمل على انخفاض التضخم بمعدل (3.9%).

- وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين عجز الموازنة ومعدل التضخم في الأجل الطويل حيث بلغت قيمة معامل الانحدار (2.099965) ((LOG(BD)) وبمستوى دلالة معنوية (0.0366) وهى قيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يشير الى أن التغير في عجز الموازنة بمقدار 1% يعمل على زيادة في معدل التضخم بمعدل (0.04%).

- عدم وجود علاقة بين معدل نمو الناتج والتضخم في الأجل الطويل حيث بلغت قيمة معامل الانحدار (0.627651) ((GR) وبمستوى دلالة معنوية (0.1259) وهى قيمة اكبر من مستوى المعنوية (0.05).

تقدير العلاقة في الأجل القصير:

فيما يلي جدول(7) نتائج تقدير نموذج ARDL لتقدير العلاقة في الأجل القصير خلال الفترة (1992-2021)

نتائج التقدير للأجل القصير خلال الفترة (1992-2021)

جدول (7)

Prob.	t-Statistic	Std. Error	Coefficient	Variables
0.0003	7.579248	1.681172	12.74202	DLOG(CS)
0.0001	-9.631729	0.220603	-2.124791	DLOG(DS)
0.0006	-6.480361	0.024393	-0.158075	D (GR (-1))
0.0183	3.214567	0.149956	0.482043	DLOG(EX)
0.0362	0.6268	0.512283	0.070838	DLOG(BD)
0.0002	-7.981926	0.082010	-0.654601	CointEq (-1) *

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة بناء على مخرجات برنامج E.Views12

R-squared=0.94 Adjusted-squared=0.88

يتضح من الجدول (7) والذي يبين نتائج تقدير نموذجARDL للأجل القصير ما يلي:

- وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق الجاري ومعدل التضخم في الأجل القصير حيث بلغت قيمة معامل الانحدار (12.74202) ((DLOG(CS) وبمستوى دلالة معنوية (0.0003) وهى قيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق الجاري بمقدار 1% يعمل على زيادة معدل التضخم بمعدل (12.7%).

- وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق التنموي ومعدل التضخم في الأجل القصير حيث بلغت قيمة معامل الانحدار (-2.124791) ((DLOG(DS) وبمستوى دلالة معنوية (0.0001) وهى قيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05) مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق التنموي بمقدار 1% يعمل على انخفاض معدل التضخم بمعدل (2.1%).

- وجـود علاقـة عكسـية ذات دلالـة إحصائيـة بـين معـدل نمـو الناتـج ومعـدل التضخـم في الأجـل القصـير حيـث بلغـت قيمـة معامـل الانحـدار (0.158075-) (((1-) GR) D) وبمسـتوى دلالـة معنويـة (0.0006) وهـى قيمـة أقـل مـن مسـتوى المعنويـة (0.05) مـما يشـير الى أن التغـير في معـدل نمـو الناتـج بمقـدار 1% يعمـل عـلى انخفـاض معـدل التضخـم بمعـدل (0.2%).

- وجـود علاقـة طرديـة ذات دلالـة إحصائيـة بـين سـعر الـصرف ومعـدل التضخـم في الأجـل القصـير حيـث بلغـت قيمـة معامـل الانحـدار (0.482043)) ((DLOG(EXوبمسـتوى دلالـة معنويـة (0.0183) وهـى قيمـة أقـل مـن مستوى المعنويـة (0.05) مـما يشـير الى أن التغـير في سـعر الـصرف بمقـدار 1% يعمـل عـلى زيـادة معـدل التضخـم بمعـدل (0.5%).

- وجـود علاقـة طرديـة ذات دلالـة إحصائيـة بـين عجـز الموازنـة ومعـدل التضخـم في الأجـل القصـير حيـث بلغـت قيمـة معامـل الانحـدار (0.070838) ((DLOG(BD) وبمسـتوى دلالـة معنويـة (0.0362) وهـى قيمـة أقـل مـن مسـتوى المعنويـة (0.05) مـما يشـير الى أن التغـير عجـز الموازنـة بمقـدار 1% يعمـل عـلى زيـادة معـدل التضخـم بمعـدل (0.07%).

- يـدل معامـل التحديـد (Adjusted R-squared) والـذي بلغـت قيمتـه (0.88) عـلى أن المتغـيرات المفـسرة تفـسر مـا نسـبة (88) % مـن التبايـن الـكلى في المتغـير التابـع (التضخـم) بينـما النسـبة الباقيـة مـن هـذه التغـيرات (12%) يمكـن إرجاعهـا إلى متغـيرات أخـرى غـير مضمنـة في النمـوذج وهـذه النتيجـة تـدل عـلى جـودة توفيـق نمـوذج (ARDL) في تفسـير العلاقـة بـين المتغـيرات التفسـيرية و خـلال فـترة الدراسـة.

- كـما تشـير نتائـج التقديـر الى أن معامـل تصحيـح الخطـأ ذو إشـارة سـالبة وذات دلالـة معنويـة حيث بلغـت قيمـة معامـل تصحيـح الخطـأ (0.654601-) ((1-) CointEq) بمسـتوى معنويـة (0.0000) وهـذه القيمـة تعنـى أن الانحـراف عـن العلاقـة التوازنيـة في المـدى الطويـل يتـم تصحيحـه سـنويا» بنسـبة (65) % للوصـول الى التـوازن.

خامسا». فحص صلاحية النموذج:

يتـم تشـخيص صلاحيـة النمـوذج وذلـك التأكـد مـن أن النمـوذج مسـتوفي لعـدد مـن المعايـير القياسـية اللازمـة لعمليـة الاسـتدلال الإحصـائي السـليم، أهـم هـذه المعايـير تحقـق الافتراضـات الخاصـة بحـدود الخطـاء وهـي أن مشـاهدات حـد الخطـاء العشـوائي مسـتقلة عـن بعضهـا البعـض ومتماثلـة التوزيـع وإنهـا موزعـة توزيـع طبيعـي بوسـط صفـر وتبايـن وبمـا أن غـير معلـوم يتـم اسـتخدام البواقـي بـدلا عنـه. وفيـما يـلي نتائـج تحقـق تشـخيص صلاحيـة النمـوذج وذلـك عـلى النحـو التـالي:

1- نتائج اختبار الارتباط الذاتي للبواقي:

الجدول (8) يوضح نتائج اختبار فرضية العدم القائلة إن البواقي غير مستقلة عن بعضها البعض باستخدام اختبار مضاعف لاجرانج(Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test:) حيث تشير النتائج إلى عدم وجود دليل إحصائي لقبول فرضية العدم ؛ بمعنى عدم وجود ارتباط ذاتي للبواقي حيث بلغت قيمة مستوى المعنوية لاختبار (Obs*R-squared) (0.0645) وهي قيمة أكبر من 5%.

اختبار مضاعف لاجرانج لفرضية استقلال البواقي لنموذج

جدول (8)

Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test:

F-statistic	0.992009	Prob. F (1,15)	0.3650
Obs*R-squared	4.469992	Prob. Chi-Square (1)	0.0645

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة بناء على مخرجات برنامج E.Views12

2- نتائج اختبار فرضية ثبات التباين:

للتأكد من تجانس الخطأ تم استخدام اختبار(Breusch-Pagan-Godfrey). والجدول التالي يوضح نتائج الاختبار ولذي يشير إلى عدم وجود دليل إحصائي لرفض فرضية عدم الأمر الذي يعني عدم وجود مشكلة اختلاف تباين حيث بلغت قيمة الاختبار(Obs*R-squared) (0.7376) وهي قيمة أكبر من مستوى الدلالة المعنوية (5)%.

اختبار Breusch-Pagan-Godfrey لفرضية عدم ثبات التباين

جدول رقم (9)

F-statistic	0.414138	Prob. F (20,6)	0.9359
Obs*R-squared	15.65765	Prob. Chi-Square (20)	0.7376
Scaled explained SS	1.046275	Prob. Chi-Square (20)	1.0000

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التحليل باستخدام برنامج E.Views21

نتائج اختبار التوزيع الطبيعي لحد الخطأ:

تم التحقق من شرط التوزيع الطبيعي باستخدام اختبار (Jarque-Bera) وكانت النتائج تشير إلى أن قيمة الاختبار بلغت (0.8549) بقيمة احتمالية (0.648) وهي أكبر من مستوى الدلالة 5% وتشير هذه القيمة على أن البواقي تتبع التوزيع الطبيعي عند مستوى معنوية 5%.

اختبار التوزيع الطبيعي لحد الخطأ

جدول(10)

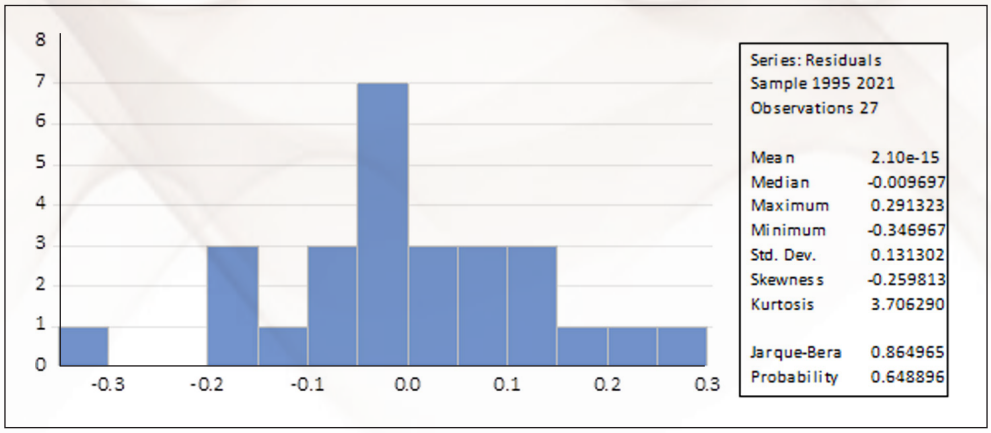

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة بناء على مخرجات برنامج E.Views12

اختبار مدى ملائمة النموذج المقدر:

للتحقق من مدى ملائمة وتحديد وتصميم النموذج المقدر من حيث الشكل الدالي تم استخدام اختبار Ramsey وأظهرت النتائج الموضحة في الجدول(11) الى أن القيمة الاحتمالية المقابلة لإحصائية F-statistic بلغت (0.7068) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) مما يدل على قبول فرضية العدم التي تنص بصحة الشكل الدالي للنموذج المقدر.

نتائج اختبار Ramsey لمدى ملائمة الشكل الدالي للنموذج المقدر

جدول رقم (11)

Probability	Value	df	
0.7068	0.398435	5	t-statistic
0.7068	0.158750	(1, 5)	F-statistic
0.3583	0.843924	1	Likelihood ratio

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التقدير باستخدام برنامجsweiV.E 21

اختبار الاستقرارية الهيكلية لمعاملات النموذج Parameters stability:

لمعرفة اتساق معاملات متغيرات النموذج على المدي الطويل والقصير تم استخدام اختبار المجموع التراكمي للبواقي(CUSUM)، ووفقا» لهذا الاختبار يتحقق الاستقرار الهيكلي للمعاملات المقدرة

بصيغة تصحيح الخطأ لنموذج الدراسة عندما ينحصر الخط البياني لإحصاء (CUSUM) داخل الخطوط البيانية الحرجة عند مستوى معنوية (5%) في حين تكون هذه المعاملات لا تتسم بالاستقرارية في حالة خروج الخط البياني للأحصاء خارج الخطوط البيانية الحرجة. وفي النموذج المقدر يلاحظ أن اختبار المجموع التراكمي للبواقي(CUSUM) يقع داخل الحدود الحرجة عند مستوى معنوية (5%) مما يشير الى أن هناك استقرارا» وانسجاما» في تقديرات النموذج بين نتائج الأجل الطويل ونتائج الأجل القصير، أي أن المعاملات المقدرة لنموذج تصحيح الخطأ غير المقيد المستخدم مستقرة هيكليا» خلال فترة الدراسة.

اختبار الاستقرارية الهيكلية لمعاملات النموذج Parameters stability

الدراسة شكل (2)

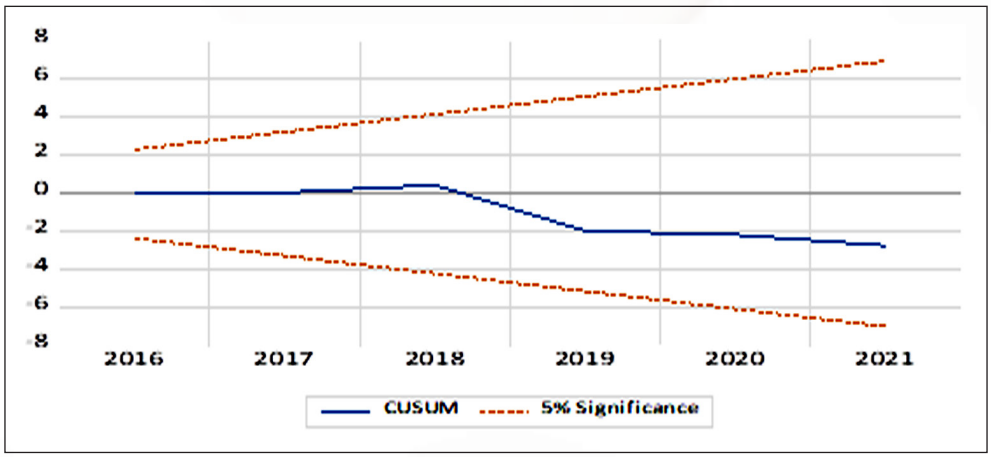

المصدر: إعداد الباحث من نتائج التقدير باستخدام برنامجsweiV.E 21

اختبار مقدرة النموذج على التنبؤ:

لاختبار مدى إمكانية النموذج المقدر في التنبؤ تم استخدام معيار معامل التساوي لثايل(Theil), وأظهرت نتائج التقدير المبينة في الجدول (12) أن قيمة معامل ثايل بلغت (0.050) وهى قيمة تقترب من الصفر ,وهذه النتيجة تدل على أن نموذج الدراسة المقدر يتمتع بمقدرة ممتازة على التنبؤ خلال الفترة موضوع القياس وهذه المقدرة على التنبؤ يمكن ملاحظتها من خلال الشكل الذى يوضح سلوك القيم الفعلية والمتوقعة طبقا» للنموذج المقدر , وعليه يمكن الاعتماد على نتائج هذا النموذج لأغراض التحليل وتقييم السياسات والتنبؤ واتخاذ القرارات الاقتصادية.

نتائج اختبار مقدرة النموذج على التنبؤ

جدول (12)

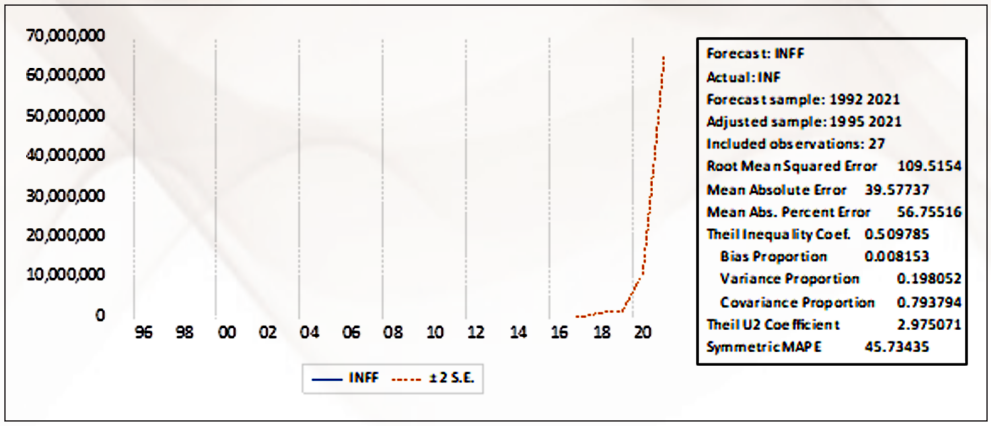

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة بناء على مخرجات برنامج 21sweiV.E

نتائج اختبار نموذج الدراسة:

بعدان تم استعراض الإطار النظري وتحليل البيانات ومناقشة نتائج التحليل توصل البحث الى النتائج التالية:

- إن العوامل المحددة لمعدل التضخم (الإنفاق الجاري، الإنفاق التنموي، سعر الصرف، عجز الموازنة، نمو الناتج) تفسر حوالي 88% من التغير في معدل التضخم خلال فترة الدراسة.

- وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق الجاري والتضخم في الأجل الطويل والقصير مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق الجاري بمقدار 1% يعمل على زيادة معدل التضخم بمعدل (5.7%) ألا أن معدل زيادة التضخم في الأجل القصير (12.7%) أي أن معدل التغيري أكبر.

النتيجة متوافقة مع النظرية الاقتصادية وواقع الاقتصاد السوداني.

- وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين الإنفاق التنموي والتضخم في الأجل الطويل والقصير مما يشير الى أن التغير في حجم الإنفاق التنموي بمقدار 1% يعمل على انخفاض بمعدل التضخم بمعدل (9.5%) إلا أن معدل التغير في الأجل القصير اقل حيث بلغ معدل انخفاض التضخم (2.1%).

النتيجة متوافقة مع النظرية الاقتصادية وواقع الاقتصاد السوداني.

- وجود علاقة عكسية ذات دلالة إحصائية بين سعر الصرف والتضخم في الأجل الطويل مما يشير الى أن التغير في سعر الصرف بمقدار 1% يعمل على انخفاض التضخم بمعدل (3.9%) بينما العلاقة

في الأجل القصير ترضية نتيجة للاستجابة السريعة للعوامل النفسية حيث يرتفع التضخم نتيجة لارتفاع سعر الصرف بمعدل (0.5%) في كل تغيير بوحدة واحدة.

النتيجة متوافقة مع النظرية الاقتصادية وواقع الاقتصاد السوداني.

- وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين عجز الموازنة ومعدل التضخم في الأجل الطويل وفي الأجل القصير مما يشير الى أن التغير في عجز الموازنة بمقدار 1% يعمل على زيادة في معدل التضخم بمعدل (0.04%) إلا أن الارتفاع في الأجل القصير أكبر حيث يبلغ (0.07%). النتيجة متوافقة مع النظرية الاقتصادية وواقع الاقتصاد السوداني.

- عدم وجود علاقة بين معدل نمو الناتج والتضخم في الأجل الطويل، بينما العلاقة في الأجل القصير عكسية نتيجة للتوقعات والعوامل النفسية حيث أن التغير بوحدة واحدة يؤدي الي خفض التضخم بمعدل (0.2%)

النتيجة متوافقة مع النظرية الاقتصادية وواقع الاقتصاد السوداني.

- من النتائج خارج نموذج الدراسة وجود علاقة طردية بين عرض النقود والتضخم خلال فترة الدراسة

التوصيات:

1. على الدولة ترشيد النفقات العامة وذلك عبر توجهها نحو القطاعات التي لها أثر إيجابي وقيمة مضافة للاقتصاد الوطني والذي ينعكس على زيادة الناتج وتخفيض معدلات التضخم
2. لتصحيح التشوهات في مؤشرات الاقتصاد الكلي لابد من زيادة الإنفاق التنموي على القطاعات الرائدة والحديثة وتشجيع الاستثمار في القطاع الصناعي لقيادة التنمية والنمو وفقاً لأهداف التحول الاقتصادي نحو اقتصاد السوق.
3. زيادة القدرة التنافسية للسلع المنتجة محليا بزيادة الإعفاءات من الضرائب غير المباشرة وتشجيع التصدير للسلع المصنعة محلياً
4. لابد من ضبط عرض النقود وربطه بمعدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي.

المصادر والمراجع

(1) ابتهاج هاشم محمد الجزولي. (25 2, 2024). دالة التضخم في الاقتصاد السوداني للفترة من(1992-2022). مجلة العلوم الإقتصادية و الإدارية و القانونية, 8(2), 56-63، صفحة https://doi.org/10.26389/AJSRP.H030423. تم الاسترداد من مجلة العلوم الاقتصادية والادارية والقانونية, 8 (2),56-63: https://doi.org/10.26389/AJSRP.H030423

(2) احمد عبدالله ابراهيم، و محمد شريف بشير الشريف. (2017). محددات التضخم في السودان ,خلال الفترة 1977-2016,دراسة تطبيقية. مجلة الاقتصاد والمالية,المجلد3,العدد2 ,الجزائر، 72.

(3) انس قريب الله احمد، و زينب يشير علي. (1 9, 2017). نموذج قياسي للعوامل المؤثرة على التضخم في السودان باستخدام السببية خلال الفترة (1990-2015م). مجلة النيل الابيض للدراسات والبحوث، صفحة https://www.wnu.edu.sd/magazine/index.php?content=Mw&==show=MTA.

(4) حامد عبدالمجيد دراز. (بلا تاريخ). تأليف المالية العامة (الصفحات 2009-2011). الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

(5) خالد الحبيب التجاني. (2014). اثر سياسة التحرير الاقتصادي علي الميزان التجاري في السودان. رسالة ماجستير غير منشورة جامعة السودان لعلوم والتكنلوجيا. الخرطوم، الخرطوم، السودان: جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا.

(6) الرشيد علي صنقور. (2007). السياسة المالية في عهد الانقاذ في ميزان الشرع والفكر الاسلامي. الخرطوم: شركة مطابع العملة المحدودة.

(7) رفعت المحجوب. (1992). المالية العامة. القاهرة: مكتبة النهضة.

(8) السيد عطية عبد الواحد. (1993). دور السياسة المالية في تحقيق التنمية الاقتصادية؛ التوزيع العادل للدخل. القاهرة: دار النهضة العربية.

(9) ضو البيت أحمد ضوالبيت. (يونيو, 2022). أثر التضخم على العجز في ميزان المدفوعات السوداني. مجلة العلوم الاجتماعية دورية دولية محكمة العدد 24 ,308-330، الصفحات https://democraticac.de/wp-content/uploads/2022.

(10) عادل ابو حشيش. (1983). اقتصاديات المالية العامة. الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

(11) عبدالرحمن محمد سلطان. (2018). النظرية الاقتصادية الكلية الطبعة الاولي. الرياض: جامعة الامام.

(12) عبدالوهاب عثمان شيخ موسي. (2012). منهجية الاصلاح الاقتصادي في السودان ,الجزء الاول,. الخرطوم: مطبعة برنتك للطباعة.

(13) علي محمد العراقي. (2018). مقاربات في فلسفة التنمية تاسيس نموذج وطني بالتركيز علي حالة السودان. الخرطوم: ركائز المعرفة.

(14) فاروق صالح الخطيب، و عبدالعزيز احمد دياب. (2014). دراسات متقدمة في النظرية الاقتصادية الكلية. الرياض: جامعة الملك عبدالعزيز.

(15) مجدي الشوربجي. (2009). تأليف الاقتصاد القياسي بين النظرية والتطبيق (صفحة 157). القاهرة: الدار العربية للنشر.

(16) مجدي محمود شهاب. (1988). الاقتصاد المالي نظرية مالية الدولة والسياسات المالية للنظام الرأسمالي. القاهرة: الدار الجامعية.

(17) محمد محمود الطيب. (23 3, 2021). الاقتصاد السياسي للتضخم في السودان. تاريخ الاسترداد 21 مايو, 2024، من سودانايل: https://sudanile.com/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B6%D8%AE%D9%85-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%B9/

(18) وليد عبدالحميد عايب. (2010). الاثار الاقتصادية الكلية لسياسة الانفاق الحكومي. بيروت: مكتبة حسن العصرية.

التقارير:

(1) بنك السودان. (2021). التقرير السنوي,الحادي والستون. الخرطوم: بنك السودان.

(2) Hillman, A. L. (2009). Public Finance and Public Policy. New York: Cambridge University Press.

الحج وأثره على الأوضاع الداخلية في الحجاز

د. محمد عبد الكريم محمد الكنيدري
باحث - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يعد الحج الركن الخامس من أركان الإسلام ويتميز عن باقي الأركان الأربعة في أنه جهاد بالنفس والمال، وقد ارتبطت شعيرة الحج منذ فجر الإسلام بالأماكن المقدسة في الحجاز لذلك وجدت هذه المنطقة الكثير من الحب والتقدير في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الحجاز ودور الحج في التأثير على أوضاعه الداخلية. تنبع أهمية الدراسة من كونها تعمل على شرح أثر الحج على المدن الحجازية وما ترتب عليه في مختلف الجوانب. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى عدد من النتائج والتي من أهمها: تعد مكة والمدينة من أهم المدن والحواضر الحجازية عبر التاريخ في الجاهلية والإسلام، كان للحج أثراً واضحاً على الأوضاع الداخلية في المدن الحجازية بصورة عامة وعلى مكة والمدينة على وجه الخصوص، وجد الحج عناية كبيرة من قبل حكام وأمراء بني أمية الذين اهتموا به وعملوا على تسهيله وتأمينه خدمة للمسلمين.

الكلمات المفتاحية: الحج، الأوضاع الداخلية، الحجاز، مكة، المدينة.

Hajj and its impact on the internal situation in Hijaz

Dr. Mohamad Abdalkrem Alknidri

Abstract:

Hajj is considered the fifth pillar of Islam and is distinguished from the rest of the four pillars in that it is a jihad with one's soul and money. Since the dawn of Islam, the ritual of Hajj has been linked to the holy places in the Hijaz. Therefore, this region has found a lot of love and appreciation in the hearts of Muslims in the east and west of the earth. The study aims to highlight Light

on the Hijaz and DurHajj influencing his internal conditions.The importance of the study stems from the fact that it works to explain the impact of the Hajj on the Hijazi cities and its consequences in various aspects. The study followed the historical, descriptive, and analytical approach in order to reach a number of results, the most important of which are: Mecca and Medina are considered among the most important cities and metropolises of Hejaz throughout history in pre-Islamic times and Islam. Hajj had a clear impact on the internal conditions in the Hejaz cities in general and on Mecca and Medina in particular. It was found Hajj careGreat by the rulers and princes of the Umayyads, who cared for it and worked to facilitate and secure it in the service of the Muslims.

Keywords: Hajj, internal conditions, Hijaz, Mecca, Medina

مقدمة:

تعد مدن الحجاز وتحديدا مكة المكرمة من أكثر مدن العالم الإسلامي انفتاحاً على جميع شعوب العالم الإسلامي، ويعود ذلك لقدوم وفود الحجاج إليها من شتى البقاع الإسلامية لأداء فريضة الحج والعمرة.

لذا كان سكان الحجاز أكثر الناس تأثرا بالحجاج، تمثل ذلك في اكتساب مجتمع الحجاز لأنماط جديدة من الثقافات والعادات المتنوعة، امتزجت في التركيبة الاجتماعية للحجاج، وانتقال أنواع جديدة من الأطعمة والأشربة والألبسة من الحجاج إلى سكان الحجاز والحرم الشريف، حتى أصبحت هوية بلاد الحجاز هوية إسلامية عامة تتمثل فيها جميع الشعوب الإسلامية في العالم.

ومما روي في ذلك: «فأما الحجاز فقصبته مكة ومن مدنها: يثرب وينبع وقرح وخيبر والمروة والحوراء وجدة والطائف والجار والسقيا والعونيد والجحفة والعشيرة هذه أمهات، ودونهن بدر، خليص، أمج، الحجر، بدا يعقوب، السوارقية، الفرع، السيرة، جبلة، مهاج، حاذة»[1]. إذ غلب على الرحالة أن يتحدثوا عن المدينة وكورها وما يتبعها من قرى.

وصفت بلاد الحجاز بأنها تقع بين جبال عظام وهي أودية ذات شعاب: «ومكة مدينة فيها بين شعاب وجبال»[2]. ولذلك فهي تقع بين جبال عالية ولا ترى من بعيد[3]، باعتبار أنها منخفض بين تلك الجبال، فهي مدينة في واد والجبال تشرف عليها من جميع الاتجاهات ومحيطه بالكعبة المشرفة[4]، وهذه خاصية حباها الله عز وجل لهذه المدينة، وتعطي دلالة واضحة على حصانتها.

الأسماء التي أُطلقت على مكة:

وشُرفت مكة بأسماء عديدة دلت على شرف مسمّاها وسمو مكانتها، فمن أسمائها التي وردت في القرآن الكريم: مكة وبكة[5] وقيل: مكة البلد وبكة موضع البيت. وقيل: بكة البيت والمسجد، ومكة الحرم كله[6]، والبلد والقرية وأم القرى[7].

أما اسم مكة فقد ذكر في كثير من المواضع؛ ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾[8]، وقد اتفق العلماء على اسم مكة لجميع البلدة، وأما تسميتها بالبلد فقد قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ [9]، وأما التسمية بالقرية فقال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾[10]، وأما التسمية بأم القرى لقوله تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [11]. ومن أسمائها أيضا «بكة»، وهناك أقوال في هذه التسمية: القول الأول أنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها. والثاني أنها سميت بهذا لأن الأقدام تبك بعضها بعضا[12].

وقد دعا لها إبراهيم عليه السلام، وذكرت في القرآن الكريم، قال الله تعالى﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[13]. فاستجاب الله عز وجل وآمن من نزل فيها، ورزق أهلها من الثمرات التي تجلب إليها من الآفاق[14]؛ أي من مختلف المناطق.

ومن أسمائها: مكة، وبكة، والنسّاسة، وأم زحم، وأم القرى، ومعاذ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها، وسمي البيت «العتيق» لأنه عتق من الجبابرة، و«الرأس» لأنها مثل رأس الإنسان، والحرم وصلاح والبلد الأمين والعرش و«القادس»؛ لأنها تقدس الذنوب أي تطهر، والمقدسة والناسة و«الباسة» لأنها تبس أي تحطم الملحدين وقيل تخرجهم، و«كوثى» باسم بقعة كانت منزل بني عبدالدار[15].

وقيل: مكة بيت الله الحرام، أما اشتقاقها ففيه أقوال: «فقيل سميت «مكة» لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم، ويقال سميت «مكة» لازدحام الناس بها من قولهم: قد امتك الفصيل ضرع أمه، إذا مصه مضا شديدا، ويقال «مكة» اسم المدينة، وبكة اسم البيت، وقيل إنا سميت «مكة» لأن العرب في الجاهلية كانت تقول: لا يتم حجنا حتى نأتي مكة الكعبة فنمك فيه؛ أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا طافوا بها -والمكاء بتشديد الكاف طائر- وقيل سميت «مكة» لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك، وقيل سميت «مكة» لأنها لا يفجر بها أحد إلا بكت عنقه فكان يصبح وقد التوت عنقه، وقيل «بكة» موضع البيت وما حول البيت: مكة»[16].

وحكى مصعب بن عبدالله الزبيري قال: كانت مكة في الجاهلية تسمى صلاحا لأمنها، وقيل إن من أسماء مكة «أم زحم» و«الباسة»، فأما «أم زحم فلأن الناس يتزاحمون بها ويتنازعون، وأما

«الباسة» فلأنها تبس من ألحد فيها؛ أي تحطمه و تهلكه، ويروى «الناسة» بالنون ومعناه أنها تنس من ألحد فيها أي تطرده وتنفيه. وأصل مكة وحرمتها ما عظمه الله سبحانه من حرمة بيته، حتى جعلها لأجل البيت الذي أمر برفع قواعده وجعله قبلة عباده أم القرى[17]. فلأهمية وقداسة مكة حباها الله بأسماء كثيرة تمييزا لها عن باقي المدن.

مناخ الحجاز:

وأمتاز مناخ بلاد الحجاز وخصوصا مكة بالحرارة الشديدة، نظرًا لانخفاضها من جهة، ولإحاطتها بالجبال من جهة أخرى، ولذلك قيل في مناخها: «وجو مكة حار جدا في الصيف إلا أن ليلها طيب، قد رفع الله عنهم مؤونة الدفء وأراحهم من كلف الاصطلاء»[18].

ولذلك أشار أن أهل مكة كانوا يبحثون عن حلول لتفادي ارتفاع درجة الحرارة، فإذا تأذى أهل مكة بالحر خرجوا إلى الطائف[19]؛ لأنها أكثر ارتفاعا وبالتالي أقل حرارة. ولذلك قيل: «كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف أثناء رحلة الشتاء والصيف»[20]. ويؤكد اعتدال مناخها ليلا ما قيل: «والليل بمكة في الصيف طيب»[21] إلا أن الأمطار بمكة المكرمة لا تزال شحيحة، ولا تسقط إلا على فترات متباعدة، وهذه من أهم أسباب الجفاف والجدب والقحط الذي يصيبها.

وأما الغطاء النباتي فتمثل في الشجر الصحراوي، فقد وصف ناصر خسرو بقوله: «وليس بمكة شجر أبدا إلا عند الباب الغربي للمسجد الحرام المسمى باب إبراهيم؛ حيث وجد كثير من الشجر الكبير الذي يرتفع على حافة بئر»[22]. وتم تحديد نوع ذلك الشجر بقول ابن حوقل «وليس بجميع مكة شجر مثمر غير شجر البادية»[23]، وهذا يشير لارتباط المناخ بنوعية التربة الملائمة للنبات الصحراوي.

الحج في العهد الأموي:

حرص الخلفاء الأمويون على الاهتمام بمدن الحجاز وبشؤون الحج ورعايته، حيث قام عدد منهم بتولي إمارة الحج بنفسه، وهم الخلفاء: معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ)، وعبدالملك بن مروان (65- 86هـ)، والوليد بن عبدالملك (86-96هـ)، وسليمان بن عبدالملك (96-99هـ)، وهشام بن عبدالملك (105-125هـ)[24].

ومنهم من حج أكثر من مرة، مثل: معاوية بن أبي سفيان والوليد بن عبدالملك، وكانوا يقومون بعد أداء الفريضة بتقديم خدمات جليلة في الحرمين الشريفين لتوفير الراحة والطمأنينة لحجاج بيت الله الحرام[25].

وحينما كانوا يتخلفون عن قيادة الحجيج في موسم الحج، فإنهم كانوا يكلفون أحد الأمراء من البيت الأموي بإقامة الموسم نيابة عنهم -بإمارة الحج- سواء من أبناء الخلفاء، أو من أمراء مكة

والمدينة، أو غيرهم من كبار رجال الدولة. وكان معاوية بن أبي سفيان[26] أول خليفة أموي يحج من دمشق، وقد ولي إمارة الحج بنفسه في فترة خلافته (41 - 60هـ) مرتين: الأولى في عام أربع وأربعين، والثانية في عام خمسين للهجرة[27].

أما في السنوات التي لم يتول فيها إمارة الحج بنفسه، تولاها عدد من الأمراء الأمويين؛ هم:

- عتبة بن أبي سفيان[28] الذي تولى إمارة الحج في عام إحدى وأربعين للهجرة[29].
- عنبسة بن أبي سفيان[30]، وقد تولى إمارة الحج في عام اثنتين واربعين، وسبع وأربعين للهجرة[31].
- مروان بن الحكم[32]، وقد تولى إمارة الحج في سنوات: ثلاث وأربعين، وخمس وأربعين، وثمان وأربعين، وأربع وخمسين، وخمس وخمسين[33].
- سعيد بن العاص[34]، وقد تولى إمارة الحج في سنوات: تسع وأربعين، واثنتين وخمسين، وثلاث وخمسين[35].
- الوليد بن عتبة[36]، وقد تولى إمارة الحج في سنوات: ست وخمسين، وسبع وخمسين، وثمان وخمسين[37].
- عثمان بن محمد بن أبي سفيان[38]، وقد تولى إمارة الحج في العام التاسعة والخمسين للهجرة[39].
- يزيد بن معاوية[40]، وقد تولى إمارة الحج في عام إحدى وخمسين للهجرة[41].
- أما يزيد بن معاوية فلم يذكر عنه المؤرخون أنه تولى إمارة الحج بنفسه خلال فترة خلافته القصيرة (60-64هـ)، وإنما كان يُعين أميراً للحج في كل عام نيابة عنه.
- ففي عام ستين للهجرة عين عمرو بن سعيد بن العاص[42] -عامله على الحرمين- أميراً على الحج[43].
- وفي عام إحدى وستين، واثنتين وستين عين لهذه الإمارة الوليد ابن عتبة[44].

وبوفاة يزيد بن معاوية، عمل عبدالله بن الزبير على الاستقلال بحكم الحجاز عن الدولة الأموية، واتخذ مكة المكرمة مقراً له (63-74هـ)، وفي تلك الفترة التي استقل فيها كان يقيم الحج بالناس في كل عام، ما عدا عام اثنتين وسبعين للهجرة[45] التي وقعت فيها الحرب بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي قائد جيش عبدالملك بن مروان الذي حاصر ابن الزبير ومن معه في المسجد الحرام.

ويقول المؤرخون[46]: (إن الحجاج بن يوسف الثقفي[47] حج بالناس في تلك العام وعليه وعلى أصحابه الدروع وهم وقوف بعرفات ولم يتمكنوا من الطواف بالبيت، وابن الزبير محصور لم يتمكن من الحج هو وأصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة).

غير أنني لا أجد في نفسي ميلاً إلى ما ذكره هؤلاء المؤرخون، إذ كيف يجوز أن يقال بأن الحجاج بن يوسف الثقفي قد حج في تلك العام هو وأصحابه، مع أنهم لم يتمكنوا من الطواف بالبيت، مع ان الطواف بالبيت ركن من أركان الحج مثل الوقوف بعرفة، الذي كان عدم تحققه لابن الزبير وأصحابه سبباً في عدم حجهم هذا العام، فكما أن الحج لا يكون بدون الوقوف بعرفة، كذلك لا يكون بدون الطواف بالبيت. ويظهر أن المؤرخين الذين نقلوا لنا هذا الخبر لم يكونوا على دراية بهذا الحكم الفقهي.

ويبدو لي أنه إما ألا يكون قد وقع حج هذا العام، وإما أن يكون الطرفان قد اتفقا على هدنة مؤقتة أيام الحج، وهذا هو أقرب الاحتمالين إلى الصواب، لأن المسلمين مهما كان الخلاف بينهم لا يمكن أن يعطلوا هذه الشعيرة المقدسة، كما أن ابن كثير قد ذكر في كتابه « البداية والنهاية في التاريخ، أن عبدالملك بن مروان قد أناب عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ[48] للحج بالناس، وكتب إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر في المناسك[49].

أما الخليفة عبدالملك بن مروان[50]، فقد تولى إمارة الحج بنفسه في العام الخامسة والسبعين للهجرة[51]، وأناب عنه في تولي هذه الإمارة خلال فترة خلافته - بعد مقتل ابن الزبير - عدداً من الأمراء هم:

- الحجاج بن يوسف الثقفي في سنتي: ثلاث وسبعين، وأربع وسبعين للهجرة[52].
- أبّان بن عثمان بن عفان[53]، في سنوات: ست وسبعين، وسبع وسبعين، وثمان وسبعين، وتسع وسبعين، وثمانين، واثنتين وثمانين[54].
- سليمان بن عبدالملك[55] الذي تولى إمارة الحج في عام إحدى وثمانين[56].
- هشام بن إسماعيل المخزومي[57]، وقد تولى إمارة الحج في العام الثالثة والثمانين، والرابعة والثمانين، والخامسة والثمانين[58].
- وأما الوليد بن عبدالملك[59] فقد تولى إمارة الحج بنفسه في العام الحادية والتسعين للهجرة[60]، وعين لها في السنوات الأخرى من خلافته عدداً من الأمراء هم :
- هشام بن إسماعيل المخزومي، وقد تولى إمارة الحج في العام السادسة والثمانين للهجرة[61].
- عمر بن عبدالعزيز[62] الذي تولى إمارة الحج في سنوات: سبع وثمانين، وثمان وثمانين، وتسع وثمانين، وتسعين، واثنتين وتسعين، وثلاث وتسعين[63].
- مسلمة بن عبدالملك[64] الذي تولاها في عام أربع وتسعين[65].

- بشر بن الوليد بن عبدالملك[66]، وقد تولاها في عام خمس وتسعين[67].

- أما سليمان بن عبدالملك (96-99هـ) فقد تولى إمارة الحج بنفسه في عام. سبع وتسعين للهجرة[68]، وأناب عنه لتلك الإمارة في. عام ست وتسعين أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري[69]، الذي كان أميراً على المدينة المنورة[70]، كما أناب عنه لها في عام ثمان وتسعين عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد الأموي[71]، الذي كان أميراً على مكة المكرمة[72].

وبعد وفاة الخليفة سليمان بن عبدالملك، تولى بعده الخلافة عمر ابن عبدالعزيز(99 - 101هـ)، وعلى الرغم من قصر مدة خلافته، ومع أنه لم يتولى إمارة الحج بنفسه فيها، إلا أنه عني بشئون الحج، وتعيين الأمير الذي يحج بالناس، وتزويده بكل ما يحتاج إليه الحجيج. وقد ذكر لنا المؤرخون أنه عين لهذه الإمارة في سنتي تسع وتسعين ومائة أمير المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم[73].

- أما يزيد بن عبدالملك فلم يثبت أنه تولى إمارة الحج بنفسه خلال فترة خلافته (101 - 105هـ)، وإنما كان يعين أميراً للحج في كل عام نيابة عنه.

- ففي سنوات: إحدى ومائة، واثنتين ومائة، وثلاث ومائة للهجرة عين لهذه الإمارة عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري[74]، الذي كان أميراً على الحرمين الشريفين[75].

- عبدالواحد بن عبدالله بن بشر النصري[76]، أمير الحرمين والطائف، وقد تولى إمارة الحج في عام أربع ومائة للهجرة[77] أما هشام بن عبدالملك[78] فقد تولى إمارة الحج بنفسه في العام السادسة بعد المائة للهجرة[79]. وفي السنوات الأخرى من خلافته كان يعين أميراً للحج في كل عام نيابة عنه من أبنائه وأفراد أسرته والمقربين منه، وقد اشتهر في عهد هشام عدد من الأمراء ارتبطت أسماؤهم بإمارة الحج، وهم: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي[80] أمير الحرمين والطائف، وخال هشام بن عبدالملك، وقد ولي الحج في سنوات: خمس ومائة وسبع ومائة إلى ثلاث عشرة ومائة للهجرة[81].

- خالد بن عبدالملك بن الحارث بن عبدالحكم[82]، وقد تولى إمارة الحج في سنتي أربع عشرة وسبع عشرة بعد المائة[83].

- محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي[84]، الخال الآخر للخليفة هشام بن عبدالملك، وقد ولي إمارة الحج في سنوات: خمس عشرة ومائة، وثمان عشرة ومائة، وعشرين ومائة، وإحدى وعشرين ومائة، واثنتين وعشرين ومائة، وأربع وعشرين ومائة للهجرة[85].

- الوليد بن يزيد بن عبدالملك[86]، ولي عهد هشام بن عبدالملك، وقد ولي إمارة الحج في العام السادسة عشرة بعد المائة[87].

- مسلمة بن هشام بن عبدالملك، وقد ولي إمارة الحج في عام تسع عشرة بعد المائة[88].
- يزيد بن هشام بن عبدالملك، وقد ولي إمارة الحج في العام الثالثة والعشرين بعد المائة[89].

وعندما ضعفت الدولة الأموية في أواخر عهدها، أصبحت إمارة الحج تسند إلى كبار القواد، أو إلى أمير الحرمين، الذي كان في بعض الأحيان يتولاها لعدة سنوات متتاليات.

ففي عام خمس وعشرين بعد المائة تولى إمارة الحج يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي[90]، أمير الحرمين والطائف، وذلك في خلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك (125-127هـ)[91].

وفي سنوات ست وعشرين، وسبع وعشرين، وثمان وعشرين بعد المائة تولى هذه الإمارة عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز[92] أمير الحرمين والطائف أيضاً[93]، وذلك في عهد آخر الخلفاء الأمويين، وهو مروان بن محمد[94].

كما تولاها في عام تسع وعشرين بعد المائة عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك[95]، الذي كان أميراً على الحرمين والطائف[96].

وفي عام ثلاثين ومائة تولاها محمد بن عبدالملك بن مروان[97] أمير الحرمين والطائف[98].

وفي عام إحدى وثلاثين ومائة تولاها آخر أمير من قبل الحلفاء الأمويين وهو الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي[99] أمير المدينة[100].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدولة الأموية في أواخر عهدها قد بدأت في الانهيار، في الوقت الذي بدأت فيه الدعوة العباسية في الظهور والانتشار، وقد ساعد على ذلك ظهور الفتن والانقسامات في الدولة الأموية، وانعكس هذا الوضع المتردي على عدم ظهور قافلة الحجيج من العاصمة دمشق كما كانت ترد في فترة قوة الدولة.

المدينة المنور في العهد الأموي:

حرص الخلفاء دولة الأموية على الاهتمام بمدينة المصطفى ﷺ المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، ومحل إقامة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، فإذا أراد الرسول ﷺ والخلفاء من بعده الخروج منها إلى الحج أو للجهاد استخلفوا عليها، فعندما خرج الرسول ﷺ في العام الثامن إلى مكة، استخلف عليها كلثوم بن حصين الغفاري[101]. وعندما حج عمر بن الخطاب ﷺ عام (14هـ/635م) استخلف عليها زيد بن ثابت (ت45هـ/ 665م)[102]. وفي خلافة علي بن أبي طالب ﷺ انتقلت عاصمة الإسلام من المدينة إلى الكوفة، فولى المدينة لسهل بن حنيف (ت38هـ/658م)[103].

-ولأهمية أهل المدينة- رأى معاوية ﷺ أن يسجل لها زيارة خاصة ولإبلاغ أهلها بأمر إستخلاف ابنه

يزيد من بعده لمعرفة أرائهم في هذا الأمر فزارها عام (44هـ - 664م) وعرض الأمر أولاً على أعيان المدينة عندما إجتمع بهم معاوية وقد تحدث منهم عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وعبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، فكان رأي ابن جعفر أن ترجع الخلافة لآل البيت بعد معاوية وكان رأي عبدالرحمن بن أبي بكر بأن حصر الخلافة في أسرة بعينها يعتبر تشبيهاً بالأكاسرة والقياصرة[104].

وكان من الطبيعي أن تصدر مثل هذه الآراء من أبناء الصحابة خاصة رأي عبدالرحمن بن أبي بكر لأن الخلفاء الراشدين الأربعة لم يشر واحد منهم إلى تعيين أحد أبنائه بعده، ورد معاوية على تلك الآراء ودافع عن قراره بقوله: «.. قد ذهب الآباء وتبقى الأبناء»[105].

وهو يشير بذلك إلى أن الذين كان ينبغي أن يترك لهم الأمر قد مضوا إلى ربهم ولم يتبقى إلا أبناؤهم وهذا ابنه يزيد واحد منهم فجاء اختياره له.

غادر معاوية المدينة ولم يتعرض لموضوع البيعة لابنه يزيد إلا بعد مضي فترة من الزمن حيث عاد للأمر مرة أخرى عام (49 هـ - 669م) بعد أن ضمن ولاء ومواقفة أهل الشام إذ عرض عليهم أمر الخلافة لابنه فلم يجد صعوبة في ذلك إذ بايعوا جميعا ولكن كان لابد من موافقة أهل الحجاز خاصة أهل المدينة فكتب معاوية إلى والي المدينة مروان بن الحكم بن العاص مكلفاً إياه بأخذ البيعة من أهلها ولكنه لم يستطع فتم استبداله بسعيد بن العاص[106].

ولتسهيل مهمة الوالي الجديد سعيد بن العاص قام معاوية ﷺ بتحرير عدة رسائل إلى الذين كانوا قد أبدوا أراءهم ورفضهم للأمر موضحاً لهم ضرورة الإستجابة برأيه حتى لا يؤدي رفضهم للفتن والمشاكل، ولكن الرسائل لم تفلح كما فشل سعيد بن العاص في إقناعهم فكتب بذلك إلى معاوية مما إضطره ولأهمية الأمر الحضور بنفسه[107].

وللمرة الثانية يخرج أهل المدينة لإستقبال معاوية وفي مقدمتهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس الشيء الذي أدخل السرور في قلب معاوية وأنساه مشاق السفر على حد قوله[108].

دخل معاوية المدينة ولم يتحدث في الأمر الذي أتي من أجله إلا بعد أن زار السيدة عائشة ﷺ، بعد سماحها له بذلك وكانت قد حثته على الإقتداء بالنبي ﷺ كما أشارت إليه بالرفق واللين مع النفر الذين أبدوا رفضهم لمبايعة إبنه يزيد لأنه إن فعل ذلك معهم ربما أدي ذلك إلى إقناعهم وموافقتهم[109].

دعا معاوية عامة الناس في المدينة إلى اجتماع في اليوم التالي بعد أن خص بالدعوة الحسن بن علي وعبدالله بن الزبير لأنهما أكثر معارضة من غيرهم لاستخلاف يزيد بن معاوية[110].

اتسم الاجتماع بطابع الشورى إذ أعطى معاوية الحق للجميع لإبداء أرائهم في الأمر وكان أول المناقشين له الحسين بن علي والذي أوضح أن سبب رفضه ليزيد يكمن في بعض تصرفاته والتي

هـي في رأي الحسـين تبعـده عـن الخلافـة مثـل حبـه لسـماع الغنـاء وترويضـه للـكلاب واللعـب بهـا.

وأمـا عبداللـه بـن الزبـير فلـم يعـترض عـلى يزيـد لشـخصه ولكنـه رفـض الطريقـة التـي عـلى ضوئهـا تـم إختيـاره بهـا وطالـب معاويـة بالاقتـداء بالنبـي حينـما تـرك الأمـر شـورى للمسـلمين بعـده فجـاء اختيارهـم لأبي بكـر الصديـق، فـرد معاويـة بأنـه لا يوجـد مـن هـو مثـل أبي بكـر الصديـق حتـى يـترك الأمـر شـورى[111].

كان رد معاويـة عـلى الحسـين بـن عـلي بمثابـة رد لتسـاؤلات الكثيريـن غـيره حيـث عَـدَّد بعـض المناقـب التـي تتوفـر في ابنـه مثـل معرفتـه للقـرآن الكريـم وتلاوتـه، وعلمـه بالعـام النبويـة بالإضافـة إلى مـا يتمتـع بـه مـن حلـم وأضـاف معاويـة بأنـه لـو كان يعـرف شـخصاً خـيراً مـن ابنـه لـولاه واختـاره للخلافـة بعـده[112].

أوضـح معاويـة بعـد ذلـك كل المناطـق قـد بايعـت ليزيـد ولم يتبـق إلا الحجـاز وعقـب انتهـاء معاويـة مـن حديثـه ظهـر فريـق مؤيـد لـه، بـل وقـام هـذا الفريـق بتقديـم البيعـة دون أكـراه وقـد مثـل هـذا الفريـق عبداللـه بـن عمـر بـن الخطـاب وعبداللـه بـن عبـاس بـن عبدالمطلـب الـشيء الـذي طـمان معاويـة فغـادر المدينـة بعـد أن قـام بتوزيـع الأعطيـات عـلى الجميـع بمـا فيهـم بنـي هاشـم بالرغـم مـن عـدم موافقـة الحسـين بـن عـلي وعـدم إقناعـه بـل ورفضـه البيعـة ليزيـد بـن معاويـة[113].

اهتـم الخفـاء الأمويـين بالطائـف التـي كان الرسـول ﷺ بعـد فتـح مكـة يعـين عليهـما الـولاة مـن قبلـه. وكذلـك فعـل الخلفـاء الراشـدون ﷺ فبعـد الفتـح عـام 8هـ اسـتخلف الرسـول ﷺ عـلى مكـة عتـاب بـن سـيد (ت11هـ/632م)[114]. وفي خلافـة أبي بكـر الصديـق ﷺ أقـر عـلى الطائـف عثـمان بـن أبي العـاص (ت51هـ/ 671م) حتـى وفاته[115].

كان لتعاليـم الإسـلام المتعلقـة بحرمـة أشـهر الحـج دور في إشـاعة الأمـن والاسـتقرار في مكـة المكرمـة ومـا حولهـا خـلال مواسـم الحـج[116]. وفي العـصر الأمـوي قسـمت ولايـة الحجـاز إلى أربعـة مناطـق إداريـة مراكزهـا المدينـة، مكـة، الطائـف، اليمامـة، فـكان ولاتهـا مسـئولون أمـام الخليفـة الأمـوي بدمشـق عـما يحـدث داخـل ولايتـه[117].

وكثـيراً مـا كان خلفـاء بنـي أميـة ينتقـون لهـذه الأمـارة عـمالاً مـن البيـت الأمـوي نفسـه، مـن أصحـاب الخـبرة ومـن القادريـن عـلى فهـم نفسـية الأهـالي ومواجتهـم بمـا يتفـق مـع ميولهـم، ووضـع أسـس هـذه السياسـة معاويـة بـن أبي سـفيان، الـذي جعـل مـن مـدن الحجـاز مدرسـة يـدرب فيهـا أبنـاء البيـت الأمـوي عـلى إدارة تلـك الولايـة والسـماح لهـم بالتـدرج في تلـك الولايـة وفـق خطـوات مقـررة. فـكان إذا أراد أن يـولي رجـلاً مـن بنـي حـرب بـدأ بـأن عهـد عليـه بحكـم الطائـف فـإذا رأى منـه خـيرا أو نجاحـاً ولاه معهـا مكـة، وإن أحسـن إدارة هاتـين المدينتـين ولي إلى جانبهـما المدينـة وقيـل عندئـذ أنـه حـذق[118].

وتشكل إمارة الحج أهمية كبرى في سياسة الدولة الإسلامية فالإمارة من أعظم المراتب السياسية التي تطلق على من حظى بمكانة خاصة عند خليفة المسلمين فهي من أعلى المناصب وأفخمها وأعلاها قدرًا وقد تجلى ذلك عندما اختار ﷺ -أبا بكر الصديق رضي الله عنه- لإمارة الحج على عهده فهي وظيفة تعطي صاحبها حق تمثيل الخليفة وظلت هذه المهمة عام متبعة يتقلدها الخليفة أو من ينوبه[119].

وإمارة الحج إلى جانب طابعها السياسي فهي ذات طابع ديني إذ يتولى الأمير قيادة الحجاج منذ انطلاقتهم من ديارهم وحتى دخولهم مكة وأداء الحج وزيارة المدينة المنورة. وعودتهم مرة أخرى يؤمهم في الصلاة ويأمرهم بالصعود إلى منى والوقوف بعرفة ويلقي خطبة يوم عرفة ثم ينفر ويجلس للفتيا ويعلم الناس أمور دينهم[120].

وقد تنبه خلفاء بني أمية إلى وظيفة إمارة الحج فأولوها عناية خاصة. فهي من الوظائف المهمة في الدولة الإسلامية. وتأخذ طابعها السياسي أكثر من طابعها الديني لاسيما وأنها تعني قيادة المسلمين القادمين إلى الحجاز ومن ثم لابد من توفير الأمن والطمأنينة لهم وإقرار سلطة الدولة وإظهارها بمظهر القوة أمام الحجاج الذين يفدون إلى الأراضي المقدسة من مختلف الأمصار الإسلامية، لاسيما وأن السلطة الأموية تعلمت من خلال حركة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه - درسًا مفاده إنما تحق الخلافة لمن كان الحرمان بيده ولمن أقام الحج للناس[121].

ثم إن إنقاطعهم القسري عن إقامة الحج إبان فترة انفصال الحجاز لمدة تسع سنوات عن الخلافة الأموية سبب للسلطة في دمشق حرجًا شديدًا حول شرعية خلافتهم لذلك حرص خلفاء بني أمية أن يقودوا الحج بأنفسهم فقد قاد الحج خمسة من خلفائهم هم معاوية بن أبي سفيان وعبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك وهشام بن عبدالملك. وأنابوا في بعض السنوات إخوانهم أو أبنائهم. وقد اتضح من الجداول المرفقة أن خلفاء بني أمية وإخوانهم وأبنائهم تولوا إمارة الحج ما يقارب من أربعين عامًا. وأنابوا عنهم من أبناء عمومتهم من أبناء أبي العاص بن أمية أو من أصهارهم من بني مخزوم أو من ثقيف أكثر من ستة وثلاثين عام وتركوا لكبار القادة في دولتهم من القبائل المواليه لهم قيادة الحج قرابة عشر سنوات.

وفي ذلك إشارة بليغة إلى أهمية الحجاز بالنسبة للدولة الأموية والحرص على عدم تكرار ما حدث في بداية قيام الدولة من حركات مناهضة لها. في نفس الوقت فقد حرص خلفاء بني أمية وأثناء تواجدهم في الحجاز من إيلاء المنطقة جل اهتمامهم ورعايتهم بالعمارة والعناية وتقريب أعيانه من كبار أبناء الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء وإظهار الاهتمام بتفقد أحوالهم والإغداق عليهم بالعطايا والهبات.

وقد برز دور الأمويين في العناية بالحجاز في مواسم الحج، وذلك من خلال إنفاقهم على الحجيج ومرافق الحج، وسياستهم الحازمة في تأمين سلامة الحجيج وقوافل الحجاج.

ومن المهام المناطة بالخليفة تسيير الحجيج من عمله، ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه[122]، وإذا حج الخليفة يتولى إمارة الحج، وتدبير شؤون الحجاج بنفسه[123]. خاصة وأن هذا المنصب يزيد من مكانته، ويدعم مركزه عند المسلمين فهذا معاوية أقام الحج بنفسه وأرسل ولي عهده يزيد في عام (44هـ) و(50هـ) و(51هـ)[124]، وغالباً مايتولى والي الحجاز مهمة إمارة الحج[125].

وكان الخلفاء يقصدون من اهتمامهم بطرق الحج، وسياستهم الحازمة تجاه اللصوص وقطاع الطرق تأمين سلامة الحجيج وهم وفد الرحمن لتأدية فريضته وإشاعة الراحة والأمن والاستقرار في ربوع الدولة الإسلامية.

ويبدو أن العلاقة بين معاوية ﷺ وأهل الحجاز كانت طيبة وقوية والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

مسارعة أبناء الحجاز لتلبية نداء الجهاد الذي أعلنه معاوية ﷺ عام 48هـ - 688م فقد تسابق المدنيون بصفة خاصة وشكلوا حضوراً كبيرة في الحملة التي أرسلت لحصار القسطنطينية حيث إستشهد الصحابي المشهور أبو أيوب الأنصاري[126].

وشارك في هذه الحملة أيضا كل من الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وغيرهم من أبناء الصحابة[127]، وتسابق أبناء المدينة مرة أخرى عندما شاركوا بفرقة كاملة كان لها دور كبير في فتح المغرب[128].

ومن المواقف الدالة على الوفاق والانسجام الذي كان بين معاوية وأهل الحجاز أن الحسن بن علي بن أبي طالب وبعد تنازله عن الخلافة لمعاوية إنه كان يطوف معه[129].

وكان أنس بن مالك قد وافق على إختيار معاوية له لتولي منصب القضاء في مدينة البصرة[130].

وأبقى معاوية زيداً بن ثابت في منصبه كرئيس للقضاء والفتوى في المدينة هذا المنصب الذي تولاه منذ خلافة عثمان بن عفان فلم يعزله معاوية ولم يستعفيه بل ظل في منصبه حتى وفاته[131].

وحفظ معاوية لأمهات المؤمنين أزواج النبي عليه الصلاة والسلام قدرهن بتفقد أحوالهن وإرسال الأموال فكانت السيدة عائشة ﷺ تستقبل ما يصلها منه ولا ترده[132].

وكان معاوية ﷺ يبعث بالأموال إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وإلى عبدالله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهم وغيرهم من أبناء الصحابة لا يقل عطاء أحدهم من ألف درهم فيأخذها ويقبلونها منه[133].

وكذلك هناك علاقات صداقة قديمة بين معاوية وبعض أقرانه من أبناء المدينة حافظ عليها معاوية فاستمرت حتى بعد تولية الخلافة فلم يشغله الحكم عنهم ولم ينساهم فهذا صديقه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب كان يسافر إلى الشام من أجل زيارة صديقه معاوية فيستقبله ويقدر له ذلك[134].

وكان معاوية شديد التواضع خاصة مع المدنيين للدرجة التي يشاركهم فيها موائدهم أثناء زياراته للمدينة خاصة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبدالله بن جعفر وغيرهم[135].

ولعل ذلك يوضح لنا حسن العلاقات بين معاوية والمدنيين وينفي وجود أي خلاف شخصي بينهم مما يؤكد رضاهم به خليفة. حيث استمرت العلاقات هكذا قوية ومتينة بين معاوية بن أبي سفيان وأهل الحجاز خاصة المدنيين، ولكن قراراً أصدره معاوية أدى إلى وجود فئة ترفض ذلك القرار وتعلن رأيها بوضوح وصراحة ولم يشكل ذلك مشكلة في عهد معاوية وإن كان له أثره السلبي فيما بعد، وكان ذلك القرار يتعلق بأمر الخلافة، لمن تكون بعد وفاة معاوية؟

الحج وأثره على الأوضاع الأمنية خارج المدن:

وقد تنبه المسلمون منذ وقت مبكر إلى العناية بطرق الحج وسلامة الحجيج وقوافلهم، فمنذ العهد النبوي الشريف وعهد الخلفاء الراشدين كان مصدر إمرة الحج وموردها تؤمن من مكة المكرمة والمدينة المنورة، إذ كان الخلفاء يجهزون الحجيج ومن ثم كانت ولايتهم الحاج، وبعد انتقال الخلافة إلى بني أمية، وكانت الشام دار ملكهم، كانت الإمرة تنطلق منها، ولقد حرص الخلفاء على توجيه ركب الحاج في موعده واختيار أميره، ويمكن استخلاص واجبات أمير الحج حسب ما ورد لدى بعض المصادر بأنها تدور حول توفير شروط الأمن والراحة وتأمين الماء والطعام لركب الحاج، وتأدية العبادة والشعائر، وتحديد المنازل للراحة والإقامة[136].

سعى الخلفاء والأمراء إلى العناية بطرق الحج وتمهيدها والتخفيف من قسوتها وإصلاحها، وأمروا بحفر الآبار وبناء المنازل وتحقيق كل ما فيه راحة الحجيج، كما اهتم الخلفاء بسلامة الحجيج وتأمين قوافلهم، بتعقب قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا يغيرون على الحجاج وقوافلهم، لإلقاء القبض عليهم والاقتصاص منهم.

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وطرق الحج تلقى العناية من الخلفاء والمسؤولين، ذكر الطبري أن عمر بن الخطاب قدم مكة عام (17هـ/638م)، وفي الطريق طلب منه أهل المياه أن يسمح لهم بإنشاء المنازل على طول الطريق بين مكة والمدينة -ولم يكن قبل ذلك بناء- فسمح عمر لهم بذلك على أن يكون ابن السبيل أحق بالظل والماء[137]، كما حفر أبو موسى الأشعري والي البصرة آبار على طول طريق البصرة – مكة، وذلك عام (17هـ/638م)[138]، وفي خلافة عثمان بن عفان تم حفر عيون للماء في منطقة فيد[139].

أما في عهد بني أمية، فقد أولى الخلفاء الأمويون اهتماماً بطرق الحج وسلامتها، فذكرت المصادر أن الوليد بن عبدالملك كتب إلى عمر بن عبدالعزيز والي المدينة في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة كما كتب إلى جميع عماله على البلدان بعمل الآبار بطرق الحجاز[140]، وذكر القلقشندي أن الوليد أول خليفة انشأ علامات المسافات على الطرق فكان «أول من بنى الأميال في الطرقات[141].

وتابع عمر بن عبدالعزيز أعمال الوليد بن عبدالملك في إصلاح الطرق وتوفير أسباب الراحة فيها، حيث أمر ببناء الخانات على الطرقات للمسافرين، فقد كتب إلى والي خراسان، سليمان بن أبي السري أن يبني الخانات على الطرقات ويطعم المسافرين، ويعتني بدوابهم، ويقدم الخدمة للمرضى منهم، ويدفع النفقات لتأمين سفر المنقطعين منهم إلى أهلهم[142].

كما كان لهشام بن عبدالملك اهتماماً بطريق الحج ما بين الشام ومكة، فذكر المسعودي أن هشام أنشأ القنوات والبرك على طريق الشام المؤدية إلى مكة؛ لسد حاجة الحاج من الماء، حيث «اتخذ القني والبرك بطريق مكة[143]، أما عن عناية الخلفاء والولاة بسلامة الحجيج فلقد تشددوا في تأمين سلامة الحجيج وقوافلهم، وحمايتهم من الصعوبات المتعلقة بأمان الطريق، من ذلك اعتداءات الأعراب على قوافل الحج ونهبها وقتل أفرادها، حيث كان الخلفاء يأمرون بتعقب اللصوص وقطاع الطرق، الذين كانوا يغيرون على الحجيج وقوافلهم، فعندما عين سعيد بن عثمان واليا على خراسان عام (56هـ/675م)، قام بالقبض على بعض الأعراب من تميم، الذين كانوا يقطعون الطرق على الحجاج ببطن فلج[144]، وذكر الفاكهي أن مروان بن الحكم أول من أرسل إلى الخلفاء بسلامة الحاج بمنى وعرفة ومكة[145]، وأظهر عبدالملك بن مروان موقفا حازما من قطاع الطرق الذين يتعرضون الحجاج، فذكر الأصفهاني أن مجموعة من قطاع الطرق أغاروا على أحد الحجاج وقتلوه وهو في طريقه إلى الحج، فكتب عبدالملك إلى واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وإلى ولاته الآخرين على بعض المدن، يلح عليهم بالبحث عن هؤلاء القتلة حتى تم القبض عليهم والقصاص منهم»[146].

ومن المخاطر الطبيعية التي كانت تواجه الحاج الفيضانات التي سببت خسارة فادحة في الأموال والممتلكات، فكانت مكة تعاني أحيانا من السيول الجارفة في بعض مواسم الحج، حيث أشارت المصادر إلى العديد من السيول التي أصابت مكة[147]، وكان أشد هذه السيول دماراً وترويعاً للحجاج سيل الجحاف والذي حدث في موسم الحج عام (80هـ/699م) يوم التروية، فذهب بمتاع الناس ومالهم وهدم الدور وقتل الهدم ناسا كثيرا، وكان هذا السيل في عهد عبدالملك بن مروان فكتب عبدالملك إلى والي مكة يأمره بعمل ضفائر للدور الشارعة على الوادي، وضفائر للمسجد وعمل الردم على أفواه السكك لتحسين دور الناس، وبعث لعمل[148] ذلك رجلا نصرانيا فاتخذ الضفائر وردم الردم الذي يعرف بردم بني قراد، وهو يعرف ببني جمح، واتخذ ردوم بأسفل مكة[149].

واهتم الخلفاء بسلامة الحجيج عند مغادرتهم لمكة بعد انقضاء المواسم، فقد كتب عمر بن عبدالعزيز الى واليه على مكة يأمره بأن يوقد النار ويضع المصابيح في طرقات مكة للحجاج عند رحيلهم، وأن يحرسوهم حتى لا يتعرضوا للسرقة[150].

الحجاز في عهد عبدالملك بن مروان من (65-86هـ/685م - 705م):

تولى عبدالملك بن مروان الخلافة بعد والده ووضع أمامه خطة تتمثل في القضاء على ما تبقي لابن الزبير من نفوذ، فبدأ عبدالملك أعماله العسكرية من أجل اعادة الوحدة للدولة بالاستيلاء على الحجاز أولاً فأرسل قواته والتي تمكنت من دخول المدينة وأخذ البيعة من أهلها لعبدالملك[151]، ويبدو أن أهل المدينة لم يكن لهم خلاف فيمن تكون له الخلافة عبدالملك أم ابن الزبير تحركت قوات عبدالملك بعد ذلك في طريقها إلى مكة حيث يقيم عبدالله بن الزبير لكن قابلتها قوات ابن الزبير وحققت عليها نصراً كبيراً نسبة للمساعدة العسكرية التي وصلت من البصرة للدفاع عن مكة[152]، ومن ثم صرف عبدالملك النظر مؤقتاً عن الحجاز بعد تلك الهزيمة التي منيت بها قواته فحاول أن يتخلص من خطر التوابين الذين ظهروا مرة أخرى للانتقام من الأمويين فتحرك بقواته إلا أنه وقبل أن يصل العراق أتته الأنباء بانتصار التوابين وقتلهم لعبيدالله بن زياد عام (66هـ/685م)[153].

شغلت تلك الحوادث والهزائم عبدالملك وجعلته يتوقف عن محاربة الزبيريين وذلك للاستفادة من الوقت في استعادة قواه ووضع خطط جديدة تمكنه من تحقيق هدفه المنشود ألا وهو الاستيلاء على مناطق نفوذ الزبيريين، ترك عبدالملك الفرصة لابن الزبير فأصبحت الأحوال مستقرة له خاصة أنه لم يفكر في أي عمل عسكري ضد عبدالملك، وأعطى كل زمنه للإصلاح الإداري فقام بالكثير من الأعمال منها التوسعة في المسجد الحرام فأصبحت مساحته أربعين ومائتين وثلاثة آلاف ذراع[154].

واهتم بأمر الشرب فحفر العديد من الآبار في مكة كما اهتم بالجانب الزراعي فأنشأ البساتين من ماله الخاص وشجع أصحاب الأموال لاستثمارها في المجال الزراعي خاصة في ضواحي مكة لتوفير الحبوب والخضروات[155]، وعمل على تخطيط الطرق بهدم بعض المنازل وذلك لاستقامتها بين الأحياء، واهتم بالبريد والأمن العام وخاصة في الأسواق فقد عين لها بعض المشرفين[156].

أعد عبدالملك جيشاً وأوكل قيادته إلى الحجاج بن يوسف الثقفي للتوجه نحو الحجاز؛ للقضاء على حركمة عبدالله بن الزبير، وقد أوصاه عبدالملك بعدة أمور لا يمكن تجاوزها وهي عدم التعرض للكعبة سواء بالقتال فيها أو رميها بالحجارة أو هتك استارها بل عليه محاربة ابن الزبير اقتصادياً بغرض الحصار عليه لكي يضطر للاستسلام[157].

تحرك الحجاج من الشام مواصلاً مسيره حتى توقف في الطائف حيث مسقط رأسه وعشيرته وبقي فيها لمدة شهر واتخذها معسكراً لقواته طيلة هذه الفترة[158] وتمكن من دخول المدينة

والتي لم يستطيع واليها مقاومة الحجاج فسلمت له وأخذ البيعة من أهلها لعبدالملك سواء كان ذلك طوعا كما فعل عبدالله بن عمر وأبناؤه أو كرها من الآخرين[159].

توجه الحجاج بعد ذلك قاصداً مكة وعسكر في عرفة وحاصر مكة واستمر على ذلك لمدة سبعة أشهر قلت خلالها المواد الغذائية وارتفعت أسعارها حتى أصبح ثمن المد من الذرة حوالي عشرين درهما[160].

أدى ذلك الحصار وطول مدته إلى إقناع الكثيرين بعدم جدوى الحرب فتسللوا وقابلوا الحجاج مبايعين لعبدالملك بعد أن ضمن لهم الحجاج سلامة أنفسهم فحاول عروة بن الزبير إقناع أخيه عبدالله بضرورة التسليم للحجاج ولكنه لم يوافق على ذلك كما لم يجبره على الاستمرار معه[161].

دخلت قوات الحجاج بعد ذلك مكة واشتبكت مع قوات ابن الزبير رضي الله عنه رغم قلتها وقد كان ابن الزبير يأتي والدته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يستشيرها في الأمر هل يستسلم أم يستمر في الدفاع عن نفسه ومبدئه فكانت تترك له حرية الاختيار فواصل دفاعه حتى انتهى به إلى اللاستشهاد وكان ذلك في شهر جمادى الأول عام (73هـ/ 692م)[162].

نسبة لطول مدة الحصار لم يلتزم الحجاج بالأمر الصادر من عبدالملك بعدم القتال في البيت الحرام مما حدي به إلى تجديد بناء الكعبة قبل مغادرته للحجاز[163].

بعد انتهاء الحجاج من مهمته العسكرية جمع له عبدالملك ولايتي الحجاز، وقد اتصف الحجاج بالشدة في إدارته وربما جاء اختيار عبدالملك له في هذا الوقت بالذات لأن الوضع في الحجاز كان يتطلب وجود شخص حازم يستطيع ضبط الأمور بعد القضاء على نظام ابن الزبير، ولكن الحجاج لم يجانبه التوفيق في التعامل مع بعض الشخصيات الهامة، فأساء التصرف مع أنس بن مالك حينما اتهمه الحجاج بموالاة الخوارج، فشكاه الناس إلى عبدالملك والذي أزعجه هذا التصرف فكتب إلى الحجاج لائماً وأمرا اياه بالاعتذار لأنس بن مالك بالطريقة التي ترضيه»[164]، وقد وجه الحجاج اتهاماً أخر إلى عبدالله بن عمر بأنه يرغب في الخلافة إلا أن ابن عمر نفي عن نفسه هذا الاتهام[165].

استمر الحجاج والياً على الحجاز ولم يتنفس أهله الصعداء إلا عام (75هـ/694م) حينما قام عبدالملك بنقل الحجاج إلى العراق فعادت المنطقة ولايتين كما كانت من قبل فاختار عبدالملك لولاية المدينة يحي بن عبدالملك بن العاص، ومن بعده ابان بن عثمان بن عفان وأخيرا هشام بن إسماعيل المخزومي[166].

أما ولاته على مكة والطائف فهم مسلمة بن عبدالملك بن مروان، الحارث بن خالد المخزومي، خالد بن عبدالله القسري، نافع بن علقمة الكناني، ويحيى بن الحكم بن العاص[167].

هـدأت الأحـوال بعـد ذلـك في الحجـاز واسـتكان النـاس لعبدالملـك بـن مـروان وحـاول الجميـع تنـاسي خلافاتهـم لا سـيما أل الزبـير فقـد تصالحـوا مـع عبدالملـك، فهـذا عـروة بـن الزبـير يذهـب إلى الشـام لمقابلـة ومبايعـة عبدالملـك، فيقـدر لـه ذلـك ويحسـن معاملتـه[168].

لم تظهـر أي معارضـة لعبدالملـك في الحجـاز إلا في أخـر عهـده حينـما أوصى بالخلافـة مـن بعـده لابنيـه الوليـد وسـليمان عـلى التـوالي إذ اعـترض عـلى ذلـك الفقيـه العـالم سـعيد بـن المسـيب والـذي تصـدى لـه والي المدينـة وأصـدر حكـماً عليـه بالجلـد[169].

عـين الوليـد في عهـده عمـر بـن عبدالعزيـز عـام (87هـ/706م) واليـاً عـلى المدينـة خلفـاً لهشـام بـن إسـماعيل المخزومـي الـذي كان قاسـياً في إدارتـه[170]، وقـام بمحاسـبة إبنـي هشـام وهـما إبراهيـم ومحمـد لأنهـما كانـا قـد اسـتقلا نفـوذ والدهـما فأخـذا حقـوق النـاس[171].

يذكـر أن عمـر بـن عبدالعزيـز لمـا جـاءه كتـاب التعيـين لم يكـن ليفـرح لأن الأمـر بالنسـبة لـه تكليفـاً وليـس تشريفـاً، بـل شرط عـلى قبـول البأمرعـدم التدخـل في سياسـاته فوافقـه الوليـد عـلى ذلـك بـل وشـجعه عـلى العمـل بالحـق وإن لم يدفـع لـه درهـماً واحـداً[172]، ويتضـح مـن ذلـك أن الوليـد لا يهمـه الحصـول عـلى الأمـوال بقـدر مـا يهمـه الإصـلاح والاسـتقرار.

تحـرك عمـر بـن عبدالعزيـز لاسـتلام مهامـه بالمدينـة فخـرج أهلهـا لاسـتقباله مسـتبشرين بقدومـه[173]، حـاول منـذ وصولـه كسـب ثقـة أهـل المدينـة وقد نجـح في ذلـك بالسـماح لهـم بالمشـاركة في إدارة ولايتهم وذلـك عـن طريـق مجلـس الشـورى الـذي كونـه عمـر واختـار لعضويتـه فقهـاء المدينـة وعلمائهـا وهـم سـليمان بـن يسـار، سـعيد بـن المسـيب، أبوبكـر بـن عبدالرحمـن بـن الحـارث بـن هشـام المخزومـي، خارجـة بـن زيـد بـن ثابـت الأنصـاري، القاسـم بـن محمـد بـن أبي بكـر الصديـق وسـالم بـن عبداللـه بـن عمـر بـن الخطـاب، وقـد أوضـح لهـم منـذ اجتماعـه الأول بهـم أن مهمتهـم الأساسـية تتمثـل في تقديـم النصـح والإرشـاد بالإضافـة للتبليـغ الفـوري إذا مـا حـدث أي ظلـم مـن عمالـه كـما أنـه سـوف لـن يصـدر أمـراً إلا بعـد استشـارتهم وموافقتهـم[174].

تمكـن عمـر بـن عبدالعزيـز مـن إعـادة المدينـة إلى سـيرتها الأولى -أمـن واسـتقرار- حتـى لقـد لقبـه أهلهـا بالرجـل الصالـح مـما جعـل الوليـد يضـم إليـه مكـة فأصبحـت الحجـاز ولايـة واحـدة تحـت إدارتـه[175].

نسـبة للأمـن الـذي شـهدته منطقـة الحجـاز فقـد شـاع خـبره في سـائر أرجـاء الدولـة الإسـلامية فأصبـح مـلاذاً للكثيريـن لاسـيما أهـل العـراق فـراراً مـن سياسـات الحجـاج فبـدأ الحجـاج اتصالاتـه المكثفـة بالوليـد بـن عبدالملـك ملفتـاً نظـره إلى قـدوم العراقيـين وايوائهـم بالحجـاز ربمـا يعطـي الفرصـة لمجموعـات أكـبر مـما يخـل بالأمـن الداخـلي فالـح الحجـاج عـلى الوليـد حتـى قـام بإعفـاء عمـر مـن منصبـه عـام (93هـ/711م)[176]، وقـام الوليـد بعـد ذلـك بإرجـاع الحجـاز ولايتـين كـما كانتـا مـن قبـل فعـين لولايـة المدينـة خالـد بـن عبداللـه القـسري وولايـة مكـة عثـمان بـن حيـان[177].

وكان ولاة عمر بن عبدالعزيز بالحجاز ممن عرفوا بالتقوى والصلاح فأبقى أبابكر بن محمد بن حزم في منصبه كوالي للمدينة، واختار لولاية مكة محمد بن طلحة بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق[178].

شهد عهد عمر بن عبدالعزيز أمن ورخاءاً في كل أنحاء الدولة ففي عهده جمدت أموال الزكاة إذ انعدم مستحقوها فأصبحوا لا حاجة لهم بها[179]،بفضل سياسته الناجحة فقد كان حريصا على تفقد أحوال رعيته عن طريق ولاته وعماله الذين انتقاهم بعناية خاصة فخلص الحجاز من أي مشاكل سياسية أو مالية فجاءه في كتاب من المدينة المنورة فيه:(الظالم فيها مقهور والمظلوم منصور والغني موفور والعائل مجبور)[180].

خلف يزيد بن عبدالملك ابن عمه عمر بن عبدالعزيز حسب وصية سليمان بن عبدالملك، وفيما يتعلق بالأحوال في الحجاز إبان عهده فنجده لم يجانبه الصواب حينما قام بعزل ولاة عمر بالحجاز وجعل المنطقة ولاية واحدة فولي عليها عبدالرحمن بن قيس بن الضحاك الفهري، الذي كان سيء السيرة فكرهه الناس وشكوه إلى يزيد فاستجاب لرغبتهم فعزله بعد أن أصدر أمراً باعتقاله ومحاسبته فحكم عليه بالغرامة المالية ثم السجن حتى أصبح فيما بعد يسأل الناس المساعدة[181].

أما خلفه عبدالواحد النضري فقد كان حسن السيرة كسب ثقة الناس فأحبوه وقد اقتدى هذا الوالي بعمر بن عبدالعزيز إبان ولايته للحجاز فجعل له مستشارين من فقهاء المدينة خاصة سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[182].

الحجاز في عهد هشام بن عبدالملك بن مروان (105-125هـ/723-742م):

توفي يزيد بن عبدالملك عام 105هـ/723م وخلفه أخوه هشام بن عبدالملك والذي استمرت خلافته لمدة عشرين عاما إلا بضع أشهر - بدأ هشام عهده بكثير من الإصلاحات خاصة في مجال الزراعة - والذي أولى منطقة الحجاز عناية خاصة فقام بحفر العديد من القنوات والبرك في طريق مكة[183].

واقتدى هشام بعمر بن عبد العزيز برد أملاك الغير التي صودرت لأسباب سياسية أو غيرها فأصدر أمراً بإرجاع المنازل التي كانت ملكاً لعبدالله بن الزبير في مصر فأمر بردها لمستحقيها[184]، وأجرى تغيراً إدارياً في الحجاز فعزل عبدالواحد النضري واستبدله بإبراهيم بن هشام المخزومي[185].

تعرضت منطقة الحجاز في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية إلى غزو من الخوارج تحت ستار الدعوة إلى عودة الخلافة إلى البيت العلوي عندما دخلتها قواتهم عام (129هـ/ 746م) بقيادة المختار بن عوف أبو حمزة الخارجي[186]، وكان أبو حمزة يأتي المدينة كل عام أثناء موسم الحج فيدعو الناس للخروج على الأمويين حتى التقي عام (128هـ/745م) بـــــ

عبدالله بن يحيى بن زيد المعروف «بطالب الحق» والمقيم باليمن فصحبه معه إلى هناك حيث بايعه أبوحمزة على الخلافة فتعهد له بالاستيلاء على الحجاز فدخل المدينة عام (129هـ/746م) ولم يستطع والي الحجاز عبدالواحد بن سليمان بن عبدالعزيز التصدي لهؤلاء الخوارج فولي هاربا[187].

عاث الخوارج فساداً في المدينة إذ قتلوا عدداً كبيراً من أهلها فهب مروان لإنقاذهم فأعد جيشاً أوكل قيادته إلى عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي والذي تمكن من تحرير الحجاز من سيطرة الخوارج وتعقب قائدهم إلى أن تمكن من قتله ثم تحرك حتى قضى على طالب الحق نفسه[188]، واسترد مروان بذلك منطقة الحجاز فولي عليها محمداً بن عبدالملك بن مروان[189].

الخاتمة:

أسهم الحج عبر تاريخه الطويل في ارتباط الحجاز ومدنه المختلفة بالبلاد الاسلامية من خلال وفود الحجاج التي تأتي كل عام، الأمر الي أدى في ناهية الأمر إلى قيام حركة تواصل حضاري وثقافي واجتماعي بين مجموعات الحجاج وأهالي الحجاز.

وقد وجد الحج والاهتمام به عناية كبيرة من قبل الخلفاء الراشدين وكذلك من حكام بني أمية الذين عملوا على تسهيل الحج لمن يرغب من المسلمين، كما أنهم عملوا عل تأمين قوافل الحجاج وضمان سلامتهم الأمر الذي انعكس ايجاباً على مدن الحجاز وأهله.

النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتي من أهمها:

- كان الحج محل اهتمام من قبل الخلفاء والأمراء طوال العهد الأموي.
- شهد الحجاز تطوراَ واستقراراً في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز.
- كان الحج أحد هم مصادر الدخل لأهل مكة والمدينة.
- شهد الحج عبر تاريخه الطويل الكثير من المخاطر والتي منها سيل الجفاف الذي اجتاح مكة في العام (80هـ/699م)

التوصيات:

- إعداد المزيد من الدراسات حول الحج وأثره على المدن الحجازية.
- التعرف على أثر المدن الحجازية على الحجاج الذين يفدون إليها في كل عام من مختلف البلاد الاسلامية.

المصادر والمراجع

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دى غوى ليدن: 1977م، ص36.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص35.

(3) ناصر خسرو: سفرنامه، ص137.

(4) الحموي: معجم البلدان، ج217/5.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص12.

(6) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 93/1.

(7) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز «تاريخ المستبصر»، ص11.

(8) الفتح: 24.

(9) البلد: 1.

(10) النحل: 112.

(11) الانعام: 92.

(12) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دى غوى ليبدن: 1302هـ/1885م، ص20؛ وابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص11-15.

(13) البقرة: 126.

(14) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص21.

(15) الحموي: معجم البلدان، 211/5-212.

(16) الحموي: معجم البلدان، 210/5-211.

(17) الماوردي: الاحكام السلطانية، ص95.

(18) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص37؛ والحموي: معجم البلدان، 217/5.

(19) المصدر نفسه، ص20.

(20) نفسه، ص27.

(21) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص27.

(22) ناصر خسرو: سفرنامه، ص137.

(23) ابن حوقل: صورة الأرض ص37. والادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص23.

(24) ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص203، 213، 218، 303، 314، 336؛ واليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج 20 ص 239، 291، 298، 321؛ والطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 5، ص225، 240، ومج 6، ص438، 465، 529، ومج 7 ص 35؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، مج 3، ص 446، 4710؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ 8 ص 27، 43، ج9، ص11، 177، 239، 240.

(25) ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص 207، 213، 218؛ واليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص239، 291؛ والطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد5، ص215، 240؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد3، ص446، 471؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص27، 43؛ والمقريزي: الذهب المسبوك، ص14؛ الجزيري: الدررالفرائد المنظمة في أخبار الحاج، وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر: حمد خسرو: الرياض: دار اليمامة، 1403هـ، ص195، 196؛ والرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص93-94.

(26) هو الصحابي الجليل: معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، وأمه هند بنت عتبة بن أبي ربيعة، وكان يلقب بـ (خال المؤمنين) ، لأن أخته ام حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي. ولد معاوية قبل الهجرة بنحو خمسة عشر عاما، وأسلم يوم فتح مكة سنة ههـ وقيل في عمرة القضاء سنة 7 هـ. وكان من كتاب الوحي الرسول الله، وفي عهد أبي بكر الصديق شارك في الفتوح الإسلامية في بلاد الشام، ثم انفرد بإمارة الشام في عهد عمر بن الخطاب وظل أميراً عليها في عهدي عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. وكان له دور كبير في إنشاء الأسطول الإسلامي وغزو جزر البحر المتوسط. بويع له بالخلافة سنة 41هـ بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب، وتنازل الحسن عن الخلافة، وقد ظل في الخلافة ما يقرب من عشرين عاما، وطد فيها أركان الدولة الإسلامية، وكانت وفاته في منتصف شهر رجب سنة 60هـ.

(27) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج 2، ص239؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج5، ص215، 240؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج3، ص446، 771؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص27، 43؛ الجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص195؛ الرشيدي: حسن الصفاء والابتهاج، ص93.

(28) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية - أخو معاوية بن أبي سفيان، ولد عتبة على عهد الرسول، ولاه عمر بن الخطاب على بلاد الطائف وصدقاتها، ثم ولاء اخوه معاوية مصر بعد

وفاة عمرو بن العاص سنة 43 هـ ، فأقام عليها سنة، ثم توفي فيها ودفن بمقبرتها سنة 44هـ وكان عتبة فصيحا بليغا حتى يقال: إنه لم يكن في بني أمية أخطب منه. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب، مصر: مطبعة مصطفى محمد، 1358هـ/1939م، ج8، ص7-8؛ والزركلي: الأعلام، بيروت: لبنان، دار العلم للملايين، 1997م، مج 4، ص200، ط2.

(29) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج 2، ص239؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 5 ص171؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج3، ص419؛ الجزيري: درر الفوائد المنظمة ص195. وقد ذكر كل من الطبري: وابن الأثير رواية أخرى تقول أن الذي حج بالناس في تلك السنة هو عنبسة بن أبي سفيان.

(30) عنبسة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية من الأمراء، كان أخوه معاوية ابن أبي سفيان يوليه ويعتمد عليه، وآخر ما وليه إمرة مكة، وتوفي بالطائف سنة 50 هـ الزركلي: الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، 1997م، مجلد5، ط2، ص91.

(31) تاريخ الرسل والملوك: مجلد5، ص18، 230؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 3، ص419، 456. أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي حج بالناس في تلك السنتين هو عتبة بن أبي سفيان (اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج 2 ص239)، كما ذكر الجزيري أن الذي حج بالناس في سنة 42هـ- هو مروان بن الحكم، وفي سنة 47هـ عتبة بن أبي سفيان، الجزيري: درر الفوائد 195- 196)، وهذا ليس بصحيح لان عتبة توفي سنة 44هـ.

(32) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، ولد في السنة الأولى للهجرة، وروى حديثا عن النبي، كما روى الحديث عن بصحيح طائفة من كبار الصحابة، وكان كاتبا للخليفة عثمان بن عفان الله وصاحب سره، شهد موقعة الجمل مع طلحة والزبير وعائشة، ولاه معاوية بن أبي سفيان على المدينة أكثر من مرة، وكان يحج بالناس أثناء إمارته عليها، وبويع له بالخلافة في مؤتمر الجأبي ة سنة 64هـ وتوفي في شهر رمضان سنة 65هـ عن أربع وستين سنة.

انظر ترجمته بالتفصيل عند الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:سير أعلام النبلاء، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج3، ص476؛ وابن سعد: الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة المنورة ومن بعدهم، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1208هـ/1987م، ج5، ص35؛ ومصعب الزبيري: نسب قريش ص159، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة: دار المعارف، 1976م.

(33) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص239، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد5، ص211، 224، 231، 298، 300؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 3، ص439، 452، 457، 502، 503؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج 8، ص25، 28، 31، 65، 70.

(34) سعيد بن العاص بن سعيد بن أحيحة بن العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي، وأمه أم كلثوم بنت عمرو بن عبدالله بن أبي قبيس، وهو أحد الكتاب الذين كتبوا للخليفة عثمان بن عفان، واستعمله على الكوفة، واعتزل الفتنة عهد عثمان وعلي، إلى أن ولاه معاوية على الحجاز، وتوفي سنة 59 هـ وقيل سنة 58هـ انظر ترجمته بالتفصيل عند: ابن سعد: الطبقات الكبرى جح5، ص30-35؛ وابن الأثير: أُسد الغابة ج2، ص309–311. مصر: 1284هـ؛ وابن كثير: البداية والنهاية ج8، ص82.

(35) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2 ص239؛ والطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 5، ص233، 287، 292؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص32، 59، 65؛ والجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص196.

(36) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن ضمر بن حرب بن أمية بن عبدمناف بن قصي ابن كلاب القرشي الأموي، ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، معاوية والوليد عليها، ثم عزله يزيد بن معاوية حين تولى الخلافة، ثم أرجعه بعد ذلك واليا على بلاد الحجاز كلها، وكان الوليد حكيما كريما، توفي سنة 64هـ لمزيد من التفاصيل عن سيرته انظر نسب قريش للزبيري ج31، ص133؛ والفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ج7، ص391، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة: 1381؛ والزركلي: الأعلام، مج 8، ص121.

(37) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص239؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد5، ص301، 309، ولم يذكر أحداً تولى إمارة الحج في سنة 57هـ. وابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 3، ص503، 514، 520؛ وابن كثير: البداية والنهاية ج8، ص77، 80؛ والجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص196-197.

(38) عثمان بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف الأموي، وأمه أم عثمان بنت أسيد بن الأخنس بن شريق، ولاه يزيد بن معاوية مكة بعد الوليد بن عتبة الذي عُزل بتدبير من عبدالله بن الزبير وذلك في سنة 62هـ وقد ظل عثمان أميراً على المدينة حتى ثار أهل المدينة على الأمويين وحاصروا دار الإمارة، وأعلنوا خلع البيعة ليزيد من معاوية، وطلبوا من الأمير عثمان بن محمد أن يغادر المدينة، فخرج منها بأهله وزاده، ولجأ إلى الشام. ابن سعد: الطبقات الكبرى، مج، ص38، 225، والفاسي: العقد الثمين ج6، ص37.

(39) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص239. الطبري: تاريخ الرسل والملوك: مجلد5، ص321، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 3، ص525؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص95؛ الجزيري: درر الفوائد المنظمة ص197.

(40) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين، وأمه ميسون بنت جحدل بن أنيف الكلبي.، ولد يزيد أثناء لاية أبي ه على الشام في عهد عثمان بن عفان سنة 26هـ فنشأ في عز الإمارة ومجدها، وعنى أبوه بتربيته تربية عربية إسلامية، فقد أرسله في طفولته إلى البادية عند أخواله من بني كلب، ليشب في خشونة البادية وينشأ على الرجولة والفتوة، ويتعلم اللغة العربية الفصحى، ولقد أثمرت هذه التربية في يزيد، فكان شاعراً فصيحاً وأديباً لبيباً، حاضر البديهة، أبي النفس كريما، عالي الهمة، يحسن التصرف في المواقف، ويعد يزيد من الطبقة الأولى من التابعين، وله أحاديث، روى عن أبي ه معاوية، وروى عنه ابنه خالد، وعبدالملك بن مروان، وقد لقبه كل من الليث بن سعد فقيه مصر، وابن كثير بأمير المؤمنين، وقد كان في يزيد خصال محمودة من الكرم، الحلم، والفصاحة، والشعر، والشجاعة، وحسن الرأي في الملك، وكان ذا جمال، حسن المعاشرة، وقد أسند إليه أبوه قيادة الجيش الذي أرسله لغزو القسطنطينية سنة 49هـ وكان تحت إمرته في هذا الجيش عدد كبير من الصحابة، ومنهم: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وغيرهم، كما كان أبوه يؤمره على الحج، وقد أخذ له البيعة بالخلافة من سائر الأمصار قبل وفاته، ولما توفي معاوية في منتصف شهر رجب سنة 60هـ آلت الخلافة إلى ابنه يزيد في اليوم نفسه، وقد ظل في الخلافة ما يقرب من أربع سنوات، وفي عهده وقعت حوادث أليمة منها: ثورة أهل المدينة، وموقعة الحرة سنة 63هـ . ثم مقتل الحسين بن علي في كربلاء سنة 64هـ وكانت وفاة يزيد في قرية حوارين بالشام لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة 64هـ انظر ترجمة يزيد وأخباره في: نسب قريش للمصعب الزبيري ص127، القاهرة: دار المعارف، 1976م؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج5، ص399 وما بعدها؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد4، ص125 وما بعدها؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص35-40؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص226 وما بعدها.

(41) اليعقوبي:اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج 3، ص239؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج5، ص 286؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد3، ص490؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص54، أما الجزيري والرشيدي فقد ذكرا أن الذي حج بالناس فيها هو معاوية بن أبي سفيان (درر الفوائد المنظمة ص196، الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج ص 93)، والراجح أنه يزيد بن معاوية، حيث أجمع عليه معظم المؤرخين.

(42) عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن أبي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبدشمس، وأمه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس، كان من رجال قريش، ولاه يزيد بن معاوية على المدينة المنورة، وحج بالناس سنة 60هـ وكان أحب الناس إلى أهل الشام، لذا كانوا يسمعون له ويطيعون، فلما ولي عبدالملك بن مروان الخلافة خافه، ولم يزل مرصداً له لا يأمنه حتى بعث إليه يوما خاليا فعاتبه على أشياء قد عفاها عنه، ثم وثب عليه فقتله سنة 69هـ وقيل سنة 70هـ، وكان عمرو هذا يكنى أبا أمية. وقد

روى الحديث عن عمر وعثمان وعلي وعائشة ﷺ، راجع سيرته بالتفصيل عند: ابن سعد: الطبقات الكبرى ج5، ص237-ص238؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج8، ص305-310.

(43) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص253، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد5، ص399؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ص43؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص168، أما الجزيري فقد ذكر روايتين، إحداهما تقول: إن الذي تولى إمارة الحج في سنة60هـ هو عمرو بن سعيد بن العاص، والثانية تقول: إن الذي تولاها في تلك السنة هو الوليد بن عتبة (درر الفوائد المنظمة، ص197). ولا شك أن الرواية الأولى هي الأصح، لأنها تتفق مع روايات باقي المؤرخين.

(44) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص253؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد5، ص477؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد4، ص101؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج8، ص209؛ ودرر الفوائد المنظمة، ص197، وقد ذكر الجزيري رواية أخرى تقول إن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو عمرو بن سعيد، والأصح الرواية الأولى.

(45) يذكر لنا المؤرخون أنه في سنة 68هـ وقف بعرفات أربعة ألوية: لواء مع محمد ابن الحنفية وأصحابه، ولواء مع ابن الزبير، ولواء مع نجدة بن عامر الحروري، ولواء مع بني أمية. وكان أول من دفع رايته ابن الحنفية، ثم نجدة الحروري، ثم بنو أمية، ثم دفع ابن الزبير فدفع الناس معه. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص268؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد1، ص138؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد4، ص296؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج8، ص292؛ ودرر الفوائد المنظمة، ص199.

(46) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 2، ص175؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ص350؛ وابن كثير البداية والنهاية في التاريخ ج8، ص324؛ والمقريزي: الذهب المسبوك، ص25، 26.

(47) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود. بن ثقيف، ولد في قبيلة ثقيف سنة 42هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وأمه مطلقة المغيرة ابن شعبة، لذا كان الحجاج يسمى(عبدثقيف)، وقد كان منذ صغره يحب(العراك) ولذا عرف بـ(كليب)، وكان هو وأبوه يعلمان الأطفال بالطائف، ، وقد تركا الكلام ليأخذا السيف: فاشتركا في موقعة الحرة سنة 73هـ، وفي موقعة الربذة. بعثه الخليفة عبدالملك بن مروان في ألفي فارس إلى مكة لقتال عبدالله بن الزبير رضي الله عنه سنة 73هـ، فالجز مهمته وقضى على ابن الزبير في جمادى الآخرة من نفس العام، ثم ولاه عبدالملك على المدينة سنة 64هـ، وحج: بالناس فيها، كما ولاه العراق سنة 75هـ، وقام ببناء مدينة واسط سنة 78هـ، سماها(واسط)، لأنها بين البصرة والكوفة، كما قام بجهود كبيرة في

خدمة الأمويين، والقضاء على الثورات التي واجهتهم، وتوفي الحجاج في مدينة واسط سنة 95هـ، ودفن بها وعمره ثلاث وقيل أربع وخمسون سنة. ترجمة الحجاج وأخباره بالتفصيل عند: المسعودي: مروج الذهب ج5، ص288؛ وابن خلكان: وفيات الأعيان، مجلد2، ص29-54، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار صادر؛ وابن عبدربه: العقد الفريد، ج3، ص6 وما بعدها، ؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج1، ص121-144.

(48) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبي ه ولم يبلغ الحلم، وهاجر وعمره عشر سنين، وشهد غزوة الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، كما شهد المشاهد بعدها مع رسول الله، كما شهد اليزموك وجلولاء وما بينهما من وقائع الفرس، وشهد فتح مصر، واختط بها دارا، وقدم البصرة، وشهد غزو فارس، وورد المدائن مراراً، وكان عمره عندما مات النبي م اثنتين وعشرين سنة، وكان جوادا كريما، أعتق ألف رقبة قبل موته، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا، وكان أعلم الناس بمناسك الحج، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد، وروى عن النبي أحاديث كثيرة، كما روى عن الصديق وعن عمر وعثمان وعائشة وغيرهم، توفي ابن عمر 74سنة هـ وقيل سنة 73هـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج 3 ص 30؛ وابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص5-6.

(49) ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص.

(50) هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وأمه عائشة بنت المغيرة بن أبي العاص بن أمية، ولد في المدينة سنة 26هـ في خلافة عثمان بن عفان، ونشأ بها نشأة علمية، وتتلمذ على كبار الصحابة، وروى عنهم الحديث، كما روى عنه جماعة من التابعين، وكان من فقهاء المدينة المعدودين، ولقب بـ(حمامة المسجد)، الملازمته مسجد الرسول، بويع له بالخلافة في شهر رمضان سنة 65هـ في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه مروان. وتجمع المصادر التي ترجمت وأرخت له على أنه كان من عقلاء الرجال وأفذاذهم ومن أكثرهم دهاءاً وحزما وشجاعة وإقداما، ولقد برهن عبدالملك على كفاءته العالية سواء في إعادة توحيد الدولة الإسلامية، وفي الإدارة والسياسة، حيث استطاع في مدة خمس سنوات أن يتخلص من سائر خصومه، وأن يعيد الوحدة للأمة الإسلامية، ولذا اعتبره المؤرخون المؤسس الثاني للدولة الأموية، واعتبروا محام 73هـ الذي تولى فيه الخلافة بالإجماع، عام الجماعة الثاني، توفي عبدالملك في منتصف شهر شوال سنة 86هـ، انظر ترجمته وأخباره في: طبقات ابن سعد، ج5، ص223، والمعارف لابن قتيبة ص355، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، ط ع - القاهرة، ص واليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج 2، ص269؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد4، ص519؛

ابـن كثـير: البدايـة والنهايـة في التاريـخ ج8، ص260؛ الذهبـي: سـير أعـلام النبـلاء، ج4، 236 ومـا بعدها، والنجـوم الزاهرة لابن تغري بردي ج1، ص212.

(51) اليعقـوبي: تاريـخ اليعقـوبي، مـج 2، ص281؛ الطـبري: تاريـخ الرسـل والملـوك، مـج 1، ص 209؛ ابـن الأكثـير: الكامـل في التاريـخ، مـج 4، ص391؛ ابـن كثـير: البدايـة والنهايـة، ج9، ص10؛ المقريـزي: الذهـب المسـبوك ص 37؛ والجزيـري: حـرر الفوائـد المنظمـة ص201؛ والرشـيدي: حسـن الصفـا والابتهاج ص94.

(52) اليعقـوبي: تاريـخ اليعقـوبي، مـج 2 ص 281؛ الطـبري: تاريـخ الرسـل والملـوك، مـج 6، ص 194، 201؛ والهدايـة والنهايـة في التاريـخ ج8، ص332، ج 9، ص 4؛ ودرر الفوائـد المنظمة ص 200؛ الرشـيدي: حسـن الصفا والابتهاج ص 94.

(53) آبـان بـن عثـمان بـن عفـان بـن أبي العـاص بـن أميـة بـن عبدشـمس، وأمـه أم عمـر بنـت جنـدب بـن عمـرو بـن حممـة بـن الحـارث، ولي المدينـة لعبدالملـك بـن مـروان لمـدة سـبع سـنوات، وحـج فيهـا بالنـاس ثـلاث مـرات، ثـم عزلـه عبدالملـك عنهـا، وولاهـا هشـام بـن إسـماعيل المخزومـي، وقـد أصيـب أبـان بالفالـج قبـل أن يمـوت بسـنة، وكان يقـال بالمدينة:(فالـج آبـان » لشـدته، وقـد تـوفي أبـان في المدينـة في خلافـة يزيـد بـن عبدالملـك سـنة 105هـ وقيـل سـنة 106هـ. وكان أبـان مـن فقهـاء التابعـين وعلمائهـم، روى عـن أبي هـ، وكان ثقـة ولـه أحاديـث. ابـن سـعد: الطبقـات الكـبرى جـ5، ص151-152؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9، ص239.

(54) اليعقـوبي: تاريـخ اليعقـوبي، مـج2، ص281، الطـبري: تاريـخ الرسـل والملـوك، مـج 6، ص256، 318، 324، 329، 356؛ ابـن الأثـير: الكامـل في التاريـخ، مـج 2، ص418، 447، 448، 452، 456؛ ابـن كثـير: البدايـة والنهايـة في التاريـخ ج9، ص16، والجزيـري: دور الفوائـد المنظمـة ص202. وقـد ذكـر كل مـن الطـبري وابـن كثـير أن الـذي تـولى إمـارة الحـج سـنة 78هـ هـو الوليـد بـن عبدالملـك، ولم يذكـر ابـن الأثـير مـن تـولى إمـارة الحـج في سـنة 82هـ كذلـك لم يذكـر ابـن كثـير مـن تـولى هـذه الإمـارة سـنة 78هـ أمـا الجزيـري فقـد وافـق معظـم المؤرخـين في ذكـر مـن تـولى إمـارة الحـج في سـنوات 76، 77، 78، 79 هـ وهـو أبـان بـن عثـمان، ثـم خالفهـم في ذكـر روايـة ثانيـة في سـنتي 80، 82هـ فذكـر في. سـنة 80هـ غير آبـان: سـليمان بـن عبدالملـك، وذكـر في سـنة 82هـ غير أبـان أيضاً: هشـام بن إسـماعيل المخزومـي (درر الفوائـد المنظمـة ص 202)، والـرا، والراجـح أن الـذي حـج بالنـاس في تلـك السـنوات المذكـورة كلهـا هـو أبان ابن عثمان، حيث أجمع عليه معظم المؤرخين.

(55) سـليمان بـن عبدالملـك بـن مـروان بـن الحكـم، وأمـه ولادة بنـت العبـاس العبسـية، ولـد بالمدينـة المنـورة، ونشـأ بالشـام، وكان يحـب البادية والإقامـة فيهـا، بويـع لـه بالخلافـة في منتصـف جـمادى الآخـرة سـنة 96هـ وتـوفي في شـهر صفـر سـنة 99هـ وكان مـن أفضـل الخلفـاء في نـشر العلـم

والجهاد، كما كان دينا فصيحا، مفوها، عادلاً، محبا للغزو، ترجمته في: اليعقوبي: تاريخه، مج2، ص293؛ الطبري: ألرسل والملوك، ج6، ص505؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص111؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص177 وما بعدها.

(56) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص281؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد6، ص341؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ص341؛ والجزيري: درر الفوائد المنظمة ص202. أما ابن كثير فقد ذكر أن الذي حج بالناس في تلك السنة هو إسحاق بن عيسى، والراجح ما اتفق عليه معظم المؤرخين السابقين.

(57) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أمير المدينة المنورة، كانت ابنته زوج الخليفة عبدالملك بن مروان، الذي ولى هشاما هذا على المدينة سنة 82هـ واستمر في الإمارة إلى سنة 87هـ حيث عزله الوليد بن عبدالملك، وولى مكانه عمر بن عبدالعزيز، وقد تولى هشام بن إسماعيل إمارة الحج عدة سنوات متتالية أثناء إمارته على المدينة، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق، وتوفي بها سنة 89هـ راجع سيرته بالتفصيل عند: ابن كثير البداية والنهاية في التاريخ، ج9، ص8، والزركلي: الاعلام، بيروت: دار العلم للملايين، 1979م، ط4، ج8، ص84.

(58) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص281؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج6، ص384، 388، 417؛ والجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص202؛ والرشيدي: حسن الصفا والابتهاج ص94.

(59) هو الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء لبن الحارث العبسي، ولد حوالي سنة 50هـ وهو أكبر أولاد أبي ه، وقد أولاه عناية خاصة لأنه ولي عهده، وقد شب الوليد على الصلاح والتقوى، وحب القرآن الكريم والإكثار من تلاوته، ولقد كان الوليد من الرجال المحظوظين في التاريخ، وبويع له بالخلافة في منتصف شوال سنة 86هـ في نفس اليوم الذي مات فيه أبوه عبدالملك، وكان عهده غرة في جبين الدولة الأموية، حيث شهد ذلك العهد للمبارك فتوحات كبرى، وبناء وتعمير، ونعم الناس فيه بالهدوء والاستقرار والبناء والعمران، وعمهم الرخاء الواسع والازدهار العظيم، وسبق الوليد كل دول العالم في رعاية المرضى وأصحاب العاهات وعلاجهم على حساب الدولة، توفي الوليد في منتصف جمادى الآخرة سنة 96هـ.

انظر ترجمة الوليد وأخباره في: المعارف لابن قتيبة، ص359، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي مج2، ص283؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص496؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج4، ص347؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9، ص195-169.

(60) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 6، ص 465؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 4، ص554؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص 86؛ ودرر الفوائد المنظمة ص203. أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة

الحج في تلك السنة هو عمر ابن عبدالعزيز (اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص291)، والراجح أنه الخليفة الوليد بن عبدالملك، حيث أجمع على ذكره معظم المؤرخين.

(61) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص291؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج6، ص426؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 4، ص524؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9 ص65؛ ودرر الفوائد المنظمة ص202، وقد ذكر الجزيري رواية ثانية تقول: إن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة (86هـ) هو العباس بن الوليد بن عبدالملك. والراجح أنه هشام بن إسماعيل المخزومي، حيث أجمع على ذكره باقي المؤرخين.

(62) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد عمر بن عبدالعزيز بالمدينة المنورة سنة 62هـ على الأرجح، ونشأ بها بناء على رغبة أبي ه الذي تولى إمارة مصر بعد مولده بثلاث سنوات(65 هـ)، وقد أخذ عمر العلم عن علماء المدينة، وروى الحديث عن كثير من الصحابة والتابعين، منهم: أنس بن مالك: وعبدالله بن جعفر، وسهل بن وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وغيرهم. وكان عمر فقيها مجتهدا، وتابعاً جليلاً، وهو حجة عند العلماء، وقد روى عن عمر كثير من التابعين، منهم أبو بكر بن حزم، ورجاء بن حيوة، والزهري، وكثيرون غيرهم. وقد ظل عمر يقيم في المدينة المنورة حتى وفاة أبي ه سنة 85هـ، فأخذه عمه عبدالملك بن مروان إلى دمشق، وخلطه بأولاده، وزوجه ابنته فاطمة، ثم عينه على إمارة خناصرة - وهي إمارة صغيرة في الشام أعمال حلب - وظل عمر في ولايته هذه حتى وفاة عبدالملك سنة 86هـ ولما تولى الوليد الخلافة بعد موت أبي ه ظل على الإحسان إلى ابن عمه عمر، وعامله كما كان يعامله أبوه، ثم عينه واليا على المدينة المنورة سنة 87هـ وقد ظل والياً على المدينة حوالي سبع سنوات، كان فيها موضع الرضا من أهلها، وبعد أن توفي الخليفة سليمان بن عبدالملك، بويع لعمر بن عبدالعزيز بالخلافة في شهر صفر سنة 99هـ، واستمر فيها حوالي سنتين وبضعة شهور، قام خلالها بعدة إصلاحات هائلة في الداخل والخارج، وأصبح موضع الرضا والاحترام من أشد الفرق عداء ا لبني أمية، كالخوارج والشيعة، أما عند علماء الأمة من أهل السنة فهو من الخلفاء الراشدين المهديين، والعلماء العاملين، وكانت وفاته في أواخر شهر رجب سنة 101هـ، ترجمته وأخباره بالتفصيل في: فتوح البلدان للبلاذري ص540، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، القاهرة: النهضة المصرية؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ لابن الأثير: مج5، ص38 وما بعدها؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ه، ص330 وما بعدها؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء للذهبي ج5، ص114؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ج9، ص192 وما بعدها.

(63) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص291؛ والطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج2، ص433، 437، 441، 447، 468؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ص530، 540، 548، 569؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج9، ص76، 79، 81، 88، ولم يذكر ابن كثير من تولى إمارة الحج سنة90هـ، والجزيري: دور الفوائد المنظمة، ص202-203؛ والرشيدي: حسن الصفا والابتهاج ص94، وقد ذكر اليعقوبي أن الذي حج بالناس سنة 88هـ هو الخليفة الوليد بن عبدالملك، كما ذكر كل من الطبري: وابن الأثير: وابن كثير، أن الذي حج بالناس سنة 93هـ هو عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك) تاريخ الرسل والملوك، مج6، ص428؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ص578؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9، ص93، كذلك ذكر الجزيري رواية أخرى فيمن حج بالناس سنة 92هـ تقول: إنه عثمان بن الوليد بن عبدالملك، والراجح أنه عمر بن عبدالعزيز حيث ذكره معظم المؤرخين.

(64) مسلمة بن عبدالملك بن مروان القرشي الأموي، كان من رجال بني أمية، وكان يلقب بـ(الجرادة الصفراء)، وله آثار كثيرة وحروب ونكاية في العدو من الروم وغيرهم، وقد فتح حصوناً كثيرة من بلاد الروم، وحاصر القسطنطينية، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم عزله وتولى أرمينية، وروى الحديث عن كثير من التابعين، وتوفي في شهر المحرم سنة 121هـ في خلافة هشام بن عبدالملك وقيل سنة 120هـ، وكانت وفاته بموضع يقال له: « الحانوت »، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج9، ص336-337.

(65) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص291، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج6، ص91، وابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 4، ص582، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ9، ص102، والجزيري: درر الفوائد المنظمة ص203. وقد ذكر كل من الطبري وابن الأثير رواية ثانية تقول: إن الذي حج بالناس في تلك السنة هو عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك، وشاركهما في هذه الرواية أيضاً الجزيري: وأضاف رواية ثالثة تقول: إن الذي حج فيها هو سليمان بن عبدالملك، ورواية رابعة تقول: إن الذي حج فيها هو عثمان بن حبان المزني. أما ابن كثير فقد ذكر رواية ثانية تقول: إن الذي حج بالناس فيها هو العباس بن الوليد بن عبدالملك. وأرجح أن الذي حج بالناس في تلك السنة(94 هـ) هو مسلمة بن عبدالملك، حيث نص عليه اليعقوبي وحده، و، ولم يذكر أحداً غيره، كما أن كل واحد من باقي هؤلاء المؤرخون قد ذكره ضمن رواياته.

(66) بشر بن الوليد بن عبدالملك بن مروان. قال عنه ابن قتيبة: إن كان عالم بني الوليد. ابن قتيبة: المعارف، ص359.

(67) لطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج6، ص493؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ م، مج 4، ص591؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9، ص121. أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة

الحج في تلك السنة(95هـ) هو أبو بكر محمد بن حزم، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص291، كما ذكر الجزيري والرشيدي أن الذي حج بالناس في تلك السنة هو الخليفة الوليد ابن عبدالملك (درر الفوائد المنظمة ص203؛ الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج. 94)، والراجح أنه بشر بن الوليد بن عبدالملك حيث ذكره أغلب المؤرخين.

(68) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص300؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج6، ص529؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج5 ص26؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9، ص177؛ والمقريزي: الذهب المسبوك، ص33؛ والجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص203؛ والرشيدي: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ص94.

(69) أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، كان تلميذ الفقهاء الكبار في المسجد النبوي، وما لبث أن تصدر للحديث والفتيا، وقد أعجب به عمر بن عبدالعزيز منذ أن كان بدرس معه في حلقات المسجد، فلما تولى عمر إمارة المدينة ولاء قضاءها، وثبته الخليفة الوليد بن عبدالملك، وقد ظل واليا على قضاء المدينة حتى تولى سليمان بن عبدالملك الخلافة، فولاه على إمارة المدينة. وظل على إمارتها حتى عزله الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة 101هـ. الطبري تاريخ الرسل والملوك، مج2، ص433، 482، 505، 522، 554، 563، 574.

(70) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص300؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 1، ص522؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد5، ص20؛ ابن كثير: البداية والنهاية جـ 9، ص173؛ درر الفوائد المنظمة، ص203.

(71) عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أبي أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف الأموي، المكي، ولي إمرة مكة سنة 96هـ وعزل عنها من قبل الخليفة سليمان بن عبدالملك، حيث ولى بدلا عنه على مكة طلحة ابن داود الحضرمي، ثم أعيد في سنة 97هـ لإمارة مكة بعد ولاية طلحة عليها ستة أشهر، وظل أميراً على مكة حتى سنة 103هـ حيث عزل عنها، وضمت إمارتها مع إمرة المدينة إلى عبدالرحمن بن الضحاك الفهري. انظر تفصيل ذلك في: نسب قريش 190 - 191؛ وتاريخ مكة للأزرقي جـ 2، ص 163؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج 6، ص170- 173، 522، 529، 45 5، 554، 589 - 686؛ والفاسي: العقد الثمين ج5، ص 450.

(72) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص300؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 6، ص 545؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد5، ص36؛ والجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص240، وقد ذكر الجزيري رواية أخرى يقول فيها: إن الذي حج بالناس في تلك السنة(98هـ) هو أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، والأرجح الرأي الأول الذي أجمع عليه معظم المؤرخين.

(73) نفس المصادر السابقة على الترتيب، صفحات: 308-0554 562 643، 55، 189، 194، 204.

(74) عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك الفهري، أمير الحرمين، ولاه يزيد ابن عبدالملك إمارة المدينة سنة 101هـ فحج بالناس ثلاث سنوات متتاليات، ثم ضمت إليه مكة مع المدينة، ثم عزل عنهما للنصف من شهر ربيع الأول سنة 14هـ فكانت إمارته على المدينة ثلاث سنين وشهور، وكان يأبى أن يستشير العلماء إذا أشكل عليه أمر، فأبغضه الناس وذمه الشعراء، وهذا يتناقض مع ما ذكره ابن عساكر من ثناء الناس عليه بعد عزله. راجع أخباره عند: ابن سعد: الطبقات الكبرى ج8، ص474 وما بعدها، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 7، ص12 - 14؛ وابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق ج14، ص270؛ والفاسي: العقد الثمين ج5، ص359.

(75) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج 2، ص314، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 4 ص 589، 617، 620؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد5، ص 77، 101، 105؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ 9، ص 224، 228، ولم يذكر ابن الأثير من تولى إمارة الحج سنة 102هـ والجزيري: درر الفوائد المنظمة ص 204، قد ذكر رواية أخرى تقول: إن الذي حج بالناس سنة 101هـ هو عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد أمير مكة.

(76) عبدالواحد بن عبدالله بن كعب بن بشر النصري الدمشقي، أبو بشر، التابعي، من رجال الحديث الثقات، ولي مكة، والمدينة، والطائف سنة 104هـ واستمر سنة وثمانية أشهر، ثم عزله هشام بن عبدالملك سنة 106هـ وتوفي بعد تلك السنة. الزركلي: الأعلام، مجلد4، ص176.

(77) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص314، وتاريخ الطبري: مج 7، ص20، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 5، ص 116، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9، ص234. أما الجزيري فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة(104 هـ) هو أمير الحرمين عبدالواحد بن كعب بن عمرو بن منيع بن عباد بن عوف بن فضل بن معاوية بن هوازن النصري(درر الفوائد المنظمة ص204). والراجح الرأي الأول، حيث أجمع عليه باقي المؤرخين.

(78) هشام بن عبدالملك بن مروان، ولد في دمشق سنة 71 هـ وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة 105هـ وخرج على زيد بن علي بن الحسين سنة 120هـ الفا بأربعة عشرا من الكوفة، فوجه إليه من قتله وشتت جمعه، ونشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك فيما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان، واستيلاء المسلمين على بعض بلاده، واجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزانة أحد من خلفاء بني أمية في الشام، وبني مدينة الرصافة التي تقع على أربعة فراسخ من الرقة، وهي غير رصافتي بغداد والبصرة، وكان يسكنها في الصيف وتوفي فيها سنة 125هـ وكان حسن السياسة، يقظا في أمره، يباشر الأعمال بنفسه، ومن كلامه: (ما بقي علي من

لـذات الدنيـا إلا أخ أرفـع مؤنـة التحفـظ بينـي وبينـه). راجـع سـيرته وأخبـاره عنـد: ابـن خيـاط: تاريـخ ابـن خيـاط ص، 356؛ واليعقـوبي: تاريـخ اليعقـوبي ص316 ومـا بعدهـا؛ وابـن قتيبـة: المعـارف ص 365؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء جـ هـ، ص351 - 353؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج9، ص351.

(79) اليعقـوبي: تاريـخ اليعقـوبي، مـج 2، ص328؛الطـبري: تاريـخ الرسـل والملـوك، مـج 7، ص 35؛ ابـن الأثـير: الكامـل في التاريـخ، مـج 5، ص130؛ ابـن كثـير: البدايـة والنهايـة في التاريـخ جـ 9، ص 239-240؛ الجزيري: دور الفوائد المنظمة، ص205.

(80) إبراهيـم بـن هشـام بـن إسـماعيل للمخزومـي القـرشي، أمـير المدينـة المنـورة، وخـال هشـام بـن عبدالملـك، اشـتهر بشـدته وعتـوه، وهـو الـذي ضرب يحيـى بـن عـروة حتـى مـات، حـج بالنـاس سـنة 105 هـ وبعـض السـنين التـي بعدهـا، وولي المدينـة ومكـة والطائـف سـنة 107هـ وكـثرت شـكوى آل الزبـير وغيرهـم منـه، وعزلـه هشـام سـنة 115هـ فانقطـع خـبره، وتـوفي بعـد سـنة 115هـ الـزركلي: الأعلام، مج1، ص78.

(81) اليعقـوبي: تاريـخ اليعقـوبي، مـج 2، ص 328، وقـد ذكـر اليعقـوبي أن الـذي تـولى إمـارة الحـج سـنة 103هـ هـو سـليمان بـن هشـام بـن عبدالملـك، الطـبري: تاريـخ الرسـل والملـوك، مـج 7 ص 26، 42، 45، 53، 66، 19، 87، 89؛ ابـن الأثـير: الكامـل في التاريـخ، مـج 5 ص 126، 138، 141، 140، 155، 158، 176، وقد ذكـر كل مـن الطـبري وابـن الأثـير روايـة أخـرى فيمـن تـولى إمـارة الحـج سـنة 112هـ تقـول أنه سـليمان بـن هشـام بـن عبدالملـك، ابـن كثـير: البدايـة والنهايـة في التاريـخ ج9، ص239، 200، 244، 310، 312، ولم يذكـر ابـن كثـير مـن تـولى إمـارة الحـج في سـنتي 108، 112هـ الجزيـري: درر الفوائـد المنظمـة ص204، 206، وقد ذكر الجزيري أن الذي تولى إمارة الحج سنة 112هـ هو سليمان بن هشام بن عبدالملك.

(82) خالـد بـن عبدالملـك بـن الحـارث بـن الحكـم بـن العـاص الأمـوي، ولي المدينـة للخليفـة هشـام بـن عبدالملـك سـنة 114 هـ ثـم غضـب عليـه الخليفـة هشـام وعزلـه سـنة 118هـ وقـد حج بالنـاس مرتين أثنـاء إمارتـه عـلى المدينـة راجـع سـيرته وأخبـاره عند: ابـن مصعب الزبـيري نسـب قريـش، ص170، 280؛ والطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ 7، ص90، 107، 226؛ والرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص95.

(83) اليعقـوبي: تاريـخ اليعقـوبي، مجلـد2، ص328؛ الطـبري: تاريـخ الرسـل والملـوك، مـج 7، ص91، 107؛ ابـن الأثـير: الكامـل في التاريـخ، مـج5، ص170-195؛ الجزيـري: درر الفوائـد المنظمـة، ص206، 207. وقـد ذكر كل مـن الطـبري: وابـن الأثـير: والجزيـري: روايـة أخـرى فيمـن تـولى إمـارة الحـج سـنة 114هـ تقـول: إنـه محمد بن هشام، والراجح أنه خالد بن عبدالملك، حيث أجمع عليه الكثيرون.

(84) محمـد بـن هشـام بـن إسـماعيل بـن هشـام بـن الوليـد بـن المغـيرة المخزومـي، لجـده هشـام صحبـة، وهـو أخـو خالـد بـن الوليـد، وقـد ولي إمـارة مكـة والمدينـة للخليفـة هشـام بـن عبدالملـك، ويـروى أنـه قـد منـع النسـاء مـن أن يطفـن مـع الرجـال، وعندمـا تـولى الوليـد بـن

يزيد الخلافة بعد وفاة هشام بن عبدالملك (125-126هـ) كتب إلى يوسف بن عمر، فقبض على هشام هذا، وعلى أخيه إبراهيم الذي كان أميراً على المدينة، فعذبهما حتى ماتا سنة 125هـ. ابن كثير: البداية والنهاية ج10، ص5.

(85) اليعقوبي: تاريخ، مج2، ص238 (ولم يذكر اليعقوبي من تولى إمارة الحج سنة 118 هـ)، والطبري تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص92، 112، 195، 179، 191، 199؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 5، ص 181، 199، 228، 240، 249، 260؛ وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج9، ص317، 328، 334، 336، 349، وقد ذكر كل من الطبري: وابن الأثير: وابن كثير رواية أخرى فيمن تولى إمارة الحج سنة 120 هـ تقول: إنه سليمان بن هشام بن عبدالملك. والأرجح الرواية الأولى والجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص206- 208.

(86) الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي، ولد الوليد في مدينة دمشق سنة 90 هـ وقيل سنة 92هـ وبويع له بالخلافة في نفس اليوم الذي مات فيه عمه الخليفة هشام بن عبدالملك في ربيع الآخر سنة 125هـ وقتل في قصره بقرية تسمى (البخراء، على بعد أميال من تدمر) في يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة 126هـ على إثر ثورة أطاحت به. اليقعوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص238.

(87) اليقعوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص238؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص98؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج5، ص185؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج9، ص331؛ والرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص95.

(88) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص238؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك: مج 7، ص138؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 5، ص214، أما الجزيري والرشيدي فقد ذكرا أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة (119 هـ) هو محمد بن هشام للمخزومي(دور الفوائد المنظمة ص208؛ الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج ص95).

(89) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص238، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج 7 ص 197؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج5، ص253، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج9، ص 347. أما الجزيري: والرشيدي فقد ذكرا أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو محمد بن هشام المخزومي: الجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص208؛ الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص95، والراجح أنه يزيد بن هشام بن عبدالملك الذي اجمع على ذكره باقي المؤلفين.

(90) يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي، أحد من تولوا إمارة مكة من غير الأشراف، وهو ابن أخ الحجاج بن يوسف الثقفي، ولاه الوليد بن يزيد بن عبدالملك إمارة مكة والمدينة والطائف سنة 125 هـ ودامت ولايته إلى انقضاء عهد الوليد سنة 126هـ وتوفي يوسف بعد سنة 126هـ. الزركلي: الأعلام، مج8، ص246.

(91) تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص228، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج5، ص275، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج1، ص6، الجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص208، أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو محمد ابن موسى الثقفي. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص334.

(92) عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أمير من سكان المدينة، ولاه يزيد بن الوليد إمارة مكة والمدينة سنة 126هـ، وأقره مروان بن محمد عليها، ثم عزله عنها وولى عليها عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك، توفي عبدالعزيز بن عمر سنة 147هـ. الزركلي: الأعلام، مج4، ص23.

(93) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص299، 329، 348؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج5، ص319، 30، 351؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج10، ص17، 29، 29. وقد ذكر كل من الطبري: وابن الأثير رواية أخرى تقول: إن الذي حج بالناس في سنة 26هـ هو عمر بن عبدالله بن عبدالملك. والراجح الرواية الأولى، حيث أجمع عليها معظم المؤرخين.

(94) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وأمه أمة كردية، ولد حوالي سنة 70هـ ويعتبر من فرسان بني أمية وشجعانهم ولاه ابن عمه الخليفة هشام بن عبدالملك على أرمينية وأذربيجان سنة 114هـ وظل واليا عليها حتى مقتل الوليد بن يزيد سنة 126هـ فغضب لقتله وخرج من أرمينية قاصدا دمشق ليطالب بدمه ولكن الخليفة الجديد يزيد بن الوليد ترضاه وأضاف إليه إقليم الجزيرة والموصل، فرضي وبايع ليزيد، ولكن يزيد توفي سريعا وترك الأمر لأخيه إبراهيم بن الوليد الذي لم يستطع السيطرة على الموقف، حيث اندلعت في وجهه الثورات، فما كان من مروان إلا أن زحف على دمشق - وكان إبراهيم قد هرب منها- وأخذ البيعة لنفسه وذلك في شهر صفر سنة 127هـ وقد ظل في الخلافة حتى قتل في شهر ذي الحجة سنة 132هـ على أيدي العباسيين، فكانت مدة خلافته خمس سنين، وعشرة أشهر، وستة عشر يوما. انظر في ترجمة مروان وأخباره: ابن خياط: تاريخ بن خياط، ص372، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص311، 312؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج10، ص46.

(95) عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان، أمير مرواني أموي، ولي إمرة مكة والمدينة سنة 129هـ لمروان بن محمد، وله خبر مع الخوارج الحرورية أيام فتنة المختار بن عوف(أبي حمزة) بمكة، وفر منهم عبدالواحد إلى المدينة، فعيره أحد الشعراء بأبي ات، منها: ترك الإمارة والحلائل هاربا ومضى يخبط كالبعير الشارد ولما ظفر العباسيون بالأمويين، كان عبدالواحد في جملة من قتلهم صالح بن علي العباسي سنة 132هـ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص430؛ والزركلي: الأعلام، مج ص175-176.

(96) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد2، ص348؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مجلد7، ص376؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مجلد5، ص376، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج10، ص35؛ الجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص208.

(97) محمد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، أمير من بني أمية في الشام، له رواية للحديث، أخذ عنه الأوزاعي وآخرون، ولي الديار المصرية لأخيه هشام، وقال لهشام: أنا أليها على أنك إن أمرتني بخلاف الحق تركتها. فقال: لك ذلك. فوليها سنة 155هـ وأقام فيها شهراً، فأتاه كتاب لم يعجبه، فرفض العمل وانصرف إلى الأردن، وكان منزله بها في قرية يقال لها» ريسون) ولما قتل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبدالملك والي دمشق من قبل مروان بن محمد سنة 132هـ استقل محمد بالأردن، وظفر به عبدالله بن علي العباسي الهاشمي قرب الرملة بفلسطين، فقتله سنة 132هـ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مصر: 1368هـ، ج5، ص297؛ وابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1351هـ/1932م، ج1، ص323؛ والزركلي: الأعلام، مج 6، ص248.

(98) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص402، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج 5 ص 393، ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، ج10، ص38، الجزيري: درر الفوائد المنظمة، ص 208. أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو عبدالملك بن محمد بن مروان، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص348. والراجح أنه محمد بن عبدالملك بن مروان، حيث أجمع على ذكره باقي المؤرخين.

(99) الوليد بن عروة بن محمد بن عطية بن عروة السعدي، ولي مكة والمدينة والطائف من قبل عمه عبدالملك بن محمد السعدني، الذي كان أميرا على تلك البلاد، ثم سافر إلى اليمن سنة 130 هـ لمقاتلة الخوارج بها، ولما قتل عبدالملك في تلك السنة أقر الخليفة مروان بن محمد بن الوليد بن عروة على إمارته لتلك البلاد، فظل أميراً عليها حتى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ولما علم الوليد بن عروة بقدوم داود بن علي العباسي إلى مكة بعد استيلاء ابن أخيه أبي العباس السفاح على الخلافة، هرب الوليد إلى اليمن. راجع سيرة الوليد بن عروة واخباره في تاريخ خليفة بن خياط ص603، 618؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص410، 411؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج5، ص163؛ والعقد الثمين ج7، ص397 وما بعدها.

(100) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مج7، ص410؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج5، ص402؛ ودرر الفوائد المنظمة، ص208. أما اليعقوبي فقد ذكر أن الذي تولى إمارة الحج في تلك السنة هو محمد بن عبدالملك بن عطية السعدي. والراجح ما ذكره باقي المؤرخين المذكورين.

(101) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص96.

(102) نفس المصدر، ص153.

(103) نفسه، ص201.

(104) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص507.

(105) ابن قتيبة: الإمامة، ج1، ص153.

(106) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص297؛ عبدالرحمن ابن خلدون (808هـ/1406م)، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1968م، م2، ص 288.

(107) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص297.

(108) ابن عبدربه: العقد الفريد، ط2، ص372.

(109) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج2، ص217؛ أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن أبي الفداء: المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية (د ت)، ج2، ص102.

(110) ابن قتيبة: الإمامة، ج1، ص161.

(111) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج3، ص217

(112) ابن قتيبة: الإمامة، ج1، ص163.

(113) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج3، ص511.

(114) الواقدي: محمد بن عمر (ت207هـ/822م). المغازي، ط3،ج3،تحقيق: مارسدن جونس،بيروت:عالم الكتب، 1202هـ/1982م، ص889؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج3،ص220؛ابن سعد:الطبقات،ج2، ص137؛ابن خياط:تاريخ ابن خياط،ص79؛ الفاكهي:أبوعبدالله محمد بن إسحاق بن العباس، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق:عبدالملك بن عبدالله بن دهيش،مكة المكرمة:مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة،1407هـ/1987م،ج3،ص175.

(115) ابن خياط: تاريخ، ص123.

(116) حول أشهر الحج الحرم، الطبري: جامع البيان، ج2، ص 257؛ الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1، ص243-242.

(117) ابن حوقل: صورة الأرض، ص29؛ القلقشدي: صبح الأعشى، ج2، ص222.

(118) الطبري: تاريخ، ج5، ص296.

(119) الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج، وطريق مكة المعظمة، ط1؛ درر الفرائد: 217/1.

(120) الماوردي: الأحكام السلطانية: 108.

(121) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، 269.

(122) الماوردي: الأحكام السلطانية، 195-197، ج1، الجداول رقم 10، 15، 13، 11، 12، 12، 16.

(123) الجزيري: الدررالفرائد المنظمة في أخبار الحاج، وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر: حمد خسرو: الرياض: دار اليمامة، 1403هـ ط1، 1/257.

(124) خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط، 258/1، 250، 220.

(125)

لما آلت الخلافة لبني أمية، واتخذوا من دمشق عاصمة لدولتهم، وغدت المركز الرئيس الذي تصدر منه الأوامر السياسية والاقتصادية والإدارية للدولة، مما أدى إلى صعوبة إمارة الحج للخلفاء الأمويين، وذلك لبعدهم عن مركز الخلافة لأيام عديدة، فكان عليهم وضع أمير للحج، يتصف بصفات يجب توافرها بأمير الحج، كأن يكون مطاعاً، ذا رأي، وشجاعة، وهيبة، وهداية، و أن يكون عالما بمناسك الحج وأحكامه، عارفاً بمواقيته وأيامه. الماوردي: الأحكام السلطانية، 197-1/195.

(126) ابن هشام: السيرة، ج1، ص196. المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص32؛ أبو الفداء: المختصر في اخبار البشر، ج1، ص186؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج3، ص259.

أبو أيوب الأنصاري هو (خالد بن زيد الذي نزل عنده الرسول عليه الصلاة والسلام عندما هاجر إلى المدينة وأقام عنده حتى إكتمل بناء المسجد والحجرات الخاصة به عليه الصلاة والسلام. ابن هشام: السيرة، ج1، ص196.

(127) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج3، ص239؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص20.

(128) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص327؛ أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الطاهري الجويني: النجوم الذاهرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة: المؤسسة المصرية التأليف والنشر، 1383هـ/1963م، ج1، ص139.

(129) ابن كثير: البداية والنهاية، ج 8، ص137.

(130) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج3، ص251؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص225.

(131) ابن سعد: الطبقات، ج 2، ص360.

(132) المسعودي: أنساب الأشراف، ص218.

(133) ابن كثير: البداية والنهاية، ج8، ص137.

(134) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص33.

(135) ابن خلدون: العبر، م 3، ص261.

(136) الأزرقي: أخبار مكة، ج2، ص151.

(137) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص69.

(138) ياقوت: معجم، ج2، ص275.

(139) الحربي: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر الرياض: 1389هـ/196م، ص309.

(140) الطبري: تاريخ الرسل الموك، ج6، ص533، المقريزي: الذهب المسبوك، ص60.

(141) القلقشندي: أحمد بن علي (ت820هـ/1217م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح. عبدالستار أحمد فراج، بيروت: عالم الكتب، 1962م، ط1، ج1، ص136.

(142) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص567؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج5، ص60.

(143) المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص217.

(144) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص305-306، وبطن فلج واد يسلك من طريق البصرة إلى اليمامة ومنها إلى مكة، وفلج اسم لبلد على هذا الوادي. بطوطة: معجم، ج2، ص272.

(145) الفاكهي: أخبار مكة، ج3، ص215.

(146) الأصفهاني: الأغاني، ج21، ص257-267.

(147) أهم هذه السيول هي: سيل الجحاف، والمخبل، وأبو شاكر، حول هذه السيول وأثرها، الأزرقي: أخبار مكة، ج2، ص167-168؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج3، ص102-106؛ البلاذري: الفتوح، ص61-62؛ الطبري: تاريخ، ج6، ص325.

(148) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص325؛ الأزرقي: أخبار مكة، ج2، ص168؛ ابن قتيبة: المعارف، ص201؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج3، ص105-106؛ البلاذري: الفتوح، ص61؛ اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص277.

(149) البلاذري: فتوح، ص61؛ الأزرقي: أخبار مكة، ج2، ص169؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج3، ص113.

(150) الأزرقي: أخبار مكة، ج2، ص172؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج3، ص115-116.

(151) ابن قتيبة: الإمامة، ج1، ص18.

(152) ابن قتيبة: الإمامة، ج1، ص19.

(153) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص112؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص29.

(154) الأزرقي: أخبار مكة، ج1، ص133؛ السيوطي: الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط2، مصر: مطبعة السعادة، 1378هـ/1959م، ص212.

(155) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج1، ص126.

(156) الأزرقي: أخبار مكة، ج1، ص133.

(157) نفس المصدر، ج2، ص190.

(158) المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص119.

(159) أبو الفدا: المختصر، ج1، ص196.

(160) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج3، ص191.

(161) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص191.

(162) ابن الجوزي: الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن عبيد الله بن جعفر: صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخر، حلب: دار الوعي، 1969م، ج1، ص77؛ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي المالكي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج2، ص295.

(163) الدينوري: الأخبار الطوال، ص316.

(164) ابن كثير: البداية والنهاية، ط9، ص65.

(165) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج1، ص568.

(166) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج2، ص22.

(167) ابن سعد: الطبقات، ج هـ، ص113.

(168) الدينوري: الأخبار الطوال، ص316.

(169) ابن سعد: الطبقات، ج5، ص13.

(170) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص71.

(171) مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص 127.

(172) الطبري: الرسل والملوك. ج5، ص256.

(173) الطبري: الرسل والملوك ج5، ص256.

(174) الطبري: المصدر نفسه ج5، ص257؛ ابن خلدون: العبر، م3، ص60؛ ابن كثير: البداية، ج9، ص192. أبو الفداء: المختصر، ج2، ص116.

(175) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص82.

(176) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، م256.

(177) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص256.

(178) الصفدي، صلاح الدين الصفدي: أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، 1955م، ص55.

(179) الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ص17.

(180) ابن الحكم: أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله، (ت257هـ)، سيرة عمر بن عبدالعزيز، تحقيق: أحمد عبيد، بيروت: (1387هـ)، ص135.

(181) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص367.

(182) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 52.

(183) ابن سعد: الطبقات، ج2، ص182.

(184) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب، ص159.

(185) ابن خلدون: العبر 3، ص139؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص232.

(186) ابن خلدون: العبر، 3، ص167.

(187) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج5، ص186.

(188) الطبري: الرسل والملوك، ج9، ص119.

(189) المسعودي: التنبيه، ص299.

أزمة المثال عند الأصوليين

د. علي محمد علي الصادق
أستاذ مشارك - قسم الشريعة - جامع دنقلا

المستخلص:

هذه الدراسة بعنوان (أزمة المثال عند الاصوليين) والهدف منها بيان أثر تكرار المثال عند علماء اصول الفقه في كل المصادر والمراجع الاصولية، مما يجعل الدارس يجد القليل من الامثلة للتطبيق عليها، مما يساهم في عدم تقوية الملكة الاصولية والفقهية، واستشهدنا لذلك بعدد من المصادر والمراجع الاصولية تكررت فيها الامثلة في كل ابواب أصول الفقه، عدا محاولات لبعض المراجع المعاصرة حاولت العدول عن طريقة القدماء في الاستشهاد بنفس الامثلة واتبعت طريقة حديثة مستوحاة على طريقة علوم أخرى، حاول المختصون تقريبها لذهن الطلاب حتى تقرب لهم هذه العلوم ويحبوها ويستفيدوا من هذه الطريقة في السير في طريق هذا العلم والاجتهاد فيه وعدم الركون لكل ماهو قديم بل لابد من نظرة نقدية فاحصة متزنة بالشرع ومقاصده.

الكلمات المفتاحية: المثال، أصول الفقه، الفكر الاصولي، التجديد، التكرار

The crisis of ideals among fundamentalists

Dr.Ali Mohammed Ali Elsadig

Abstract:

This study is entitled (The Crisis of Example among Fundamentalists) and its aim is to explain the effect of repeating the example among scholars of the principles of jurisprudence in all sources and references of fundamentalism, which makes the student find few examples to apply to, which contributes to not strengthening the fundamentalist and jurisprudential faculty, and for this we cited a number of sources and references. Fundamentalism in which examples were repeated in all chapters of the principles of jurisprudence, except for attempts by some contemporary authorities that tried to abandon

the method of the ancients in citing the same examples and followed a modern method inspired by the method of other sciences. The specialists tried to bring it closer to the students' minds so that these sciences would become closer to them and they would love them and benefit from this way of proceeding. In the path of this knowledge and diligence in it, not relying on everything that is old, but rather a critical and careful look balanced with the law and its objectives.

KEY Words: Example, jurisprudence, Fundamentalist Thought, Renewal, repeated

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان ما يسمى): أزمة المثال عند الأصوليين (وتكرار المثال في كل الكتب الأصولية في كل الأبواب، مما يجعل الدارس لعلم الأصول لا تتكون لديه الملكة الأصولية وذلك لعدم كثرة الأمثلة في الباب الواحد وتكرارها في جميع المصادر والمراجع، وذلك لأنه بالمثال يتضح المقال.

نحاول أن نمهد لذلك بفصل عن نشأة الفكر الأصولي، وكيف تطور عبر القرون منذ عصر النبوة والصحابة والتدوين حتى عصرنا الحاضر.

وهذا التكرار للمثال لديه سلبيات كثيرة في هذه المصادر والمراجع، وذلك نسبة لعدم إفادتها للدارس لعلم الأصول، وعدم تنمية الملكة الأصولية والفقهية لدى الدارس، نسبة لوجود نفس المثال فيما يرجع إليه من مصادر ومراجع فمهما استزاد من الاطلاع تكون الأمثلة مكررة.

مما يجعل الدارس حافظاً للقاعدة، ولكن الأمثلة عنده غير متوفرة ليكثر من الاستشهاد بها، على ما تعلمه من قواعد، ويطبقها على كثير من الجزئيات.

مشكلة البحث:

تكرار المثال الأصولي هو من المشاكل التي تواجه الدارسين لعلم أصول الفقه.

أهداف البحث:

إظهار أصول الفقه بثوب جديد معاصر المساهمة في نقل أصول الفقه من التنظير للتطبيق.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية المثال وحاجة الدارسين له في الشرح والتوضيح وفي التدريب والتطبيق.

الدراسات السابقة:

لم أطلع على دراسات سابقة في هذا الأمر.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي.

الأصول في عصر النبوة:

نشأ علم أصول الفقه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم: « في ذلك العصر – خير القرون – كانت الفطرة اللغوية عربية صرفة سليمة نقية، وكان المسلمون وقتئذ يفهمون الواجب والمسنون، والحرام والمكروه، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والمنطوق والمفهوم، والناسخ والمنسوخ، والترجيح بين مدلولات الألفاظ، والجمع بين ما يوهم التناقض والاختلاف، والتمييز بين الصحيح والباطل، والمرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والموقوف على أصحابه.

كل ذلك كان مفهوماً لديهم بالفطرة اللغوية، وبإرشادات الرسول الكريم إجمالاً وتفصيلاً بحسب الأحوال، وظلت الأمة على ذلك حقبة من الزمن مستغنية عن الأصول وقواعده، فكلها مستمدة من اللغة، وبعضها من العقل ومن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وفهم أصحابه لكلامه – كما كانت مستغنية عن النحو وغيره من علوم الآلة – فكلها أصبحت صناعية بعد.

ومازالت الحال كذلك حتى امتدت راية الإسلام في الشرق، وامتزجت الأمة العربية بسائر الأمم وبدأت تتأثر بلغات أخرى، وطرأ عليها من العلوم والفنون ما ارتقت به عقليتها فأبدعت وابتكرت ما شاء لها نبوغها من الإبداع والابتكار في ساير الفنون التي كانت تتلقاها من الكتب المترجمة إلى اللغة العربية من يونانية وفارسية »[1]

دور الصحابة في علم الأصول:

الصحابة رضوان الله عليهم كانت لديهم أدواراً عظيمة في علم أصول الفقه، وذلك لأنهم صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم زمناً طويلاً وشاهدوا عباداته ومعاملاته وأخلاقه، والصحابي عند الأصوليين، هو من لقى النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه زمناً طويلاً).

على عكس الصحابي عند المحدثين (هو من لقى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به في حياته ولو لمدة واحدة) فالفرق بين التعريفين أنه عند الأصوليين لابد من المزامنة زمناً طويلاً لأن تعلُّم الأحكام ليس بين يوم وليلة كرواية الحديث، كما روى عدى بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم (صلى في المغرب بالطور).

يقول الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان: «فان كثيراً من المسلمات في زمان، ومكان ما إذا تباعد بها الزمان، ونأي بها المكان، تغيرت مرتبة التسليم بها، أو على الأقل أصبحت موضوع تأمل ونظر».

من هذه المسلمات ما يقرره علماء أصول الفقه في عبارة موجزة بأن علم أصول الفقه بالنسبة لفقهاء الصحابة والتابعين جبلة وطبيعة، وبالأحرى ملكة فطرية لديهم.

هذه قضية تتطلب في العصر الحاضر إثباتاً بطريقة مقنعة، وإثبات هذه القضية بطريقة علمية سليمة سوف يبدد ما قد يجول ببعض الأذهان بأن فقه الصدر الأول لم يقم باديء أمره على أسس تضبطه، أو أصول تحكمه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتجنى البعض على أصول الفقه بصورة غير مقصودة فيحكم عليه بالتوقف والجمود وهو في ربيع أيامه، وأوج تفوقه ونشاطه، يقول الطاهر بن عاشور: «وضع علم الأصول في القرن الثاني، واتسع في الثالث والرابع، ثم وقف عند ذلك الحد لاقتصار المؤلفين فيه على النقل، لا باختراع جديد، أو نقد سديد أو بحث على الأصول ولو للتأييد»[2]

يقول الدكتور طه جابر العلواني: «كما أن ذكر المقاصد والعلل شائع جدا في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه شيوعاً جعل الصحابة رضوان الله عليهم يدركون أن لكل حكم خاصة في مجال المعاملات والسلوك الإنساني الفردي والاجتماعي مقصداً وغاية فما لم ينص على مقصده وغايته فيمكن أن يندرج تحت المقاصد العامة والغايات الكلية وإلا فلابد من مقصد أو غاية يمكن أن تظهر وتبرز بشيء من التأمل والاجتهاد إذا لم تظهر في النص بوضوح «.

ولقد تحول هذا الإدراك الإسلامي إلى نوع من اليقين بذلك الترابط الدقيق بين المقاصد والأفعال، فالفعل عبث إن خلا من مقصد وغاية والفعل لا يتحقق إن لم توفر له أسبابه ومقدماته، فالأمور مرتبطة بغاياتها من حيث الإثمار والإنتاج ومرتبطة بمقدماتها وأسبابها من حيث الوجود والتحقيق (فالأمور بمقاصدها) و»الأمور بخواتيمها كذلك»[3]

«ويتلهف الباحث وهو يعيش تلك التيارات الفكرية للعثور على دراسة تعرض خصائص الفكر الأصولي في مراحله المختلفة، والتعرف على أعلامه، ونتاجهم العلمي في دراسة تكشف عن مناهجهم، وجوانب الإبداع عندهم فلا يجد إلا معلومات شتات، وأفكاراً موجزة لا تعدو في معناها ومبناها الفصل التاسع من مقدمة بن خلدون «مقدمة لكتاب تراثي، أو تمهيداً لمؤلف جديد في علم الأصول» [4]

«حيث اتجهت الأمة الإسلامية للبحث عن ذاتها ومقوماتها الحضارية، تتحسس الأسباب والوسائل التي حققت لها تلك الأمجاد الفكرية والحضارية، ولا ينازع أحد إنه استقام لها الأمر وحققت ما حققته من حضارة إسلامية إنسانية عندما قامت دعوتها على أسس علمية سليمة، يأتي في طليعتها

الاهتمام بعلم أصول الفقه، حيث يمثل قانون الفكر الإسلامي، ومعايير الاستنباط فيه، يوم لم يكن ثمت تحجير على العقول، أو دفن المواهب المنطلقة «[5]

الغاية من علم أصول الفقه الإعانة على الاجتهاد حلاً لمشكلات العصر الحالي مثل أحكام وسائل التواصل الاجتماعي التي صارت هي الشغل الشاغل لكثير من المسلمين، دون الوقوف على الحكم الشرعي لها: «ولما كانت الغاية المتوخاة من علم الأصول إمداد المجتهدين بقواعد الاستنباط وقوانينه فإن الحاجة إليه يشتد في الوقت الحاضر، حيث الاتجاه العام إلى إعادة النظر في التراث الفقهي وتقويمه، والى اجتهاد فقهي جديد، جامع بين الأصالة والمرونة، لمواجهة متطلبات العصر ومشكلاته، ولن يتحقق هذا إلا إذا اتخذ الاجتهاد مساراً صحيحاً، مبنياً على أسس سليمة ودعائم متينة من المعرفة التامة بالعلوم الشرعية، واللغوية، والتي يأتي هذا العلم في مقدمتها، أما مجرد معرفة النصوص أو استظهارها فليس مؤهلاً للاجتهاد، أو مخولاً لاستنباط الأحكام «[6]

«الفكر الأصولي بمتطلباته الفكرية والعلمية، متوافر لدى فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا لا شك جار حسب القوانين الطبيعية لتكوين العلوم فالفكر يسبق التكوين والتأسيس، وهذا ما قرر مصداقية العلماء من أن المسائل والقواعد الأصولية كانت جبلة وملكة فطرية في الصحابة رضوان الله عليهم، وهو ما عناه ابن خلدون بقوله: «علم أن هذا الفن (أصول الفقه) من الفنون المستحدثة في الملة، وكان السلف في غنى عنه، بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية، وأما القوانين التي يحتاج إليها في استفادة الأحكام فمنهم أخذ معظمها [7] [8]

وكان من آثار هذه الكفاءة العلمية الأصولية أن استطاعوا وضع الحلول الشرعية السليمة للمشكلات، والتطور الاجتماعي الكبير الذي لم يكن للمسلمين به سابق عهد قبل الفتوحات الإسلامية، إذ كانت اجتهاداتهم وفتاواهم مبنية على ملاحظة قواعد متبعة...

على أن المادة العلمية لأصول الفقه قد نمت وتضاعفت بفضل الاجتهاد الذي مارسه فقهاؤهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم واكتشفها الأصوليون فيما بعد واتخذوها أساساً، ومصادر للتشريع، أطلقوا عليها بعد التدوين عناوين علمية مناسبة، تشير إلى مدلولاتها وحقيقة معناها»[9]

«وهكذا نجد أن علماء كل بلد وفقهاءه كانت لهم مناهج وطرق للاستنباط تنمو وتزداد وضوحاً كلما تقدم الزمن، وهذا بدوره يضاعف المادة العلمية لأصول الفقه، ويعمق الفكر الأصولي، ويساعد على إبرازه متبلوراً في قواعد ودلائل يتبناها أهل كل مصر... تهيأت جميع الأسباب والعوامل لإبراز الفكر الأصولي علماً مدوناً ييسر على الفقهاء استنباط الأحكام من مصادرها الأصلية على نحو منهجي، وكيفية منظمة متفق عليها ظهرت طلائعها في نهاية القرن الثاني للهجرة «[10]

تكوّن العلوم:

العلوم تولد وتنشأ وتتطور في فترة من الزمن»العلوم في الأمم لا تظهر فجأة وإنما تمر بفترة مخاض ومعاناة فكرية حتى تتبلور معانيها، فتتضح في الأذهان معالمها وتتهيأ الأسباب لتدوينها، ثم بعد كل ذلك هي في نموها وازدهارها خاضعة لقانون التطور والتدرج، من أجل هذا كان من الصعب تحديد البداية، وتعيين الآخذين بزمام المبادرة الأولى فيها، وهذا ما حدث بالنسبة لأولية التأليف في علم أصول الفقه» [11]

دور الشافعي في علم الأصول:

الإمام الشافعي هو أول من ألف في علم الأصول: «ومن الأسباب الرئيسة التي حفزت الإمام الشافعي لتأليف الرسالة الأصولية دخول الدخيل في لسان العرب، وامتزاج اللغة العربية باللغات الأعجمية، مما تسبب في فساد السليقة العربية، وضعف المدارك عن فهم مقاصد الشريعة « [12]

«واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطاليس إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض، وذلك لأن الناس كانوا قبل أرسطاليس يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة، لكن ما عندهم قانوناً مخلص في كيفية ترتيب الحدود والبراهين، فلا جرم كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة، فان مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلي قلما أفلح» [13]

«فأقول – الداودي -: علم الأصول وعلم النحو إخوان، فكلاهما كان يجري على ألسنة العرب وضمائرهم على السليقة والطبيعة، فلم يكن العرب العرباء يعرفون اصطلاحات النحويين المتأخرة، ولو سمعوها لفهموها على غير ما يقصده أهل النحو لأن هذه الاصطلاحات طارئة حادثة، وكذلك الاصطلاحات الأصولية، لم يكن أكثرها معروفاً» [14]

«ولقد كان للأصوليين من كلا المذهبين القدرة التامة على ابتكار الآراء، وتفتيق المعاني الذي كان ثمرته هذا الإنتاج الفكري الزاخر، الذي لا يزال المصدر والمورد للأجيال اللاحقة، يمدهم بثروة فكرية لاستنباط أحكام الشرع ما امتد بهم الزمن، وما تكاثرت الحوادث، ولتقوم بهذا الحجة على صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان» [15]

تطور علم الأصول:

«التطور في هذه الحياة سنة من سنن الله في خلقه في أي شيء، سواء كان من الحسيات أو من المعنويات.

نرى الشيء الذي يبتكره الفنان أو النابغة الملهم على مسرح الحياة صغيراً ضئيلاً ولكن فيه قوة الابتكار التي لا تزال تعمل فيه عملها الذي يأخذ بيده إلى التقدم حتى يصبح في المستقبل القريب

إنتاجاً كبيراً له أثره في الحياة العملية أو الفنية أو ما شئت من أنواع الحياة، وبين أيدينا الآن هذا الفن الإسلامي العظيم، أصول الفقه الذي أوجده فكر إسلامي من العدم ومازال يتطور مرتقياً حتى كاد ينتكس.

ظهر هذا الفن في صورة مصغرة كما هو شأن من يولد في المهد، ثم ينشأ ويترعرع حتى يبلغ عنفوان شبابه وريعان فتوته.كذلك تطور هذا الفن إذ ليس وحياً سماوياً كما كان يبدو لي ولأمثالي في مقتبل الدراسة.إنما هو نظريات معها براهينها المستمدة من الدين واللغة والذوق العربي.

فأصبحت هذه النظريات – قواعد الأصول – ضرورية للمجتهد وفرق بين قوة الذوق اللغوي في عصر الصحابة وفي العصور الأخيرة المنحطة.وهذه النظريات عبارة عن قواعد تتفاهم مع العقل بسفارة اللغة والوضع النبوي للتشريع الإسلامي وذوق الصحابة.ولذلك تختلف فيها الأنظار كما تراها في كتب الأصول المخصوصة به» [16]

«أليس من الواجب – بعد أن أتينا على شيء من أهمية الأصول –أن ندرسه دراسة نافعة، وأن نسهله للتلاميذ بأية صورة كي تتواثب عليه هممهم العالية.وتلتهمه عقولهم المستنيرة.وينظر إليهم التشريع الديني والتفسير الإسلامي والكلام النبوي نظرة إجلال وإكبار.نظرة فيها ظمأ المتعطش للتفنن والبراعة والاستقلال العقلي في الاستنباط والاجتهاد.نظرة فيها صرخة الألم من أغلال التقليد المذهبي الذي لم يقتصر على الفقه والتفسير.بل مد مخالبه إلى الأصول نفسه غير متهيب قواعده التي تصرخ في وجه التقليد وترسل هذه القاعدة العادلة (يحرم التقليد بعد التمكن من الاجتهاد) وأصرح منها (يحرم التقليد في أصول الفقه)» [17]

فالعضد الملة والدين في مقدمة شرحه لمختصر المنتهى لابن الحاجب: « لما علم كون أحكام الحلال والحرام والمعاش والمعاد متكثرة، وأن قوة العباد قاصرة عن ضبطها منتشرة، ناطها (أي علقها) بدلائل، وربطها بإمارات ومخايل، ورشح طائفة ممن اصطفاهم لاستنباطها ووفقهم لتدوينها بعد أخذها من مناطها، وكان لذلك قواعد كلية، بها يتوسل، ومقدمات جامعة منها يتوسل» [18]

الأمثلة في كتب أصول الفقه:

«وكانت الصعوبة تكمن في استخراج الأمثلة من هذه الكتب، إذ لابد من تصور القاعدة الأصولية، ثم التأمل في أقوال الصحابة والتابعين، لنرى كيف بنوا أحكامهم وفتاواهم على قواعد أصولية كانت معروفة عندهم، وكيف استعملوا المصطلح الأصولي، ووضعوه، فليس بالقراءة والبحث عن عبارة ما، يظهر المثال، بل لابد من النظر فيه، للتحقق من اعتماده على مسائل أصول الفقه «[19].

« فمهمة علماء الأصول، أشبه ما تكون بمهمة الغواص الذي ينزل إلى أعماق البحار، ليستخرج الجواهر والدرر، ثم ينظمها عقداً بديع الشكل، جميل المنظر، بهي المرأى.فليس هو الذي أوجد

تلك الجواهر واليواقيت، بل كانت هي موجودة مصنوعة، وإنما هو الذي بحث عنها، ونقب، حتى حصل عليها، وصاغها بعقد بديع، وهذا ما حدث فعلاً في أصول الفقه»[20]

تكرار المثال في كتب أصول الفقه:

« مما يزهد الكثير عن الأصول وينفرهم عن تذوق حلاوته هو عدم التطبيق له عند الدراسة، ذلك أن أكثر الأمثلة ليست إلا متكررة أو مفروضة كما تراه في باب القياس في تحريم النبيذ قياساً على الخمر بجامع الإسكار، فهو مثال كثر ترديده.وهو مبنى على فرض لأنه لم يأت حديث شريف يشمل النبيذ وغيره كما رواه الشيخان وغيرهما: «كل مسكر حرام»[21] وفي باب العام والخاص يكثر التمثيل بحديث: « فيما سقت السماء العشر « وقد نرى الأمثلة من الكتاب والسنة، ولكن في مسائل معدودة توارثها الآخر عن الأول في كل كتاب حتى لا يجد القارئ متعة التطبيق المشوقة للدراسة.

ولقد درست الأصول فما بدأت أتذوق حلاوته إلا منذ شرعت في دراسة علم الحديث وشروحه الفقهية مثل الروض النضير.وسبل السلام وفتح الباري.ومثل العمدة التي فاقت أخواتها من هذه الناحية التطبيقية للأصول خاصة.فمؤلفها ذلك الشيخ العلامة المحقق الأصولي الشهير بابن دقيق العيد رحمه الله.فكثيراً ما يطبق فيها القواعد الأصولية.ويفتح للعقل باباً واسعاً في الاستنباط.

ومن هذه الناحية وجدت الصعوبة في التأليف، لأني ألزمت نفسي أنه لابد أن تكون التمارين والأمثلة من الكتاب والسنة، أو من الأحكام التشريعية الواقعة المستنبطة وقد توسع فيه رجال الأصول خصوصاً الحنفية بما يشهد لهم بالتفوق العقلي، أما في هذا الكتاب فقد كنت أكرر الآيات والأحاديث في أكثر القواعد ليفهم الطالب أنه يستطيع أن يستنبط عدة أحكام من الدليل الواحد وأن يطبقه على أكثر القواعد.فهو تكرير له قيمته بالنظر إلى غرض الأصولي وهو على هذا جديد في كل باب ففي باب الأمر مثلاً تؤخذ منه أحكام الأمر، وفي باب العام تؤخذ منه أسباب العام وهكذا» [22]

«وإذا نظرنا إلى صعوبة تطبيق قواعد الأصول في الكتاب والسنة بعد تحقيقها عن بحث ونظر. لا عن تمذهب وتقليد.جاز لنا أن نقول في الأصول (دونه خرط القتاد) وأن نعترف بأن أهم شيء على الأستاذ حين يدرس الأصول هو العناية بتوجيه الطلاب إلى التطبيق للقواعد والتمرين على ذلك.ليخرج الطلاب من دراسة هذا الفن وقد هيأوا أنفسهم للاجتهاد والدفاع عن الإسلام، وشرع أحكامه وتشريعاته للناس، في صورة سهلة مقبولة كما كان في صدر الإسلام.

والاهتمام بذلك هو الواجب الهام لمن نؤمل فيهم النبوغ والتفوق العظيم في دراسة الأصول الإسلامية إلى جانب الدراسة الأدبية» [23]

أحمد بن الوزير [24] ودوره في مؤلفه الأصولي: (المصفي)

« المعاناة في أي شيء حي تدعو الإنسان إلى عمل ما وجد فيه مرارة المعاناة ومتاعبها وفكرة هي التأليف في علم أصول الفقه بصورة جديدة تطبيقية نافعة إنما هي نتيجة المعاناة قاسيتها وزملائي في دراسة أصول الفقه بذمار وصنعاء، لقد كنا نجد صعوبة في فهم القواعد الموضوعة في عبارات معقدة جداً، وأصعب من هذا فهم الأسئلة فيما يتعلق بعلم الأصول وهي ما هو غرض الأصولي أي العالم المهتم بأصول الفقه وما هي غايته، وكيف نطبق هذه القواعد، وهل التطبيق لها هو الاجتهاد ؟أي التحرر من أغلال التقليد والجمود والتعصب المذهبي الذي مزق شمل الأمة وأوقعها في بؤرة البغضاء والأحقاد.

....وقد ألزمت نفسي في هذا المؤلف بالآتي:

1. أن تكون الأمثلة والنماذج والتمارين من الكتاب والسنة والقياس الصحيح والإجماع هادفاً إلى تمرس الطلاب على تطبيق قواعد الأصول فكم من عالم يدرس الأصول ثم لا يطبقه ولذلك يظل جامداً مقلداً.

2. تصفية الأصول من الدخيل الذي لا فائدة فيه للطلاب، وتحليل العبارات المعقدة واستنباط الأحكام في الأمثلة والنماذج والتمارين، واختيار الأحاديث التي ينتفع بها الطلاب في الأخلاق إلى جانب التمرين على تطبيق القواعد كخطوة أولى للتحرر من التقليد، والطموح إلى الاجتهاد.

3. محاولة تربية العقل على الاستقلال في البحث والاعتماد على الدليل لأي نظرية فلا تقليد في أصول الفقه بالإجماع، ولا عبرة بالتقليد الذي حدث في القرون الأخيرة في العالم الإسلامي.

4. الاهتمام بالقواعد الهامة في أبحاث كاملة وإدراج القواعد البسيطة في ملحقات» [25]

«ولا ريب أن من تدرب على التطبيق للقواعد والاستنباط توسعت عقليته واستنار فكره فإذا به يفتح للناس أبواباً جديدة في الفهم للقرآن والسنة، لأنه تحرر في أفكاره، واستقل في نظرياته، وجمع بين العلم والأدب، فليس من البعيد أن يصبح بعد نجماً يهتدي به في ظلمات الضلال، ويقتدي به في فهم العصر والمعاصرة

وذلك ما نطلبه من رواد العلم وطلابه، وهو العبء الذي يتحمله العالم أو الأديب فلا يرفع الله درجاته إلا إذا وضعه عن كاهله، وأدى أمانته للناس، وخرج عن قوله تعالى: «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً» سورة الجمعة آية رقم (5)» [26]

«هذا وقد أصبحت في العقد الثالث من عمري خطر ببالي مشروع نافع ألهمته إلهاماً في هذا الفن، وهو أن أقوم بتأليف كتاب في الأصول على المنهج الحديث سلاسة وترتيباً، وأصفيه من كل

دخيل، وأقدمه للطلاب سهلاً نافعاً لا إسهاب فيه ولا إيجاز بل أحاول الاهتمام بالمهم الذي يمس غرض الأصولي.

وألزمت نفسي أن أجعل الأمثلة والنماذج والتمارين من الكتاب والسنة والقياسات الصحيحة وذلك أن الأصول أكبر خادم للشرع الإسلامي من حيث أن غايته العلم بأحكام الله تعالى وهداية الأمة لمفاهيمها الصحيحة.

وشيء آخر وهو تمرين الطلاب على التطبيق، فكم من عالم يدرس الأصول ثم يظل جامداً لا يطبقه بل ينصح له العلماء بدراسة (العمدة) للشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله لأنه كثيراً ما يطبق الأصول ويتعرض لمسائله.

وما إن تصورت هذا المشروع حتى رأيتني مضطراً إلى مجهود كبير جداً فعزمت على ذلك مستعيناً بالله سبحانه مخلصاً في النية التي يرضاها مستطاعي.

... والقارئ يستطيع التفريق، والمراد من الإشارة بهذا هو أن المثال إنما يراد به التقريب والتمرين لا التحقيق، فلا مناقشة تشغل الطلاب عند التدريس أن ظهر للأستاذ معنى في الحديث غير الذي ظهر لي، بل المهم هو توضيح القاعدة وتطبيقها، وقديما قالوا: (ليس من دأب التحصيل المناقشة في التمثيل)

وكنت أتخير الأحاديث التي تنفع الطلاب لا من ناحية التمرين والتطبيق وحسب، بل منها ومن الناحية الخلقية والأدبية، ففي جوامع الكلم النبوي بركة ونور، وفيها شفاء للصدور، وفيها آداب وأخلاق، وفيها فصاحة وبلاغة «[27].

وهناك تحقيق مآرب أخرى من التأليف بالتركيز على جانب الأخلاق دأبه في ذلك دأب علماء اللغة وغيرهم كابن مالك في الألفية وغيرهم بضرب الأمثلة بالقيم الجميلة والتركيز على مكارم الأخلاق.

الصراع بين القديم والجديد: (دور المتأخرين والكلام عن الشوكاني)

الصراع بين القديم والجديد صراع دائم في كل مجالات الحياة والعلوم، فالبعض يقف ضد كل ما هو جديد «ما يزال الصراع قائما بين المولعين بالمؤلفات على المنهج القديم والمؤلفات على المنهج الحديث، كما هو الشأن الآن في الصراع بين المسلمين في القديم والجديد، والشرق والغرب، والاستعمار والاستغلال والدين واللا دين...وهلم جرا.

ذلك أن الأمة الإسلامية الآن في أول أدوار النهضة العامة تريد أن تستعيد مجدها القديم، وهذا الصراع ضروري لكل أمة تلامس الدور الأول والثاني من النهضة، وفيها يكون التطرف في الجانبين ليحل الوسط العادل بينهما ويقضي عليهما أو يكاد، سنة الله في خلقه.

وهكـذا التعقيـد والتسـهيل، فريـق متوسـط يأخـذ النافـع مـن القديـم والحديـث، ويحسـب التسـهيل للطـلاب نوعـاً مـن الإصـلاح في عـالم التأليـف بحسـب العـصر وتطـوره.

وفريـق مولـع بالكتـب القديمـة متطـرف في الولـوع بهـا وفي محاربـة غيرهـا وان كانـت بطيئـة النفـع، كثـيرة التدقيـق في المناقشـات اللفظيـة الخاليـة مـن الفائـدة الجوهريـة في الموضـوع.

وفريـق مولـع بالتسـهيل متطـرف إلى حـد بعيـد في الولـوع بهـا، وفي الخـط القديـم، والحـق أن الفضـل للأسـلاف في الابتـكار والخدمـات الجليـة التـي قدموهـا للعلـم والأدب، والحـق أيضـاً أن للمتأخريـن الفضـل في التسـهيل والتقريـب ومراعـاة التطـور العظيـم، ولمـاذا الجـدال حـول هـذا الموضـوع وهـو جـلي واضـح لمـن أنصف.ومـن الأمـراض الجديـدة الإفـراط في حـب التعبـير السـهل حتـى تـرى بعـض المترفـين في الدراسـة يشـمئز إذا وجـد نظريـة أو بيتـاً مـن الشـعر يضطـره إلى شيء مـن التفكـير ليمتـاز فهمـه للنـاس.

...ونظـرا إلى مـا أريـده مـن التسـهيل والتقريـب، فقـد بذلـت كل مجهـود في هـذا السـبيل، ولـو أتمكـن من تقديمـه في أرق أسـلوب وأعذبـه، حتـى يظـن مـن عذوبتـه وسلاسـته أنه جمع من نسـمات الخلـد لفعلت ، ولكـن هـذا الفـن نظـري، وليـس بقواعـد معلومة كالنحـو يكفي فيهـا أن تختصر بـلا دليل عليهـا ولا برهان لأنهـا لغويـة محضـة، أمـا الأصـول فلابـد مـن البرهـان والبحـث في أدلـة قواعـده لأنـه نظـري يعتمـد عـلى البراهـين لـكل قاعـدة، وبذلـك يخـرج الطالـب من دراسـته مسـتقلاً بأنظار خاصـة يتمكن بها مـن الاجتهاد، والأصـول يعـد مـن العلـوم العقليـة كالفلسـفة فـلا بد مـن الأقـوال والبراهـين الخاصة بـكل فكرة.

اخـترت في هـذا المـشروع طريقـة العالمـين (الجـارم ومصطفـى أمـين) في الشـكل لا في الجوهـر، لأني وجدتهـا قريبـة سـهلة نافعـة في العلـم والأدب.

... ومـما قـوى رغبتـي في اختيـار المنهـج الحديـث، مـا كنـت أجـده مـن السـهولة عـلى الطـلاب بعـد أن درسـتهم مؤلفـات الجـارم وأمثالـه، بـل كنـت أغبطهـم عليهـا حـين أتذكـر مـا قاسـيناه مـن الصعوبـة أيـام الدراسـة، فهـذه المؤلفـات الحديثـة، والحـق يقـال –سـهلة في نفسـها، ثـم يسـهل بعدهـا التعمـق في العلـم ودراسـة الفـن مـن جميـع نواحيـه لمـن أراد التوسـع «[28]

«وبمـا أن أصـول الفقـه يحتـاج إلى تذليـل كثـير مـما فيـه مـن صعـاب، وطالبـه يعـاني شـيئاً مـن المشـقة في فهـم مسـائله، فيجـب علينـا في رحـاب الجامعـة أن نضـع مؤلفـاً ييـسر عبـارات الأصوليـين، ويقـف عـلى دقائـق هـذا العلـم، ويـبرز أهميتـه العمليـة والعلمية.كـما أن النـاس في الجامعـة يترقبـون منـا عمـل مثـل هـذا المنتـج، لشـعورهم بصعوبـة القضايـا الأصوليـة، وهـم بهـذا ينتظـرون منـا أحـداث انقـلاب في مختلـف كتـب الفقـه والأصـول معـاً، مثلـما يشـاهدون المؤلفـات الحديثـة لمختلـف العلـوم التـي تمتـاز ببسـاطة الأسـلوب، وحسـن التنظيـم، والاعتـدال في شرح القضايـا دون تطويـل أو إيجـاز، فالتزمـت هـذا فيـما تناولتـه مـن مباحـث الأصـول، لتسـهيلها عـلى الـدارس والقـارئ، والباحث.وقـد لاحظـت مـا يعانيـه الطـلاب في البحـث عـلى مـدى أكـثر مـن عشريـن عامـاً في تدريـس هـذا العلـم.

وطريقتي في سرد الموضوعات تتمشى مع الاعتبارات المنطقية التي تقضي بتقديم الأهم فالمهم، والنتائج أثر المقدمات، وعقد الأواصر بين شعاب البحوث، وبيان المذاهب المختلفة في كل مسالة، مع دعمها بأدلتها ثم مقارنتها ومناقشتها والترجيح بينها، وتسليط الأضواء على النواحي العملية فيها، مع بسط المسائل وتيسيرها بعبارات واضحة «[29]

ثمرة الاجتهاد:

الاجتهاد هو ثمرة معرفة القاعدة وتطبيقها علي كثير من الجزئيات «وليس الاجتهاد في التفهم والاستنباط بأولى من الاجتهاد في التطبيق إن لم نقل: إن قيمة الاجتهاد عملياً إنما تنحصر فيما يؤتي من ثمرات في تطبيقه، تحقق مقاصد التشريع وأهدافه، في جميع مناحي الحياة.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الخبرة بشؤون الحياة كلها، وما يقوم به الناس من أوجه النشاط المختلفة في تدبير معاشهم، وطرق كسبهم وانتفاعهم، أضحت عنصراً أساسياً في الاجتهاد بالرأي، لأنها بذاتها هي متعلق الأحكام.

وإذا كان المقرر بداهة أن طبيعة الاجتهاد، عقل متفهم ذو ملكة مقتدرة متخصصة، ونص تشريعي مقدس يتضمن حكماً ومعنى يستوجبه، أو مقصداً يستشرف إليه، وتطبيق على موضوع النص أو متعلق الحكم، ونتيجة متوخاة من هذا التطبيق، فإن كل أولئك يكون نظرياً ما لم تكن الواقعة أو الحالة المعروضة قد درست درساً وافياً، بتحليل دقيق لعناصرها، وظروفها وملابساتها، إذ التفهم للنص التشريعي يبقي في حيز النظر، ولا تتم سلامة تطبيقه إلا إذا كان ثمة تفهم واع للوقائع بمكوناتها وظروفها، وتبصر بما عسى أن يسفر عنه التطبيق من نتائج، لأنها الثمرة العملية المتوخاة من الاجتهاد التشريعي كله.

على أن النظر إلى نتائج التطبيق ومآلاته أصل من أصول التشريع»[30]

«فان المجتهدين من أئمة المسلمين بذلوا أقصى جهودهم العقلية في استمداد الأحكام الشرعية من مصادرها، واستخرجوا من نصوص الشريعة وروحها ومعقولها كنوزاً تشريعية ثمينة، كفلت مصالح المسلمين، على اختلاف أجناسهم وأقطارهم ونظمهم ومعاملاتهم، ولم تضق بحاجة من حاجاتهم، بل كان فيها تشريعاً لأقضية لم تحدث ووقائع فرضية، وهذه موسوعات الفقه ايات تنطق بما بذلوه من جهد، وما كان حليفهم من توفيق.

ولم يكتفوا بما استمدوه من أحكام وما سنوه من قوانين، بل عنوا بوضع قواعد للاستمداد، وقوانين للاستنباط، وكونوا من مجموعة هذه القواعد علم أصول الفقه، وكأنهم رحمهم الله بصنيعهم هذا أشاروا إلي خلفهم أن لا يركنوا إلى اجتهادهم، وأن يجتهدوا كما اجتهدوا، ويبنوا كما بنوا فإن الأقضية تحدث والمصالح تتغير ومصادر الشريعة معين لا ينضب ومنهل لكل عذب وارد «[31]

نماذج من تكرار المثال في الحكم الشرعي:

المثال الأول:

الواجب ينقسم إلى معين وإلى مبهم بين أقسام محصورة:

ويسمى واجبا مخيرا كخصلة من خصال الكفارة، فإن الواجب من جملتها واحد لا بعينه. وأنكرت المعتزلة ذلك وقالوا: لا معنى للإيجاب مع التخيير فإنهما متناقضان، ونحن ندعي أن ذلك جائز عقلا، وواقع شرعا أما دليل جوازه عقلا فهو أن السيد إذا قال لعبده: أوجبت عليك خياطة هذا القميص أو بناء هذا الحائط في هذا اليوم أيهما فعلت اكتفيت به وأثبتك عليه، وإن تركت الجميع عاقبتك ولست أوجب الجميع وإنما أوجب واحدا لا بعينه أي واحد أردت، فهذا كلام معقول.[32].

فلو راجعنا معظم الكتب الأصولية لوجدنا هذا المثال حاضراً كمثال للواجب المخير، ويمكن أن نضرب أمثلة أخرى كحديث الضحاك بن فيروز الديلمي عن أبيه قال: «قلت: يا رسول الله إني أسلمت وتحتي أختان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلق أيهما شئت « رواه أحمد والأربعة إلا النسائي وأعله ابن حبان والدار قطني وأعله البخاري، وإذا نظرنا إلي هذا الحديث عرفت أن الشارع أوجب طلاق إحدى الأختين إذ الجمع بينهما حرام، ولكنه خير من أسلم وتحته أختان أن يطلق إحداهما ولم يعين واحداً، فالطلاق هنا بالنظر إلى ذاته واجب، ولكنه غير معين، بل يختار أيتها شاء، وهذا معنى قولهم الواجب المخير[33].

المثال الثاني:

من باب أدلة الأحكام الشرعية:

السنة النبوية:

السنة التقريرية: وهي أن يسكت النبي صلى الله عليه وسلم عن إنكار قول أو فعل صدر أمامه أو في عصره وعلم به، وذلك إما بموافقته أو استبشاره أو استحسانه وإما بعدم إنكاره وتقريره، مثل أكل الضب على مائدة الرسول صلى الله عليه وسلم[34].

ومثال آخر في هذا الباب «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نصلي ركعتين بعد غروب الشمس وكان رسول الله يرانا فلم يأمرنا ولم ينهنا، إذا تأملت الحديث عرفت أن بعض الصحابة كانوا يركعون الركعتين بعد غروب الشمس وقبل صلاة المغرب ونظرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكرهم وأقرهم على ذلك، فسكوته دليل واضح في الدلالة على جواز ذلك الشيء»[35]

المثال الثالث:

القياس:

القياس من الأدلة المتفق عليها وهو ثمرة القياس حيث نلحق الأصل بالفرع لعلة جامعة بينهما لكن درج الأصوليون في كل أمثلتهم له بالتمثيل بآية تحريم الخمر وفرعها نبيذ التمر.

«إن الله سبحانه وتعالى نص على تحريم الخمر بآية «إنما الخمر والميسر...»وقد أدرك المجتهد أن علة التحريم هي الإسكار، ...لأنه يترتب عليه وقوع مفاسد دينية ودنيوية كإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وإلحاق الضرر بالشارب.

وعند التأمل وجد المجتهد أن الإسكار يتحقق بشرب النبيذ، فيكون النبيذ ملحقاً بالخمر في حرمة تناوله، فالخمر أصل، والنبيذ فرع، والحكم التحريم، والعلة الجامعة بينهما هي الإسكار «[36]

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب « فهذا الحديث نص صريح في نجاسة في فم الكلب وألحق به سائر بدنه قياساً عليه، لأنه إذا ثبتت نجاسة فمه باللعاب وهو متحلب من البدن فالبدن نجس مثله، هذا بطريق القياس الشرعي وهو أهم الأبحاث الأصولية[37].

وإذا ذهبنا إلي باب الاجتهاد نجد الأمثلة فيه متكررة لسبب منطقي لعدم تجددها مثل اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فقد انتهى بوفاته صلى الله عليه وسلم، والأمثلة كقوله تعالى عن أسرى بدر: « عفا الله عنك لما أذنت لهم «.

وفي باب التعارض والترجيح المرجحات متفق عليها بين الأصوليين ولكن يمكن تطبيق هذه القواعد في الاجتهاد المعاصر.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث وقفنا على نماذج من المصادر والمراجع الأصولية، وكيفية تأليفها ودور علمائها في تقريب علم الأصول، وكيف كانت مشكلة تكرار المثال الأصولي من المشاكل التي ظلت مصاحبة لجل المؤلفات الأصولية.

النتائج:

1. عرفنا دور النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في وضع اللبنة الأولى لعلم الأصول.
2. رأينا كيف تطور علم الأصول عبر العصور المختلفة.
3. عرفنا بعض المراجع الأصولية التي قربت علم الأصول للطلاب والدارسين.

التوصيات:

1. أوصي الباحثين في الجامعات بمزيد من الدراسات النقدية لعلم الأصول.
2. أوصي أساتذة الجامعات بمزيد من المؤلفات التي تقرب علم الأصول للطلاب.
3. أوصي الطلاب بمزيد من الاطلاع على علم أصول الفقه والاستفادة منه في إيجاد حلول لكثير من المشكلات وتقديم حلول لها وفق رؤية الشرع الحكيم.

المصادر والمراجع

(1) أحمد بن محمد بن على الوزير ، المصفى في أصول الفقه ، ط دار الفكر المعاصر ، بيروت، 2002م ص 22.

(2) محمد الطاهر بن عاشور : أليس الصبح بقريب ، الطبعة الاولى 1427هـ 2006م ط دار السلام / القاهرة ، ص 173 .

(3) د.يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1994م 1415ه ، فرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية ، ص3.

(4) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 12 ، الطبعة الأولى 1403هـ 1983م ، ط دار الشروق /جدة .

(5) الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 13 .

(6) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 19.

(7) عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الاولى 1425هـ 2004م ط دار يعرب، دمشق ، ص 254، .

(8) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 38.

(9) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 12.

(10) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 59.

(11) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 60.

(12) محمد بن ادريس الشافعي ، الرسالة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الطبعة الاولى 1358هـ 1940م مكتبة الحلبي ، مصر ص 76.

(13) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 87.

(14) صفوان الداودي ، أصول الفقه قبل عصر التدوين ، ط دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الأولى 1424هـ/2003م ص 27.

(15) أبو سليمان ، الفكر الأصولي ، مرجع سابق ص 461.

(16) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 26 ، **ط** دار الفكر ، دمشق .

(17) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 31.

(18) نقـلًا عـن وهبـة الزحيـلي ، أصـول الفقـه الإسـلامي ، الطبعـة الأولى 1406هـ/1986م، ط دار الفكر /دمشق /سوريا ص 8و9 .

(19) الـداودي ، أصـول الفقـه قبـل عـصر التدويـن ، ط دار الأندلـس الخـضراء ، الطبعـة الأولى 1424هـ/2003م ص 18.

(20) صفوان الداودي ، أصول الفقه قبل عصر التدوين ، ص 25.

(21) صحيح البخاري ، كتاب المغازي(5/ 161. باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع حديث رقم 4343 ، 161/5صحيح مسلم كتاب الأشربة ، باب بيان كل مسكر خمر وكل خمر حرام حديث رقم، 1733، 1586/3.

(22) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 47.

(23) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 62.

(24) أحمد بن محمد بن علي الوزير الحسيني اليماني من علماء اليمن ولد عام 1337هـ ، المصفى ، مرجع سابق ص 9 .

(25) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 64، 63 بتصرف.

(26) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص65.

(27) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 67، 66 بتصرف.

(28) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 71، 70 بتصرف.

(29) نقـلًا عـن وهبـة الزحيـلي ، أصـول الفقـه الإسـلامي ، الطبعـة الأولى 1406هـ/1986م، ط دار الفكر، دمشق ، سوريا ص10 .

(30) د.فتحي الدريني، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي ، الطبعة الثالثة 1434هـ/2013م، ط مؤسسة الرسالة /بيروت ص13و14 .

(31) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، الطبعة الثامنة 1434هـ/2013م، ط مكتب الدعوة الإسلامية /شباب الأزهر، القاهرة ص 8 .

(32) أبو حامد الغزالي ، المستصفى ، ط دار الكتب العلمية ، 1413هـ/1993م ص 55، 54 وراجع أصول الفقه للزحيلي 65/1.

(33) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 99.

(34) د.وهبة الزحيلي ، أصول الفقه ، 450/1 ، الطبعة الأولى 1406هـ 1986م ، د دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق.

(35) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 161.

(36) د.وهبة الزحيلي ، أصول الفقه ، 604/1.

(37) أحمد الوزير ، المصفى ، مرجع سابق ص 325.

الإدارة بالاستثناء وأثرها علي الأداء المؤسسي

(دراسة على عينة من شركات التعدين إقليم النيل الأزرق ـ السودان خلال العام 2024)

أ. هادية خالد القاضي حمراوي

كلية الدراسات العليا - جامعة النيل الأزرق

د. التجاني الغزالي عبد الخير محمد

أستاذ مشارك، قسم إدارة الأعمال
كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية والاجتماعية
جامعة النيل الأزرق

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلي التعرف علي مدي تطبيق وممارسة الإدارة بالاستثناء في قطاع شركات التعدين السودانية، والوقوف علي أثر تطبيقها علي كفاءة وفعالية الأداء المؤسسي. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد تمثلت عينة الدراسة المستهدفة من العاملين والموظفين بشركات التعدين إقليم النيل الأزرق. وقد بلغت العينة الخاصة للتحليل(60) مفرده. استخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وأخضعت بياناتها للتحليل الإحصائي ضمن البرنامجين Amosv.25,SPSS، وتحليل معادلة النمذجة الهيكلية. أظهرت النتائج أن هنالك علاقة موجبة لتطبيق نظام الإدارة بالاستثناء علي الأداء المؤسسي، كما أيضاَ علاقة ارتباطية بين أبعاد الإدارة بالاستثناء والأداء المؤسسي، وبناءً عليه أوصت الدراسة الاهتمام والالتزام بتهيئة بيئة العمل وخلق المناخ المناسب والملائم للعاملين وتشجيع روح التعاون في العمل وتعزيز دور الأداء المؤسسي مما ينعكس علي تحسين أداء العاملين وتشجيعهم نحو الابتكار والأبداع.

الكلمات المفتاحية: تحديد السلطات والمسؤوليات، تفويض السلطة، الاتصال الفعال، تقييم الأداء وتقويمه، الربحية والإنتاجية.

Management by exception and its impact on institutional performance

(Study sample of mining companies in the Blue Nile Region - Sudan during the year 2024)

- A.Hadia Khalid Al-Qadi Hamrawi
- Dr. Eltgani Elghazaly Abdel-Khair Mohammed

Abstract:

This study aims to identify the extent of application and practice of management by exception in the Sudanese mining companies sector, and to determine the impact of its application on the efficiency and effectiveness of institutional performance. The study used the descriptive analytical method, and the target study sample consisted of workers and employees in mining companies in the Blue Nile region. The sample for analysis reached (60) individuals. The questionnaire was used as a data collection tool, and its data were subjected to statistical analysis within the programs Amosv.25, SPSS, and structural equation modeling analysis. The results showed that there is a positive relationship between the application of the management by exception system on institutional performance, as well as a correlation between the dimensions of management by exception and institutional performance. Accordingly, the study recommended attention and commitment to preparing the work environment, creating an appropriate and appropriate climate for employees, encouraging the spirit of cooperation at work, and enhancing the role of institutional performance, which is reflected in To improve the performance of employees and encourage them towards innovation and creativity.

Keywords: defining powers and responsibilities, delegating authority, effective communication, performance evaluation and evaluation, profitability and productivity.

المقدمة:

يعد الأداء مفهوماً جوهرياً ومهماً بالنسبة للمنظمات والأعمال بشكل عام، كما يعتبر من أهم المواضيع التي تشغل بال الإدارة في جميع الدول المتقدمة والنامية، ذلك لأن نمو الدخل الحقيقي في الدول المتقدمة ورفع مستوى المعيشة بها يعتمد أساساً على رفع الكفاءة للأداء كما أنه يعبر عن مستوى التقدم الاقتصادي والحضاري لأي بلد، كما يعد الأداء المؤسسي مفهوماً مهماً للمنظمات بشكل عام ويكاد يكون الموضوع الرئيسي لمجمل فروع المعرفة الإدارية (الشريف، 2018، ص85).

وفي ذات السياق تصادف منظمات الأعمال العديد من المشاكل غير المخططة او المبرمجة عند تطبيقها وظائف العملية الإدارية أثناء ممارستها لنشاطاتها العادية وترفع إلي إدارتها العليا من أحدي الوحدات التنظيمية فيها لإتخاذ قرار لحلها واعتماد ذلك القرار وبرمجتها للرجوع اليه مستقبلاً في الحالات المطابقة. أما الأمور العادية المخطط لها والمبرمجة مسبقاً فيترك الأمر في تسييرها للوحدات التنظيمية المعنية أي أن الإدارة العليا تتدخل بشكل استثنائي في أمور استثنائية.

وفي النظم الرقابية الحديثة يركز المدراء علي مبدأ الاستثناء وذلك بسبب ضخامة حجم المعلومات وسرعة تدفقها، وعند عرض المعلومات الاستثنائية علي المدير فإن اهتمامه يتجه نحو الأمور التي تحتاج لعلاج فوري.(عمار،2016م،ص10).

مشكلة الدراسة:

تواجه شركات التعدين العاملة في السودان تحديات عديدة يأتي في مقدمتها التحدي الإداري الذي يواجه طبقة الإدارة العليا في هذه الشركات، ويزداد الوضع تعقيداً في ظل بيئة الأعمال التي تتصف بالتغيير المستمر والتطور التكنولوجي والتقني المتسارع، والمنافسة الشديدة علي المورد بكل أنواعها الأمر الذي يحتم علي إدارة هذه الشركات انتهاج أسلوب إداري متقدم حتي تستطيع هذه الشركات التعامل بكفاءة وفعالية مع المتغيرات البيئية، الاقتصادية، التنافسية، التكنولوجية، المعلوماتية، السياسية، التشريعية، القانونية، الاجتماعية والثقافية.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بصورة أكثر وضوحاً في الإجابة علي التساؤل الرئيسي التالي:

ما مدي تأثير الإدارة بالإستثناء علي الأداء المؤسسي علي العاملين بشركات التعدين إقليم النيل الأزرق؟

ويتفرع من التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية:

1. إلي أي مدي تؤثر الإدارة بالاستثناء علي الأداء المؤسسي؟
2. ماهي طبيعة العلاقة بين الإدارة بالاستثناء والأداء المؤسسي؟
3. ما مدي تأثير الأداء المؤسسي علي الإدارة بالاستثناء؟

أهداف الدراسة:

1. اختبار العلاقة بين الإدارة بالاستثناء والأداء المؤسسي.
2. التعرف على العلاقة بين الإدارة بالاستثناء والأداء المؤسسي.
3. دراسة العلاقة بين الأداء المؤسسي والإدارة بالاستثناء.

الأهمية العلمية للدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في أنها تسعي إلي التعرف على دور الإدارة بالاستثناء على الأداء المؤسسي بشركات التعدين وإمكانية الاستفادة من التميز في الأداء بصورة تساعد علي تطوير أداء الموارد البشرية فيها من أجل تحقيق أهدافها ومن ثم إرساء الأسس العلمية التي تحقق هذه الأهداف.

الأهمية التطبيقية:

تتمثل الأهمية التطبيقية للدراسة في تقديم مساهمة عملية تقود نحو منظمة متطورة قادرة علي الاستدامة والتأقلم ومواجهة التغيرات في البيئة العملية، ومساعدة متخذي القرار بالإدارات العليا لشركات التعدين في تزويدهم وإحاطتهم بأهمية تأثير الإدارة بالاستثناء على التميز المؤسسي في الأداء، إذ لم يعد ممكناً العمل وفق مفاهيم المنظمة التقليدية والقائمة على السلطة وتوزيع الأدوار، والاهتمام الجزئي بالعمل، بل من خلال تبني فلسفة إدارية تشمل كافة نشاطات المنظمة. وتسخير كافة الموارد المتاحة من أجل ترقية أدائهم، وتحقيق التميز البحثي والإداري في ضوء مجتمع المعرفة. كما تبرز أهمية هذه الدراسة لأهمية قطاع التعدين ودوره المتنامي في الاقتصاد الوطني وتقديم الخدمات، لذا فإنه من المؤمل أن تخرج هذه الدراسة بنتائج تساعد متخذي القرار بالإدارات العليا في شركات التعدين لتبني توجهات إدارية حديثة وذلك عن طريق استخدام منهج الإدارة بالاستثناء التي تعد أحدث صيحة في علم الإدارة الحديثة لمواكبة التطور التكنولوجي في ظل التحديات الاقتصادية المعاصرة في عالم الأعمال اليوم.

الإطار النظري:

أولاً: مفهوم الإدارة بالاستثناء:

تصادف منظمات الأعمال العديد من المشاكل غير المخططة او المبرمجة عند تطبيقها وظائف العملية الإدارية أثناء ممارستها لنشاطاتها العادية وترفع إلي إدارتها العليا من أحدي الوحدات التنظيمية فيها لإتخاذ قرار لحلها واعتماد ذلك القرار وبرمجتها للرجوع اليه مستقبلاً في الحالات المطابقة. أما الأمور العادية المخطط لها والمبرمجة مسبقاً فيترك الأمر في تسييرها للوحدات التنظيمية المعنية أي أن الإدارة العليا تتدخل بشكل استثنائي في أمور استثنائية.

وفي النظم الرقابية الحديثة يركز المدراء علي مبدأ الاستثناء وذلك بسبب ضخامة حجم المعلومات وسرعة تدفقها، وعند عرض المعلومات الاستثنائية علي المدير فإن اهتمامه يتجه نحو الأمور التي تحتاج لعلاج فوري. (عمار،2016، ص10).

ويمكن القول بأن الإدارة بالاستثناء هي أسلوب يمكن المديرين من التركيز على الانحرافات في النتائج التي تتطابق مع المعايير، ويطلق عليها أحياناً الرقابة بالاستثناء. (علاقي،2000م، ص569).

لقد أصبح مفهوم الإدارة بالاستثناء يحمل معان كثيرة ومتعددة بالنسبة للباحثين، حيث أن لكل باحث في هذا المجال مصطلحاته الخاصة بهذا المفهوم ويري2003مAvoilo,Sivas ubramaniam, بأن الإدارة بالاستثناء لها جانبان: الجانب الإيجابي الذي يمثل تدخل القائد أو المدير في العمليات قبل حدوث الانحراف، والجانب السلبي هو عدم تدخل المدير الا بعد حدوث الانحرافات، والإدارة بالاستثناء هي احدي أدوات الرقابة الذاتية في منظمات الأعمال العصرية، وتدعم عملية تمكين العاملين المشاركة في اتخاذ القرارات الإدارية وكذلك عملية تفويض السلطة واهتمام المديرين بالقرارات الاستراتيجية والتي تحتاج إلي مجهود عقلي وفني، وتفويض السلطة للعاملين من القرارات التكتيكية والتنفيذية.(محمد،2012م،ص10).

وأشار الهواري، 2002م إلى أن الإدارة بالاستثناء هي أسلوب من أساليب القيادة التبادلية حيث لا يتدخل الرئيس الا اذا لم يستطيع المرؤوسون استيفاء المعايير أو المعدلات الموضوعة، ومن منظور المرؤوسين فإن الرئيس يتدخل لضمان نجاح الأهداف والأدوار التعاقدية التي تم الاتفاق عليها.

وأشار أحمد كوردي، إلي وجود علاقة بين الإدارة بالاستثناء والتركيز الاستراتيجي وهنا يتم التركيز علي إصلاح القصور في الأنظمة والأنشطة التشغيلية والتنفيذية كإحدى مهام الإدارة التركيزية من خلال التعرف علي الانحرافات المعيارية عند قياس مقارنة الأداء الفعلي بالأداء المستهدف والتركيز علي إصلاح الخلل والفرق في القياس كأحد المهام الرئيسية للقائمين علي الإدارة التركيزية، ومن ثم فإن النتائج المحققة بالفعل واعتمادها وتكرارها بفاعلية في العديد من الدورات التشغيلية ستكون من اختصاص الإدارة التشغيلية والعاملين كنوع من تفويض السلطة والمشاركة في القرار، وهنا يجب تركيز القادة والجهات العليا علي الفرق في النتائج لوضع القرارات الاستراتيجية لها حتي لا يتكرر الخلل مرة أخري.(محمد،2012م،ص17).

أبعاد الإدارة بالاستثناء:

1. تحديد السلطات والمسؤوليات:

تعد السلطة عاملا هاماً في عملية التنظيم ووجود السلطة أمر ضروري حتي يتمكن العامل من أداء مهامه وواجباته. فالسلطة هي حق اتخاذ القرار، والحق في توجيه أعمال الآخرين، والحق في

إصدار الأوامر، والسلطة تكون أكبر في المستويات الإدارية العليا ومحدودية في المستويات الإدارية الدنيا، فكلما انخفضت الوظيفة على السلم الإداري انخفضت السلطة. (عمار،2016م، ص17).

2. تفويض السلطة:

هو إعطاء سلطة اتخاذ القرارات إلي المستوي الإداري الأدنى في التنظيم، أو نقل حق التصرف واتخاذ القرارات إلي المرؤوسين، أو أن يعهد الرئيس ببعض مهامه إلي أحد معاونيه ويعطيه سلطة اتخاذ القرارات اللازمة للنهوض بهذه المهام. (محمد،2012م، ص31).

3. الإتصال الفعال: الاتصال عبارة عن عملية نقل هادفة للمعلومات، من شخص لآخر بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما. (عمار،2016م، ص20).

4. تقييم الأداء وتقويمه:

يقصد بتقييم الأداء عملية دورية منتظمة يقوم بممارستها المدير من خلال جمع المعلومات عن الإنجازات الفعلية للعاملين معه خلال مدة معينة ومقارنتها بمعدلات الأداء القياسية المعدة سلفاً. أما تقويم الأداء هي عملية قياس موضوعية لحجم ومستوي ما تم إنجازه بالمقارنة مع المطلوب إنجازه كما ونوعاَ والعمل على تصحيح الانحرافات ومعالجتها. (عمار،2016م، ص23).

ثانياً: مفهوم الأداء المؤسسي Institutional performance:

الاشتقاق اللغوي لمصطلح الأداء مستمد من الكلمة الانجليزية (To per for) وقد اشتقت هذه الكلمة بدورها من اللغة اللاتينية (Performer) والتي تعني تنفيذ مهمة أو تأدية عمل. ولقد عرف (A. Kherakhem) الأداء على أنه: تأدية عمل أو إنجاز نشاط أو تنفيذ مهمة، بمعنى القيام بفعل يساعد على الوصول إلى الأهداف المطلوبة (بلل،2015، ص114). كما يستطيع المرء العامل في أي وظيفة يشاركه فيها آخرون إدراك مفهوم المؤسسة التي يعمل من خلالها، كما يمكن للمستفيد من خدمات أي مؤسسة إدراك وظيفتها وأهدافها، ويرتبط وضوح المفهوم بالدور المناط بالمؤسسة وطبيعة عملها، ويمكن تعريف المؤسسة بأنها «نظام اجتماعي نسبي، وإطار تنسيقي عقلاني، بين أنشطة مجموعة من الناس تربطهم علاقات مترابطة متداخلة، يتجهون نحو تحقيق أهداف مشتركة وتنظيم علاقاتهم بهيكلية محددة في وحدات إدارية وظيفية ذات خطوط محددة للسلطة والمسؤولية»(الدجنى، 2011، ص136).

وكشفت الدراسات أن الأداء المؤسسي يدرك من خلال تحقيق المنظمات لأهدافها على ضوء الجودة، الفرص، العمليات، الابتكار، العاملين، الرضا الوظيفي، رضا العملاء، المبيعات، الربحية، وفق رؤية ورسالة المنظمة، وأشارت الدراسات أن الأداء المؤسسي يقاس بواسطة مؤشرين: مؤشرات مالية وأخرى غير مالية، المؤشرات المالية كالحصة السوقية، معدل العائد على الاستثمار، والعائد على الأسهم. في

حين أن المؤشرات غير المالية تضم الإنتاجية، الجودة، الكفاءة، تحسين العمليات، الأداء الابداعي، الأداء التشغيلي بجانب السلوك الموقفي كالالتزام، رضا العملاء، الرضا الوظيفي والمحافظة على العاملين، والاهتمام بأسس ومبادئ إدارة الجودة الشاملة التي تساهم في تعزيز الميزة التنافسية للمنظمات(Kanji, and) Gakobo,2017, p.309

أبعاد الأداء المؤسسي:

1. الربحية: Profitability

طبقاً للنظرية الاقتصادية فإن الهدف الرئيسي لمنظمات الأعمال هو تحقيق أقصى ربح ممكن وبالتالي يعتبر معدل الربحية في المؤسسة من أهم المؤشرات التي يعتمد عليها قياس الأداء في المؤسسة. ويعتبر مؤشر الربحية من أبرز مؤشرات الأداء لمؤسسات الأعمال نظراً لارتباطه المباشر بمدى نجاح أو فشل المؤسسة في تحقيق الهدف الرئيسي لمنشأة الأعمال المتعارف عليه في النظرية الاقتصادية وهو تحقيق أقصى ربح ممكن. ويعرف الربح بأنه الفرق بين الإيراد الكلي من حجم إنتاج معين والتكلفة الكلية لهذا الحجم، غير أن الربح كقيمة مطلقة في حد ذاته ليس له أهمية كمؤشر أداء إلا بمقدار ما يكون منسوباً إلى متغير يعبر عن حجم نشاط المؤسسة أو الموارد المتاحة لها حتى يعكس العائد من كل وحدة من وحدات هذا النشاط أو الموارد، ويسمى هذا المؤشر «بمعدل الربحية» أو اختصارا (الربحية)(العيد، 2017، ص101).

2. الإنتاجية: Productivity

إن كلمة الإنتاجية تحمل اليوم معاني متعددة، فللبعض هي مقياس لكفاءة العمل، وللبعض الآخر تعني المخرجات المطلوب تحقيقها من مجموعة الموارد، وبالنسبة للبعض فإنها مرادفة لكلمة الرفاهية، وفي حالة متطرفة فإنها ربطت بعامل الزمن، وبالرغم من الاختلاف في وجهات النظر بشأن الإنتاجية إلا أنه يمكن تحديدها لمفهومها الواسع بأنها تعني: المعيار الذي يمكن من خلاله قياس حسن استغلال الموارد الإنتاجية وفي ضوء ذلك يمكن تحديد وتقييم درجة الاستفادة من توجيه الموارد وصولاً إلى النتائج المستهدفة. وقد تم تعريف الإنتاجية: بأنها نسبة الناتج النهائي إلى العناصر الداخلة في تكوينه. كما تعرف أيضاً بأنها نسبة المدخلات إلى المخرجات، أو أنها نسبة أو كمية أو قيمة المنتجات إلى الموارد المستخدمة فيها سواء كانت القوى العاملة أم المكائن أم المعدات أو المواد الأولية (صبيح، 2014، ص33).

الدراسات السابقة:

1. دارسة محمود ابراهيم،(2017م): بعنوان: ممارسة مديري المدارس الثانوية لأسلوب الإدارة بالاستثناء وعلاقتها بتحقيق متطلبات بناء القيادات الريادية(دراسة تطبيقية)،تهدف الدراسة

التعرف إلي درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمحافظة خان يونس لأسلوب الإدارة بالاستثناء، وعلاقتها بدرجة تحقق متطلبات بناء القيادات الريادية لديهم من وجهة نظر معلميهم، والكشف عن مدي الاختلاف بين متوسطات تقديرات المعلمين لدرجة ممارسة مديريهم أسلوب الإدارة بالاستثناء، ودرجة تحقق متطلبات القيادة الريادية باختلاف كل متغير(النوع الاجتماعي للمدير، والمؤهل العلمي للمدير، وسنوات الخدمة للمدير كمدير، والمنطقة التعليمية)، والتحقق من وجود علاقة ارتباطية بين متوسطات تقديرات هؤلاء المعلمين لدرجة ممارسة مديريهم اسلوب الإدارة بالاستثناء، ومتوسطات تقديراتهم لدرجة تحقق متطلبات بناء القيادات الريادية في مدارسهم. واستخدم الباحث المنهج الوصفي، مستعيناً باستبانتين طبقتا علي(245) معلماً ومعلمة، تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية المنتظمة. وقد اسفرت الدراسة عن العديد من النتائج، أهمها: أن كلاً من تقديرات أفراد العينة لدرجة ممارسة أسلوب الإدارة بالاستثناء وتقديراتهم لدرجة تحقق متطلبات بناء القيادات الريادية من المديرين جاءت بدقة قليلة. في حين أكدت الدراسة وجود علاقة قوية بلغت (98%) بين متوسطات تقديرات العينة لكل من درجة ممارسة أسلوب الإدارة بالاستثناء، ودرجة تحقق متطلبات القيادة الريادية.

2. دراسة حابس، وأخرون، (2019م): بعنوان: الأداء المؤسسي ودوره في تحسين إنتاجية الجامعات الخاصة في شمال الأردن من وجهه نظر القادة الاكاديميين، هدفت هذه الدراسة التعرف إلي مستوي الأداء المؤسسي في تحسين إنتاجية الجامعات الخاصة شمال الأردن من وجهة نظر القادة الأكاديميين، وقد تم استخدام المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (85) قائداً أكاديمياً، وقد تم استخدام الاستبانة أداة للدراسة. وقد أظهرت نتائج الدراسة: أن درجة فاعلية الأداء المؤسسي في الجامعات الخاصة شمال الأردن من وجهة نظر القادة الأكاديميين جاءت بدرجة تقدير كبيرة، كما أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية لأثر متغيرات: (الجنس، والجامعة، والرتبة الاكاديمية، عدد سنوات الخبرة، والمسمى الوظيفي. باستثناء متغير الكلية وجاءت لصالح الكليات الانسانية، بضرورة دورات تدريبية للعاملين تسهم في تنمية الابداع الأدائي لديهم، وتعزيز من مهاراتهم وكفاءتهم الذاتية من أجل الحصول علي جودة متميزة في الأداء المؤسسي الجامعي، بعيداً عن التعقيد والرتابة في التعامل.

3. دراسة جملة النومسي، (2021م): بعنوان: الإدارة بالاستثناء وعلاقتها في بناء ابعاد القيادة الريادية لدي رؤساء الأقسام الأكاديمية بجامعة تبوك، هدفت الدراسة الي الكشف عن العلاقة بين ابعاد الادارة بالاستثناء، (تحديد السلطات، تفويض السلطة، الاتصال الفاعل، تقييم الأداء وتقويمه)، وابعاد القيادة الريادية، (الرؤية الاستراتيجية، الابداع، تحمل المخاطرة، المبادأة أو الاستباقية). لدي رؤساء الاقسام الاكاديمية وذلك من وجهه نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة تبوك، والكشف عن الفروق بين استجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغيرات، (الرتبة الاكاديمية، الجنس)، ولتحقيق ذلك تم استخدام المنهج الوصفي المسحي الارتباطي، والاستبانة أداة لجمع البيانات، وتكون مجتمع

الدراسة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة تبوك، والبالغ عددهم، (932) عضو هيئة تدريس، وتم اختيار، (278) منهم بالطريقة العشوائية البسيطة عينة الدراسة. وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية طردية موجبة دالة إحصائية عند مستوي (0,01) بين ممارسة الادارة بالاستثناء وأبعادها، وبناء القيادات الريادية وأبعادها. وأوصت الدراسة بعدد من التوصيات من أبرزها: تأطير مفهومي الادارة بالاستثناء والقيادة الريادية كمفاهيم حديثة في الإدارة التربوية، وأسلوب إداري في تأدية المهام والوظائف، والعمل علي نشر أسلوب الإدارة بالاستثناء بشكل واسع. وأوصت الدراسة بالعمل علي زيادة الوعي حول أهمية ترسيخ ثقافة الأساليب الادارية التي تعمل علي تطوير الجوانب الشخصية والريادية للقيادات ورؤساء الأقسام بالجامعة، لما لها من الآثار الكبيرة علي تدعيم مكانة جامعة تبوك وتحقيق الريادة والميزة التنافسية بين الجامعات الأخرى.

4. دراسة إيمان حمدي،(2021م): بعنوان: متطلبات تطبيق معايير النموذج الأوربي للتميز المؤسسي(EFGM).في الجامعات المصرية علي ضوء مستحدثات العصر الرقمي، يعتبر التميز في الجامعات هو المدخل والمكون الأساسي للتميز المؤسسي من خلال تبني منظومة من القيم المؤسساتية مدعومة برؤية ورسالة شاملة تتحقق باستراتيجيات عمل لمواجهة التغيرات البيئية الداخلية والخارجية، ويعد نموذج المؤسسة الأوربية**EFGM**)).من أهم النماذج المفسرة التميز المؤسسي التي يمكن تطبيقها علي مؤسسات التعليم العالي، والذي أثبت نجاحه وانتشاره في مؤسسات عالمية كأحد الأطر الرئيسية لتقييم وجودة أداء المنظمة، وتقييم الوضع المهني للعاملين. وقد هدفت البحث إلي السعي للوقوف علي واقع التميز المؤسسي في الجامعات المصرية في ضوء معايير النموذج الأوربي**(EFGM)**. ومستحدثات العصر الرقمي من وجهه نظر القيادات الأكاديمية والإدارية بالجامعات المصرية. واعتمد البحث علي المنهج الوصفي نظراً لما ينطوي عليه هذا المنهج من رصد للواقع، وما يتبع ذلك من تحليل وتفسير لهذا الواقع، استنادا إلي الدراسات والأبحاث توصل البحث إلي وجود مجموعة من المعوقات الي تواجه الجامعات المصرية وتحد من إمكانية تطبيق معايير النموذج الأوربي للتميز المؤسسي**(EFGM)**. في ضوء مستحدثات العصر الرقمي من وجهة نظر القيادات الأكاديمية والإدارية بالكليات، وفي نهاية البحث تم وضع مجموعة من المتطلبات المقترحة لتطبيق معايير النموذج الاوربي للتميز المؤسسي**(EFGM)**، في الجامعات المصرية.

تعقيباً علي الدراسات السابقة يلاحظ أنه تم إجراؤها في العديد من القطاعات كالجامعات الخاصة والعامة مثل دراسة ايمان حمدي(2021)،ودراسة جملة النومسي(2021)، ودراسة حابس وأخرون(2019)، وبعضها إجريت علي الاكاديميات والمدارس الثانوية كدراسة محمود ابراهيم(2017)،وتتشابه الدراسة الحالية مع دراسة جملة النومسي (2021)، ودراسة محمود ابراهيم(2017)، في تناولها لموضوع الإدارة بالاستثناء. كما تنوعت الدراسات في استخدام مناهج البحث والتحليل فدراسة جملة النومسي(2021)، استخدمت المنهج الوصفي المسحي الارتباطي، وتتشابه الدراسة الحالية مع كل الدراسات السابقة في انها استخدمت متغيرين. تابع ومستقل،

وتختلف الدراسة الحالية عن تلك الدراسات السابقة في انها اتخذت المنهج الوصفي التحليلي ضمن البرنامجين Amosv.25,Spss، وتحليل معادلة النمذجة الهيكلية.

نموذج وفرضيات الدراسة:

استناداً على الدراسات السابقة وانسجاماً مع أهداف الدراسة وتساؤلاتها ومجتمع الدراسة تمت صياغة النموذج، حيث يوضح الشكل رقم(1) نموذج الدراسة وفيه تظهر مجموعة من المتغيرات المكونة للدراسة الحالية، من خلال مجموعة من علاقات الارتباط والتأثير بين متغيرات الدراسة.

شكل رقم(1) نموذج الدراسة

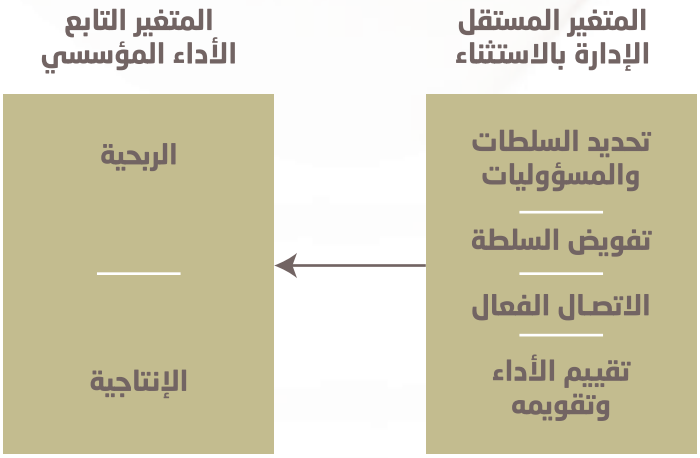

المصدر: إعداد الباحثان،(2024م).

فرضيات الدراسة:

1. توجد علاقة إيجابية بين الإدارة بالاستثناء والأداء المؤسسي.
2. توجد علاقة إيجابية بين الأداء المؤسسي والإدارة بالاستثناء.
3. توجد علاقة تأثيرية بين الأداء المؤسسي والإدارة بالاستثناء.

منهجية الدراسة:

إعتمدت الدراسة علي المنهج الوصفي من خلال استخدام ادوات الإحصاء الوصفي التحليلي وقد اعتمدت علي نوعين من البيانات الأولية والبيانات الثانوية، وتم الاعتماد علي الاستبانة كأداة رئيسية في جميع البيانات الأولية، حيث تم تصميم الاستبانة وفق مقياس ليكرت الخماسي المتدرج الذي يتكون من خمسة مستويات علي النحو التالي: أوافق بشدة، وأوافق، ومحايد، ولا أوافق،

ولا أوافق بشدة، حيث تم إعطاء أرقام لهذه العبارات في عملية التحليل وذلك علي النحو التالي: الرقم(1) يقابل أوافق بشدة، الرقم(2) أوافق، الرقم(3) محايد، والرقم(4) لا أوافق، والرقم(5) لا أوافق بشدة، وتمت مراعات كل الجوانب الأساسية في صياغة الأسئلة لتحقيق الترابط بين الموضوع.

تحليل بيانات:

معدل إستجابات العينة:

تم جمع البيانات من الميدان عن طريق الإستبانة الموجه لعينة من العاملين بشركات التعدين إقليم النيل الأزرق حيث تم توزيع(60) إستبانة، تمكن الباحثان من الحصول على(60) إستبانة من جملة الإستبانات الموزعة بنسبة (100%) ولم تسترد(0) إستبانات بنسبة(0%) من ثم تم عمل تنظيف للبيانات للتخلص من البيانات المفقودة.

تحليل البيانات الاساسية:

احتوت البيانات الاساسية علي عدد من العناصر هي: النوع: العمر: الحالة الاجتماعية: المسمي الوظيفي: المؤهل العلمي: سنين الخبرة حيث نجد الاتي:

		Frequency	Percent
النوع	ذكر	42	70.0
	انثي	18	30.0
	Total	60	100.0
العمر	اقل من 30	3	5.0
	30-40 سنة	25	41.7
	40-50	23	38.3
	50-60	7	11.7
	60 فاكثر	2	3.3
	Total	60	100.0
ح. اجتماعية	متزوج	27	45.0
	غير متزوج	24	40.0
	مطلق	6	10.0
	ارمل	3	5.0
	Total	60	100.0

م. علمي	ثانوي	3	5.0
	جامعي	38	63.3
	فوق جامعي	19	31.7
	Total	60	100.0
م. وظيفي	مدير عام	3	5.0
	مدير ادارة	18	30.0
	رئيس قسم	19	31.7
	مراقب	8	13.3
	مشرف	4	6.7
	اداري	8	13.3
	Total	60	100.0
س. خبرة	اقل من 5 سنة	18	30.0
	5-10 سنة	31	51.7
	10-15	9	15.0
	15 سنة فاكثر	2	3.3
	Total	60	100.0

المصدر: إعداد الباحثان من بيانات الاستبيان 2024م.

صلاحية النموذج:

للتأكد من صلاحية النموذج تم إستخدام برنامج التحليل الاحصائي(Smart PLS) في إجراء عملية التحليل العاملي الاستكشافي والتحليل العاملي التوكيدي لنموذج الدراسة المكون من ابعاد هي(الإتصال الفعال, تحديد السلطات والمسؤوليات, تفويض السلطة, تقييم الأداء وتقويمه ,الربحية والإنتاجية) حيث تم إعطاء كل عبارة من العبارات التي أستخدمت لقياس كل متغير في الاستبانة حيث احتوت الاستبانة على(23عبارة) تم حذف العبارات التي يقل فيها 0.7، (James Gaskin 2014).ويوضح الجدول(2) نتائج عملية التحليل العاملي الاستكشافي لنموذج الدراسة المكون من(23عبارة) .

الجدول(2) التحليل العاملي الاستكشافي للنموذج الدراسة(حجم العينة:60)

	الإتصال الفعال	الإنتاجية	الربحية	تحديد السلطات والمسؤوليات	تفويض السلطة	تقييم الأداء وتقويمه
تتناسب المسؤوليات مع مقدار السلطة الممنوحة لكل موظف.				0.841		
يمتلك الموظفون الصلاحيات الكافية للقيام بأعمالهم.				0.757		
يوجد وصف وظيفي ودليل تنظيمي للموظفين بالشركة يوضح الواجبات المطلوب القيام بها				0.837		
يتوفر لدي الموظفين الحرية في المشاركة في اتخاذ القرارات حول ما يجب عمله بالشركة.				0.803		
تسير الأعمال بشكل جيد عند غياب القائد الإداري.					0.700	
يقوي تفويض السلطة العلاقات الإنسانية بين الموظفين من خلال زرع الثقة.					0.858	
يتم إشباع الحاجات النفسية لدي الموظفين عن طريق التفويض.					0.724	
يعزز التفويض اللامركزية في اتخاذ القرارات وإنجاز الأعمال بسرعة.					0.829	
توفر الشركة وسائل الإتصال الحديثة لتحسين أداء العاملين.	0.773					
تساهم آليات ووسائل الإتصال الموجودة في إنسياب المعلومات بين المستويات الإدارية المختلفة.	0.857					
تستخدم الشركة البيانات التي تقوم بجمعها من العاملين لتحسين أعمالهم وتطوير إستراتيجيتها.	0.838					

الإتصالات الداخلية في الشركة هي المفتاح لمنح العاملين حرية في إنجاز الأعمال.	0.826					
تتوفر وسائل لعمل تغذية راجعة عن سير العمل للرؤساء وفي أوقات ملائمة.	0.840					
تتعدد وسائل تقييم نتائج أداء العاملين داخل الشركة.						0.783
يشارك العاملين في وضع معايير تقييم نتائج الأداء.						0.868
تتم المناقشة بين الرؤساء والمرؤوسين في الشركة حول أداء المهام بشكل مستمر.						0.962
تستعمل الإدارة نتائج تقييم الأداء وتقويمه في إتخاذ القرارات المتعلقة بشئون العاملين.						0.934
يتم إعلان العاملين بشكل منتظم بتقييم نتائج أدائهم السنوي في الشركة.						0.841
الهدف الرئيسي لشركات التعدين هو تحقيق أقصي ربح ممكن.			0.865			
مؤشر الربحية يرتبط مباشرة بنجاح أو فشل شركات التعدين في تحقيق الأهداف.			0.920			
معدل الربحية من أهم المؤشرات التي يعتمد عليها قياس أداء الشركة.			0.920			
تساعد نظم الموارد البشرية في تحقيق الأداء المؤسسي بالشركة.			0.797			
التحفيز المادي والمعنوي أدي الي زيادة الإنتاجية.		0.814				

				0.915		يساهم برنامج التدريب بشركات التعدين في تحسين المنتج والخدمات.
				0.921		نظام الكفاءة في أداء العمل ساعد العاملين علي زيادة الإنتاج والإنتاجية بالشركة.

المصدر: إعداد الباحثان من بيانات الاستبيان 2024م.

تحليل الاعتمادية:

يستخدم تحليل الاتساق للعثور على الاتساق الداخلي للبيانات ويتراوح من(0 إلى 1)، تم احتساب قيمة(ألفا كرو نباخ) للعثور على اتساق البيانات الداخلي، اذا كانت قيم معامل ألفا كرو نباخ أقرب إلي(1) يعتبر الاتساق الداخلي للمتغيرات كبير، و لاتخاذ قرار بشأن قيمة الفا كرو نباخ المطلوبة يتوقف ذلك على الغرض من البحث ففي المراحل الأولى من البحوث الأساسية تشير(Nunnally,1967) إلى أن المصداقية من 0.50-0.60 تكفي وأن زيادة المصداقية لا كثر من 0.80 وربما تكون إسراف، أما(Hair et al, 2010) اقترح أن قيمة ألفا كرو نباخ يجب أن تكون أكثر من 0.70 ومع ذلك، يعتبر ألفا كرو نباخ من 0.50 فما فوق مقبولة أيضًا في الأدب(Bowling, 2009)،سيتم احتساب(CR) الموثوقية المركبة ايضا وكذلك احتساب كل من(AVE,(MSV, MaxR(H للتأكد من صلاحية النموذج والجدول التالي يوضح الفا بعد التحليل العاملي التوكيدي، والجدول رقم(4-9) يوضح نتائج الاختبار بعد التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي.

الجدول(3) تحليل الاعتمادية والصلاحية بعد التحليل العاملي الاستكشافي والتوكيدي.

	Cronbach's alpha	Composite reliability (rho_a)	Composite reliability (rho_c)	Average variance extracted (AVE)
الإتصال الفعال	0.889	0.927	0.915	0.684
الإنتاجية	0.687	0.762	0.860	0.755
الربحية	0.938	1.056	0.947	0.783
تحديد السلطات والمسؤوليات	0.829	0.864	0.884	0.657
تفويض السلطة	0.793	0.846	0.861	0.609
تقييم الأداء وتقويمه	0.930	0.974	0.945	0.774

المصدر: إعداد الباحثان من بيانات الاستبيان 2024م.

تحليل الارتباط (Person Correlation):

تم استخدام تحليل الارتباط بين متغيرات الدراسة بهدف التعرف على العلاقة الارتباطية بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع ,والوسيط، فكلما كانت درجة الارتباط قريبة من الواحد الصحيح فإن ذلك يعني أن الارتباط قوياً بين المتغيرين وكلما قلت درجة الارتباط عن الواحد الصحيح كلما ضعفت العلاقة بين المتغيرين وقد تكون العلاقة طردية أو عكسية، وبشكل عام تعتبر العلاقة ضعيفة إذا كانت قيمة معامل الارتباط اقل من(0.30) ويمكن اعتبارها متوسطة اذا تراوحت قيمة معامل الارتباط بين(0.30 – 0.70) اما اذا كانت قيمة الارتباط أكثر من (0.70) تعتبر العلاقة قوية بين المتغيرين.

الجدول رقم(4) تحليل الارتباطات بين متغيرات الدراسة.

	الإتصال الفعال	الإنتاجية	الربحية	تحديد السلطات والمسؤوليات	تفويض السلطة	تقييم الأداء وتقويمه
الإتصال الفعال	1.000					
الإنتاجية	0.397	1.000				
الربحية	0.408	0.893	1.000			
تحديد السلطات والمسؤوليات	0.507	0.498	0.420	1.000		
تفويض السلطة	0.632	0.332	0.287	0.507	1.000	
تقييم الأداء وتقويمه	0.805	0.415	0.465	0.511	0.552	1.000

المصدر :اعداد الباحثان من بيانات الاستبيان 2024م.

- من خلال بيانات الجدول اعلاه يتضح ان اعلاه قيمة ارتباط بين الانتاجية والربحية حيث بلغت قيمة ارتباط بيرسون 0.893 حيث تعتبر قيمة ارتباط قوية لأنها اعلي من 0.70.
- واقل قيمة ارتباط بين الربحية وتفويض السلطة حيث بلغت 0.287 وهي تعتبر قيمة ارتباط منخفضة لأنها اقل من 0.30.

نمذجة المعادلة البنائية Structural Equation Modeling [SEM]:

وهو نمط مفترض للعلاقات الخطية المباشرة وغير المباشرة بين مجموعة من المتغيرات الكامنة والمشاهدة, وبالتحديد استخدام أسلوب تحليل المسار، لما يتمتع به هذا الأسلوب من عدة مزايا، تتناسب مع طبيعة الدراسة. (Barbara G Fidell,1996) ويستخدم تحليل المسار فيما يماثل الأغراض التي يستخدم فيها تحليل الانحدار المتعدد، حيث أن تحليل المسار يعتبر امتداداً لتحليل

الإنحدار المتعدد، ولكن تحليل المسار، أكثر فعالية حيث أنه يضع في الحسبان نمذجة التفاعلات بين المتغيرات،The Modeling of Interactions وعدم الخطية Nonlinearities وأخطاء القياس، والارتباط الخطي المزدوج Multicollinearity بين المتغيرات المستقلة (Jeonghoon ,2002).

الشكل(3) الفرضية الاولي(هنالك علاقة ايجابية بين الإدارة بالاستثناء وأثرها علي الأداء المؤسسي).

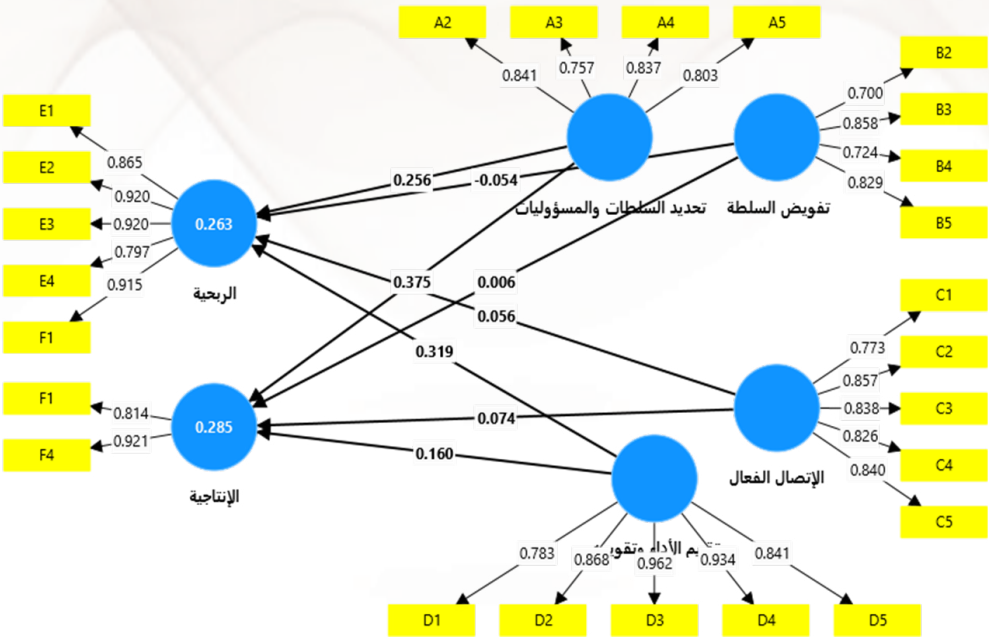

لقد تم استخدام اختبار تحليل المسار عن(By using Smart PLS) والذي يهدف إلى التعرف الإدارة بالاستثناء وأثرها علي الأداء المؤسسي كما في الشكل(3). تم الاعتماد على معامل(**T statistic**) لمعرفة التغير المتوقع في المتغير التابع بسبب التغير الحاصل في وحدة واحدة من المتغير المستقل، وقد تم الاعتماد على مستوى الدلالة 0.05 للحكم على مدى معنوية التأثير، حيث تم مقارنة مستوى المعنوية المحتسب مع قيمة مستوى الدلالة المعتمد، وتعد التأثيرات ذات دلالة احصائية إذا كانت قيمة مستوى الدلالة المحتسب أصغر من مستوى الدلالة المعتمد(0.05) حيث يتم التعرف على المعنوية من خلال المسار الذي ينتقل من المتغير الي اخر،حيث ان المسار الذي ينتقل من متغير الي اخر عند مستوي معنوية (P>005).

الجدول(5) يبين قيم تحليل المسار بين الإدارة بالاستثناء وأثرها علي الأداء المؤسسي.

	Original sample (O)	Sample mean (M)	Standard deviation (STDEV)	T statistics (|O/STDEV|)	P values
الإتصال الفعال -> الإنتاجية	0.074	0.088	0.250	0.295	0.768
الإتصال الفعال -> الربحية	0.056	0.061	0.265	0.212	0.832
تحديد السلطات والمسؤوليات -> الإنتاجية	0.375	0.382	0.135	2.784	0.005
تحديد السلطات والمسؤوليات -> الربحية	0.256	0.267	0.148	1.729	0.084
تفويض السلطة -> الإنتاجية	0.006	0.066	0.188	0.032	0.975
تفويض السلطة -> الربحية	-0.054	0.015	0.195	0.278	0.781
تقييم الأداء وتقويمه -> الإنتاجية	0.160	0.137	0.232	0.692	0.489
تقييم الأداء وتقويمه -> الربحية	0.319	0.291	0.213	1.499	0.134

الجدول أعلاه يتضح ان:

- تحديد السلطات والمسؤوليات يؤثر ايجابا علي الانتاجية لان قيمة المعنوية كانت اقل من 0.05. تساوي 0.005.
- الاتصال الفعال لا يؤثر علي الانتاجية لان قيمة مستوي الدلالة اكبر من 0.05. وتساوي 0.768.
- الاتصال الفعال لا يؤثر علي الربحية لان قيمة مستوي الدلالة اكبر من 0.05. وتساوي 0.832.
- تحديد السلطات والمسؤوليات لا يؤثر علي الربحية لان قيمة مستوي الدلالة اكبر من 0.05. وتساوي 0.084.
- تفويض السلطة لا يؤثر علي الانتاجية لان قيمة مستوي الدلالة اكبر من 0.05. وتساوي 0.975.
- تفويض السلطة لا يؤثر علي الربحية لان قيمة مستوي الدلالة اكبر من 0.05. وتساوي 0.781.
- تقييم الاداء وتقويمه لا يؤثر علي الانتاجية لان قيمة مستوي الدلالة اكبر من 0.05. وتساوي 0.489.
- تقييم الاداء وتقويمه لا يؤثر علي الربحية لان قيمة مستوي الدلالة اكبر من 0.05. وتساوي 0.134.

مناقشة النتائج:

أظهرت النتائج بأن هنالك تأثير إيجابي ضعيف بين الإدارة بالإستثناء والأداء المؤسسي، مما يعكس بأن شركات التعدين موضع الدراسة لن تعير برامج الإدارة بالإستثناء إهتمامات كبيرة، ولم تتطابق هذه النتيجة مع دراسة(محمود،2017) التي توصلت إلى وجود علاقة إرتباط قوي بين الإدارة بالإستثناء ومتطلبات بناء القيادة الريادية، وهذا يمكن أن يعزى لإختلاف مجال التطبيق، حيث أن الاكاديميات والمدارس الثانوية تهتم بصورة أكبر ببرامج الإدارة بالإستثناء بغية تعزيز ميزاتها التنافسية، كما إختلفت مع دراسة(جملة النومسي،2021) التي توصلت إلى وجود تأثير إيجابي قوي بين الإدارة بالإستثناء وبناء ابعاد القيادة الريادية في الجامعات والاكاديميات الخاصة والعامة. ويمكن تفسير هذا بأن الجامعات الخاصة والعامة أكثر حرصاً في تحسين جودة الخدمات عن شركات التعدين.

كما أظهرت النتائج بأنه توجد علاقة جزئية بين الإدارة بالأستثناء وأبعاد الأداء المؤسسي (الربحية، والإنتاجية)،وهذا مؤشر على إهتمام القيادة بنظام الإدارة بالإستثناء، لا سيما أن تبني منهج الإدارة بالإستثناء يتطلب إلتزام القيادة (Leadership commitment) وإيمانها بذلك من خلال خطة استراتيجية وثقافة تنظيمية تنطوي حول هذه المفاهيم الإدارية الحديثة التي تفضي إلى تطوير القدرات المؤسسية وتعزيز الميزات التنافسية في كل أنشطة المنظمة.

كذلك أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود علاقة ذات تأثير معنوي بين أبعاد الإدارة بالإستثناء (تحديد السلطة والمسؤوليات، الإتصال الفعال، تفويض السلطة، تقييم الأداء) والأداء المؤسسي. إلا أن هناك أثر معنوي ذو دلالة احصائية بين تحديد السلطات والمسؤوليات والانتاجية التي تعد واحدة من معايير الأداء المؤسسي، وحسب دراسات الهوثورن Hawthorne study فإن الثقة المتبادلة بين العاملين والقائد فضلاً عن مشاركتهم تعزز من إنتاجية العاملين وعلى الأداء العام للمؤسسة.

التوصيات:

1. الإهتمام بتهيئة بيئة العمل وخلق المناخ المناسب والملائم للحفاظ علي مستوي الأداء المؤسسي للعاملين.
2. ضرورة التأكيد علي ممارسة مبدأ الإدارة بالإستثناء بفاعلية كأسلوب إداري في تأدية الوظائف والمهام والعمل علي نشر هذا المبدأ علي نطاق واسع.
3. الوقوف علي متطلبات وإحتياجات العاملين وتزويدهم بالتغذية الراجعة عن أدائهم لضمان سلامة العمل وفق الخطط والبرامج واللوائح الموضوعة.

4. الإهتمام بتقييم الأداء وتقويمه في الشركات السودانية بإقليم النيل الأزرق، والعمل علي تنفيذه بالصورة التي تهيئ لشركات التعدين الظروف للإستفادة من نتائج التقييم بما يحسن من خدماتها الإدارية.

5. العمل علي إستقرار الهيكل التنظيمي لان ذلك يؤدي لإستقرار العمليات الإدارية وإنتظامها وبالتالي جودة الخدمة المقدمة.

6. وضع إجراءات مناسبة للتعامل مع الإنحرافات عن تقييم الأداء، ليكون للتقييم فعاليته.

7. الإهتمام بالأساليب الإدارية الحديثة في جوانب الإتصال مما يذيد من كفاءة العملية بين المستويات الإدارية المختلفة.

8. ضرورة وأهمية الإطلاع المستمر علي أحدث المتغيرات والتطورات في بيئة شركات التي تضمن له مواكبة أحداث التغيرات.

9. إرشاد وتوجيه المرؤوسين وتشجيع روح التعاون في العمل وتعزيز دور الأداء المؤسسي مما ينعكس علي تحسين أداء العاملين نحو الإبتكار والإبداع لتحقيق أهداف شركاتهم.

10. العمل علي زيادة الوعي حول أهمية ترسيخ ثقافة الأساليب الإدارية التي تعمل علي تطوير الجوانب الشخصية والريادية للموظفين.

المصادر والمراجع

اولاً: المراجع باللغة العربية

(1) إبراهيم، يحي،(2001):استراتيجيات النجاح وأسرار التميز، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

(2) الرفاعي، أمل عمر بسيم،(2008): معجم مصطلحات إدارة الأعمال، دار شعاع للنشر والتوزيع.

(3) الزعبي، فايز، وعبيدات، محمد إبراهيم،(1997): أساسيات الإدارة الحديثة، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان. الأردن.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

(4) ALshammari Far han. (2014). Nursing Leader ship in the Ministry of Health Hospitals of Saudi Arabia. (Unpublis hed Doctoral dissertation), RMTT University, Australia.

(5) Nyaga Deban Kangi and Joyce Gako, effect of total quality management practices on organization performance of saving and credit co-operatives in kiringag acounty, Kenya, international Academic journal of human resources and business administration vol.2 issue.4, 2017.

(6) Ghazi, et, relation between total quality management practices and business excellence, international review of management and marketing, 2018.

ثالثاً: الرسائل العلمية

(1) النومسي، جملة عبدالله،(2021): الإدارة بالاستثناء وعلاقتها في بناء أبعاد القيادة الريادية لدي رؤساء الأقسام الأكاديمية بجامعة تبوك العدد139. كلية التربية والآداب. المملكة العربية السعودية.

(2) إياد علي الدجنى،(2011): دور التخطيط الاستراتيجي في جودة الأداء المؤسسي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة دمشق. سوريا.

(3) إيمان زهران،(2021): متطلبات تطبيق معايير النموذج الأوربي للتميز المؤسسي(EFGM) في الجامعات المصرية علي ضوء مستحدثات العصر الرقمي. جامعة سوهاج، كلية التربية. القاهرة.

(4) بوسام، ابوبكر،(2015): دور التمكين الإداري في التميز التنظيمي، دراسة ميدانية علي شركة سوناطراك البترولية الجزائرية، أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الدكتوراه.

(5) حابس حتاملة، نجوي دراوشة،(2019): الأداء المؤسسي ودوره في تحسين إنتاجية الجامعات الخاصة في شمال الأردن من وجهه نظر القادة الأكاديميين. دراسات العلوم التربوية، المجلد46 العدد2.

(6) حريم، حسين،(2006): مبادئ الإدارة الحديثة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان.

(7) خالد، جمال صبيح،(2012): أثر توليد المعرفة التنظيمية كمتغير وسيط بين أبعاد المنظمة الساعية للتعلم وتحسين الأداء المؤسسي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط. الأردن.

(8) سائد، خليل،(2022): الجودة في الأداء المؤسسي، سلسلة كتيبات تعريفية، العدد37، صندوق النقد العربي. أبوظبي. الامارات العربية المتحدة

(9) عمار، أحمد اكرم جمال،(2016):مدي ممارسة الإدارة بالاستثناء وأثرها علي الخصائص الريادية، دراسة تطبيقية علي الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة.

(10) قريشي، العبد،(2017): مؤشرات أداء مؤسسة سوناطراك في الصناعة التنظيمية، دراسة تحليلية للفترة من 2000-2015م، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية، العدد11.

(11) محمد، عمر مصطفي،(2012): دور الإدارة بالاستثناء في بناء القيادات الريادية، دراسة استطلاعية لآراء عينة من القيادات الإدارية في بعض المعامل الإنتاجية في محافظة السلمانية، متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم إدارة الأعمال.

(12) محمود، إبراهيم خلف الله،(2017): ممارسة مديري المدارس الثانوية لأسلوب الإدارة بالاستثناء وعلاقتها بتحقيق متطلبات بناء القيادات الريادية،(دراسة تطبيقية. مجلة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد2).

(13) معالي، عباس الشريف،(2018): العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة الموجهة وأثرها علي الأداء المؤسسي. الدور المعدل للثقافة التنظيمية، رسالة دكتوراه في إدارة الأعمال، غير منشورة. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا. السودان.

أسس تجديد النحو التعليمي عند شوقي ضيف والمجامع اللغوية العربية

أ. مشلب محمد الشين
كلية الدراسات العليا - جامعة البحر الأحمر

د. صلاح رمضان عبد الله عبد البين
أستاذ مشارك - قسم اللغة العربية
جامعة البحر الأحمر

المستخلص:

إن ضعف السليقة اللغوية جيلا بعد جيل، ثم تأثر علم النحو بعلوم المنطق والكلام والفقه زاد من صعوبة تمثل قواعده، حيث أصبحت غاية في ذاتها لا وسيلة اللسان من اللحن وصيانة الأقلام من الزلل، ومما أضعف هذا من دور النحو في تحسين الأداء اللغوي وسلامته. وكانت النتيجة أن ضاق به الدارسون، وملوا كتبه واستثقلوا مسائله وقواعده، ورأوه مادة عصية لاتصل بهم إلى الغايات المرجوة منها فالعناء في الدراسة النحوية، وضالة أثرها من ناحية أخرى شكلا أزمة النحو العربي في المجال النظري الدراسي وفي المجال العملي، لذلك نتجت اتجاهات في النحو أبرزها النحو التعليمي فقد بينت الدراسة الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي، موضحة الأسس التعليمية التي يقوم عليها. وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي، وتبرز أهمية البحث في معرفة ما توصلت إليه اللسانيات التعليمية، في مجال النحو التعليمي الذي ستند في صياغته إلى نظرية لسانية في الاكتساب، ونظرية نفسية في التعلم، ويهدف البحث إلى

وضع أسس النحو التعليمي التي تؤدي إلى أدراك مقاصد الكلام، وفهم ما يُقرأ أو يُسمع أو يُكتب أو يُتحدث به فهما صحيحا، تستقر بعد المفاهيم في ذهن المؤدي أو المتلقي، وتنضح له المعاني والأفكار وضوحا لا غموض فيه ولا ليس ولا إبهام لدى المتحدث أو المستمع أو القارئ أو الكاتب، وأهم ما خلص أليه البحث بيان الحاجة الملحة لصياغة نحو تعليمي ؛ بسبب غياب الرؤية المتكاملة في تعليم النحو، وإعادة ترتيب الدروس النحوية في مناهج اللغة العربية وفق التدرج المعرفي و التعليمي، وإمكانية تطبيق نتائج هذا البحث في إعادة المنهجية المتبعة في تنظيم الدروس النحوية بحسب المراحل التعليمية، وصياغتها وفق شروط النحو التعليمي.

الكلمات المفتاحية: النحو التعليمي – شوقي ضيف – المجامع اللغوية

Foundations of renewing educational grammar according to Shawqi Deif and the Arabic linguistic academies

A. Mashlab Muhammad Al-Shein

Dr. Salah Ramadan Abdullah Abdlbain

Abstract:

The weakness of linguistic soundness, generation after generation, and then the influence of the science of grammar on the sciences of logic, theology, and jurisprudence, increased the difficulty of representing its rules, as they became an end in themselves, not a means of the tongue to maintain melody and protect the pens from mistakes. This weakened the role of grammar in improving linguistic performance and its integrity. The result was that scholars were fed up with it, filled up its books, burdened its issues and rules, and saw it as a difficult subject that would not lead them to their desired goals. The difficulty in grammatical study, and the misguided effect of it on the other hand, formed a crisis in Arabic grammar in the academic theoretical field and in the practical field. Therefore, trends in grammar resulted, the most prominent of which are educational grammar. The study showed the difference between scientific grammar and educational grammar, explaining the educational foundations on which it is based. This is done through the descriptive analytical approach, and the importance of the research is highlighted in knowing what educational linguistics has achieved, in the field of educational grammar, which was based in its formulation on a linguistic theory of acquisition and a psychological theory of learning. The research aims to Laying down the foundations of educational grammar that lead to understanding the purposes of speech, and correctly understanding what is read, heard, written, or spoken, so that the concepts are settled in the mind of

the performer or recipient, and the meanings and ideas become clear to him, with no ambiguity or ambiguity on the part of the speaker, listener, or listener. The reader or writer, and the most important conclusion of the research is the statement of the urgent need to formulate an educational grammar; Due to the absence of an integrated vision in teaching grammar, and the rearrangement of grammatical lessons in the Arabic language curricula according to the cognitive and educational hierarchy, and the possibility of applying the results of this research in restoring the methodology used in organizing grammatical lessons according to educational stages, and formulating them according to the conditions of educational grammar.

Keywords: educational grammar - Shawqi Deif - linguistic academies.

مقدمة:

إن قضية تعليم النحو العربي من القضايا التي اتسمت، وتتسم بالأهمية البالغة، هكذا كان شأنها في الماضي، وهذا هو حالها اليوم، وما ذلك إلا لأن النحو صلب العربية وهيكلها ومحور مبناها وعماد معناها، وقاعدة وظائفها. لذلك لم تفقد هذه القضية شيئا من أهميتها، ولم تخلق جدتها، ولم تذهب قيمتها، ولم تزل الحاجة إلى العناية بها وبحث جوانبها ومجالاتها وفي هذا المقال بحث لهذه القضية من زواياها المتعددة، نبدأها بإبراز أهمية النحو، ثم نشخص أبرز مشكلاته التعليمية، لنستعرض في الأخير أهم الإجراءات والتدابير اللازمة التي أوصى بها العلماء للنهوض بهذا العلم وتحسين دوره التربوي والوظيفي.

مشكلة البحث:

معالجة صعوبة تعلّم النحو في اللغة العربية، التي يعانيها الكثير من الدارسين أو القراء على حد سواء، وهي ليست ظاهرة جديدة. وبرزت محاولات كثيرة للتقليل من تلك الصعوبة، إمّا من خلال اختصار الكتب النحوية، وإما من خلال تغيير طريقة تعليمها، وإما من خلال حذف بعض الفقرات أو القوانين النحوية أو تعديلها.

فالنحاة العرب القدامى، كانوا مشغولين بتأصيل النحو والتوسع فيه، باعتباره القوانين التي تكفل سلامة اللغة وتحافظ على كيانها النظري، سليماً صحيحاً وفصيحاً. لذلك لم يكن من السهل على أي من النحاة، القول بصعوبة النحو، لهذا كان البحث للتميز بين النحو العلمي والنحو التعليمي، ووضع أسس للنحو التعليمي تيسيرا لتعليم النحو.

منهج الدراسة:

في إطار التكامل المنهجي للدراسة بغية التوصل إلى نتائج إيجابية مرجوة؛ اتبعنا ما يمكن أن يسمى بالمنهج الوصفي التحليلي انطلاقاً من الظاهرة اللغوية وصولاً إلى الأحكام النّحوية والضوابط التي تنظمها وتضبطها، لأنَّه لا يقف من اللغة موقفاً قبلياً ولا يعتمد على المعيارية أو الجاهزية، وتقديم المفاهيم حول الطرق المتبعة في دراسة مظاهر التجديد عند القدامى، والآراء التوجيهية أو النقدية عند المحدثين في دراستهم لبعض أبواب النحو العربي، وإعادة النظر فيما التبسَ أو سادهُ الإغفال أو الغموض.

الهدف من البحث:

على الرغم من الجهود التي قدمها علماء اللغة القدماء في النحو إلا أن هناك عددا من الإشكالات التي يستصعب فهمها على الطالب بوجه خاص، ويعد النحو من أعقد العناصر اللغوية في مناهج تعليم اللغة العربية. وذلك ما دعا إلى ضرورة التفكير في صياغة نحو تعليمي للغة العربية

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في معرفة ما توصلت إليه اللسانيات التعليمية، في مجال النحو التعليمي الذي يستند في صياغته إلى نظرية لسانية في الاكتساب ونظرية نفسية في التعلم وأوصاف لسانية في اللغة المستهدفة ولمتعلميها في كل المراحل. ودراسة النحو التعليمي يقع ضمن اهتمامات اللسانيات التعليمية التي تعد فرعا من فروع اللسانيات التطبيقية، كما تتقاطع مع علوم التربية وعلم النفس وغيرهما.

المبحث الأول: بين النَّحو العلمي والنَّحو التعليمي:

إنَّها مشكلة النحو العربي التي حُتِّمَت على الكثير الحدّ منها «والحديث عن أزمة النحو العربي في ضوء مستجدات العصر الحديث لا يمكن أن تكون ذا فائدة إلا باستحضار معطيات تمثل وضعية الانطلاق فيجب تحديد الفكر النحوي منهجاً وتعليماً وتأليفاً »[1]، وقبل ذلك ينبغي الإشارة إلى مسألة هامة في النحو العربي وهي النحو العلمي والنحو التعليمي.

1. مفهوم التعليميَّة:

كان مفهوم التعليمية في بداية نشأتها «تدل على معنى فن التعليم الذي يؤدي إلى مفهوم البيداغوجيا، ولكن كثرة واستمرارية البحوث المسلطة عليها جعلتها تتميز بالاستقلالية التامة عن المفاهيم القديمة، إذ أصبحت علما له خصوصيته واستقلاله، وظلت فرعا من فروع التربية»[2].

2- تعليمية النحو:

لقد استفاد النحو العربي بشكل كبير من تعليمية اللغة، وذلك في عمليات بناء البرامج النحوية «ولقد أثبتت التجارب التي أجريت في مجال تعليمية اللغات أن الدراسات اللسانية الإحصائية يمكن لها أن تساعد أستاذ اللغة في اختيار العناصر اللغوية المراد تعليمها، ويرتبط اختيار القواعد اللسانية بالهدف من تعليم اللغة وبمستوى المتعلم وبالمدة الزمنية وبالمادة المدرسة بحد ذاتها»[3].

أ- النحو العلمي.(Grammaire scientifique):

هو «نحو تخصصي يدرس الظواهر اللغوية واللسانية ويعللها لذاته من خلال التعمق والبحث والاستقراء، ينبغي أن يكون عميقا مجردا دقيقا وهو تلك القواعد والمعايير التي وضعها النحاة الأوائل، يصف النحو العلمي أنحاء اللغة ويشترط أن يكون علمياً موضوعيا»[4].

وقد عرفه الدكتور عبد الرحمان حاج صالح ت «2017م»: بأنه «مجموع المثل والقواعد التي يمكن أن تفرغ بها وعليها جميع الإمكانات التعبيرية الخاصة بالوضع العربي « [5]

ب- النحو التعليمي.(Grammaire Didactique):

وهو مجموعة القواعد الوظيفية التي يهتم بها المختصون في التربية والتعليم.[6] فالنحو التعليمي هو «ما ينتقى من النحو لتكوين الملكة مكوناً مجموع القوانين النمطية المشتركة التي يستعملها المتكلمون بلغة واحدة في حياتهم الاجتماعية تواصلاً و إبلاغاً، وأسمى صفة يتصف بها النحو التعليمي: يعتبر آلة التحكم في آليات التبليغ الشفوية والكتابية، خاص بالتعليم كما يساهم في نمو الجانب التواصلي للمتعلم فيستفيد منه في حياته الاجتماعية « [7].

ولا ينتسَى أن نشأة النحو أصلاً كانت لغرض تعليمي في المقام الأول، فمن دخل الإسلام جديدا من غير العرب لزمه تعلم العربية وقوانينها لذلك لا يزال النحويون يوجزون ويشرحون لكثرة المؤلفات في العلوم، واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها مما سبب عائقاً أمام التحصيل العلمي وكي يستطيع المتعلم تعلم لغة ما لا بد له من إدراك قواعدها وهذه القواعد هي ما نطلق عليه النظام النحوي. وهي قواعد في غاية التعقيد والغموض، فإنه من الضروري اشتغال متعلمي اللغة بالنحو، والاهتمام به كي لا يكون مقصداً يشغل متعلم اللغة ويسبب له عمقاً نحوياً يعيق عمليته التعليمية، و لكي لا يصرف المعلم معظم وقته في الحديث عن اللغة بدل الحديث بها والتمكن فيها. [8]

لذلك يجب «إقدار المتعلم على أن يستخدم اللغة استخداماً صحيحاً للإفهام والفهم وأن يمتلك معلم النحو الخبرة الكافية بنظام اللغة المراد تعليمها فنحن لا نتعلم النحو لذاته بل لأنه وسيلة لعصمة ألسنتنا وأقلامنا من مجانبة انتحاء سمت كلام العرب فنفهِم ونفْهَم « [9].
ويقول الأستاذ صالح بلعيد موضحاً الفرق بين ما هو علمي وما هو تعليمي « للعلوم جانبان

جانب علمي وجانب تعليمي، فالجانب العلمي يقوم على ركائز يتفق عليها الجميع وهي ثابتة، وأما الجانب التعليمي فهو ذاتي وخاص ومتغير يتناول تدريس الحقائق ولا يحتاج إلى جهد كبير تعمق وغايته اكتشاف أفضل الطرق وأنجح السبل الموصلة للمعلومة»[10].ويمكن توضيح الأمر بهذا الجدول الذي يفرق بين علم النحو والنحو التعليمي من خلال الجدول الآتي: [11]

النحو العلمي	النحو التعليمي
نظري وظيفته العلم والإحاطة	تطبيقي وظيفته الممارسة
النحو العلمي تطبيق لكل القواعد	النحو التعليمي تطبيق لبعض القواعد
النحو العلمي علم الخاصة	النحو التعليمي علم الملكة
كتبه علمية عامة	كتبه تعليمية خاصة
كتبه من الأصول والمطولات	كتبه من المختصرات والشروح
النحو العلمي لا ييسر	النحو التعليمي يدرج فيه حسب المراحل التعليمية
كتبه مرجعية تاريخية	كتبه منهجية موافقة لأنماط العصر
علله ثواني وثوالث تعلمية	علله أولى تعليمية
النحو العلمي تاريخي	النحو التعليمي معاصر

ومن خلال هذه التعريفات الاصطلاحية للنحو فتبين لنا أنَّ النحو علم يبحث في أواخر الكلمات إعرابا، وبناءً والهدف من هذا العلم هو الضبط والدقة والتقنين في الكلمات والجمل، ومهمته الحفاظ على اللغة ومستوياتها وإقامة اللسان وتجنب اللحن في الكلام، ومن هنا يجب علينا معرفة ما الذي جعل النحو العربي معقدا مستعصيا على الفهم؟ [12]

المبحث الثاني: محاولة شوقي ضيف لتجديد النحو:

مثل تحقيق كتاب» الرَّد على النحاة « عند شوقي ضيف عاملاً قوياً دفعه إلى إعادة النظر في التراث النحوي، يقول:» والحق أن ابن مضاء يفتح أمامنا الأبواب، لكي ندرك ما كنا ننشده من تيسير النحو وتذليل صعوباته و مشاكله»[13].

وضع شوقي ضيف مشروعه التيسيري في ثلاثة كتب. وقد مر بثلاث مراحل، مرحلة تحقيق كتاب « الرد على النحاة « سنة 1947، ثم تأليف كتابين: الأول « **تجديد النحو** « سنة 1982 م، والثاني « **تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً**» سنة 1986م.

و قد بين خطة مشروعه التي قسمها إلى ثلاث مراحل تمت فيها دراسة ستة أسس على النحو الآتي:**فأما الأسس الثلاثة الأولى**، فكان المنطلق فيها: إعادة تنسيق أبواب النحو و كذا إلغاء الإعراب التقديري و المحلي، وأن لا نتجاوز إعراب الكلمة إلا بما يصحح النطق.

و أما الأساس الرابع، خصه شوقي ضيف لضبط الحدود والأبواب النحوية.

و أما الأساسان الخامس والسادس: فكانا للحذف والزيادة؛ حذف ما يراه زائدا، وزيادة نواقص ضرورية في النحو التعليمي.

هذه خطوات المشروع مجملة، و تفصيلها:

المطلب الأول: الأسس النحوية وتوجيه أحكام النحو:

1-الأساس الأول: إعادة تنسيق أبواب النحو:

نظر شوقي ضيف في منهج النحاة في توبيب النحو، فخلص إلى إعادة ترتيبه وفق ما تتطلبه حاجة الدارس « حيث يستغنى عن طائفة منها برد أمثلتها إلى الأبواب الباقية، حتى لا يتشتت فكر دارس النحو في كثرة من الأبواب توهن قواه العقلية «[14] وقد تميز تصنيفه بما يلي:

1. إلغاء أبواب من النحو نحو: بابي التنازع والاشتغال لأنهما قاما على افتراضات النحاة، ولم ينص عليها المسموع من كلام العرب. وقد تبع في حكمه هذا رأي ابن مضاء، كما استند إلى قاعدة أقرها سيبويه مفادها: لا يتنازع عاملان على معمول واحد[15] و قد أيده عباس حسن فيما ذهب إليه من إلغاء التنازع لأنه من أكثر الأبواب النحوية اضطرابا وتعقيدا وتناقضا في الأحكام النحوية[16] واستثنى من باب الاشتغال أمثلته التي يجوز فيها الرفع والنصب على السواء نحو: « الكتاب قرأته « وضمها إلى باب الذكر والحذف.

2. حذف أبواب والإبقاء على أمثلتها نحو: باب كان وأخواتها وظن وأخواتها: باب أعلم وأخواتها، باب كاد وأخواتها، باب (ما، ولا، ولات، وإن) العاملة عمل ليس، فباب»**كان**» أدمجه في باب الفعل العام[17] وضم أمثلة هذه الأبواب إلى المفعول به.

3. 3.أبقى على باب المنصوبات جميعا، وأعاد ترتيب باب التمييز وضم إليه: اسم التفضيل، والصفة المشبهة، وفعل التعجب، وصيغ المدح والذم، وباب الاختصاص وحذف كنايات العدد وضم أمثلته إلى التمييز[18].

أما بابا التحذير والإغراء فضمهما إلى باب الذكر والحذف، وضم بابي الترخيم والندبة إلى باب النداء. كما نقل التوابع من باب الجمل إلى باب الاسم المفرد وهذا لسبب تعليمي محض[19].

ومما يؤخذ على هذا التصنيف أنَه ألغى كثيراً من أبواب النحو، وكان الأجدر أن يراجع حكم الإلغاء الذي قد يخلط النحو ولا ينظمه.

وقد استند شوقي ضيف في بناء أحكامه على الآراء الكوفية ورأي سيبويه وابن كيسان وابن مضاء[20] ويبدو أن شوقي اضطرب كثيرا في تعامله مع نظرية العامل التي ألغاها تطبيقيا، وأبقى عليها نظريا، و الواضح أنه يريد التخفيف منها لا إلغاءها بدليل تراجعهعن الإلغاء[21][22].

2- الأساس الثاني: إلغاء الإعراب التقديري و المحلي:

كانت محاولات شوقي ضيف لتيسير النحو أو تجديده تقوم ضمن نشاطات مجمع اللغة بالقاهرة، حيث اتفق مع اللجنة الوزارية بإلغاء الإعراب التقديري والمحلي والاكتفاء بالإعراب التقديري في مثل: جاء الفتى، بإعراب الفتى فاعل، وفي مثل هذا زيد تعرب هذا مبتدأ، وفي الإعراب المحلي: (زيد يكتب الدرس) فجملة (يكتب الدرس) خبر لزيد. غير أن المجمع عدل عن هذا الإعراب سنة 1979 و عاد إلى الإعراب التقديري و المحلي دون تعليل[23] مراعاة لشروط التعلم وظروف المتعلم.

و التقدير عنده مرفوض، إذ ألغى متعلقات الظروف و المجرورات، وكذا الإعراب بالعلامات الفرعية. وقد قرر المجمع سنة 1945 هذا الإلغاء، وأخذ به في دورته سنة 1979 م[24].

يعترض محمود فهمي حجازي على إلغاء التقدير، ويدعو إلى الإبقاء عليه لأنَّه يشكل عملية التكامل بين عناصر الجملة الظاهرة والمقدرة[25].

والدرس الحديث اهتمَّ كثيراً بدور البنية العميقة التي يمثلها التقدير – في التحليل الدلالي لكشف الغموض عن التركيب.

و ما ينبغي قوله: هو الدعوة إلى عدم الإفراط في التقدير، ومراعاة شروطه لا إلغائه البتة من الدرس النحوي، لأن في ذلك إهداراً كبيراً للقيم الدلالية.

و قد أدرك التحويليون هذه القيم، فاعتمدوها في تحليلاتهم[26] .

3- الأساس الثالث: الإعراب لصحة النطق:

دعا شوقي إلى ضرورة التقيد بالإعراب بقدر ما يضمن سلامة النطق دون البحث عن الإعراب التحليلي أو التفصيلي، وقد مثل له بأدوات الشرط و جملتيه ؛ و الاستثناء وصوره، و كم الخبرية و الاستفهامية.

كما وقف على جملة الشرط وأدواته ووجد أنَّ النحاة أسرفوا في إعرابها، بل وقعوا في اضطراب شديد ؛ فهم يعربون:» من « في نحو قولهم:» من يعمل خيرا يجده « مبتدأ، و يختلفون في خبرها، هل هو فعل الشرط أم جوابه أم هما معاً ؟

إنَّ ما أقدم عليه النحاة من إعراب هذه الجملة لا يفيد شيئاً في صحة النطق، كما يرى شوقي ضيف ومن المهم أن نكتفي بالوقوف على بيان نوع الأداة، ونوعي الجملة، فعل الشرط و جوابه «و هذا ضرب من الوصف مفيد جدا في التعليم[27].

و عمد إلى كم الخبرية و كم الاستفهامية و ألغى ما قام به النحاة من إعرابهما في نحو: كم ركعة صليت (تعرب مبتدأ)، ومفعولا به في نحو: (كم ورقة كتبتها) و مفعولاً مطلقاً في نحو: (كم درسا درست)، وظرفاً في (كم ساعة نمت) و اكتفى ببيان أنَّها استفهامية أو خبرية، وأنَّ الاسم بعد الأولى يكون منصوباً وبعد الثانية يكون مجروراً [28].

مثل هذه الأحكام التركيبية التي تتعلق بالإعراب ذات فائدة تعليمية ؛ إذ لا يجب أن نثقل على المتعلم في الأطوار التعليمية الأولى بمثل ما قام به النحاة ؛ إذ يكفيه أن يفرق بين كم الدالة على الخبر، وكم الدالة على الاستفهام.

أما المتخصصون، فيجب عليهم البحث والتعمق في مثل هذه الصيغ، والأساليب للوقوف على جمالياتها البلاغية.

4- الأساس الرابع: (أضافه سنة 1977):

تعريفات وضوابط لبعض أبواب النحو:

من أصعب المسائل في العلم الوقوف على ماهية الشيء، حيث نجد اختلافا بين للنحاة القدامى في تعريف باب من أبواب النحو. وقد لمس شوقي ضيف اضطراباً واضحاً، وعدم دقة في تعريفاتهم. ومن الأبواب التي وقع فيها الاضطراب حسب زعمه ؛ المفعول المطلق، و المفعول معه، و الحال حيث و جد أن هذه الأبواب أكثر تداخلاً؛ مع بعضها؛ إذ يحدث فيها لبس، فالحال تلتبس بالخبر، كما تلتبس واو المعية بالواو العاطفة، ويلتبس المفعول المطلق بالخبر والحال. و لهذا نجد ابن هشام يعرفه بقوله:

«اسم يؤكد عامله أو يبين نوعه أو عدده، وليس خبراً و لا حالاً» [29].

وللمفعول المطلق صيغ كثيرة تنوب عنه تتمثل في: مرادفه، اسم الإشارة، ضميره العدد، الآلة، كل، و بعض. و قد توقف شوقي ضيف عند تعريف ابن هشام – وزعم أنه لا يتضمن هذه الصيغ، ولهذا ارتأى أن يضع تعريفاً آخر بديلاً أكثر دقة، يقول فيه:

«المفعول المطلق اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه أو يبينه ضربا من التبيين» [30] و كأنَّه أشار بهذه الصيغة التي أضافها إلى الأنواع التي تنوب عن المفعول المطلق.

غير أن التعريف لم يُزِلْ غموضاً ولا إبهاماً.

ويرى شوقي ضيف أن تعريف ابن هشام الذي جمع فيه الخبر والحال دليل على اضطراب مفهومه عند بعض النحاة، واستبدله بتعريف آخر هو أكثر غموضا؛ فقد اقترح تعريفا لها يقول فيه:» الحال صفة لصاحبها نكرة مؤقتة منصوبة « [31] بدل تعريف ابن هشام الذي يرى فيه نقصاً « الحال وصف فضلة مذكور لبيان الهيئة «[32] فالتعريف الذي ارتضاه شوقي لا تدخل فيه الحال المعرفة، والثابتة وغير الثابتة والمشتقة والجامدة، حيث انتفت المعرفة بذكر لفظة نكرة و الثابتة بذكر لفظة مؤقتة وأرى أن تعريف ابن هشام أكثر دقة و شمولية.

و عرف أيضا المفعول معه، بقوله: « اسم منصوب تالٍ لواوٍ غير عاطفة بمعنى مع» [33] بدل تعريف ابن هشام الذي يقول فيه: « اسم فضلة تالٍ لواوٍ بمعنى مع تالية لجملة ذات فعل أو اسم فيه معناه وحروفه «[34].

إنَّ السبب الذي دفع شوقي إلى وضع تعريفات بديلة يراها دقيقة – لثلاثة أبواب نحوية هو وقوع الالتباس بينها و بين أبواب أخرى، وهذا الالتباس لم تزله تعريفات ابن هشام حسب زعمه.

و من الواضح أن شوقي ضيف أغفل قيمة التطبيقات و الأمثلة التي دعم بها ابن هشام تعريفاته، وهي ذات قيمة علمية و تعليمية في بيان الفكرة، وتحقق الصورة الذهنية التي ينشئها التعريف و تفسرها الشواهد.

و لكن هل أزالت تعريفات شوقي ضيف اللبس و الغموض ؟ ثم لماذا وقع اختياره على ابن هشام دون سائر النحاة ؟.

5- الأساس الخامس: حذف الزوائد بين النحو التعليمي و النحو العلمي:

يرى شوقي ضيف أنَّ كثيراً من الأبواب النحوية يجب الاستغناء عنها، لعدم حاجة المتعلمين إليها، ولتعقدها و تشعب أحكامها. ومن الأبواب التي حذفها، باب المبتدأ و الخبر الذي حذف منه شروط تقدم المبتدأ على الخبر و الخبر على المبتدأ وجوباً.

وتقسيمات الاسم و أبنيته، وشروط اشتقاق اسم التفضيل، و التعجب و قواعد اسم الآلة و الاكتفاء بالمسموع، وباب التصغير، صيغته و شروطه، وصيغة النسب و كذا باب إنَّ وأنَّ وألغى عملهما، واكتفى بعدهما روابط[35].

وقد حذف كل هذه الأبواب وهو موقن أن العجز في النحو لا في الألسنة [36] غير أنَّ الواقع التعليمي يقر عكس ما تصوره شوقي ضيف؛ إذ أن العجز أصاب المتعلمين و المعلمين على حد سواء. كما أن طرائق التدريس عاجزة على أن تحوي معالم الفكر النحوي و توصله إلى المتلقي واضحة ومفهومة.

فالتيسير إذا ينحصر في كيفية تعليم النحو لا في النحو ذاته [37] في هذا تنبيه لضرورة التفريق بين النحو التعليمي و النحو العلمي.

6- الأساس السادس: و كانت إضافة الأساسين الخامس و السادس سنة 1981 م.

استدراك نواقص ضرورية في النحو العربي:

بعدما أنهى شوقي ضيف حذف أبواب معقدة و عسيرة – حسب زعمه – نظر في الكتب المدرسية، فوجد نقصاً يجب إكماله. يقول:» فقد رأيت أن أجلب منها ما يعينهم على النطق السليم لكلم العربية، بوقوفهم على بعض صفات في حروفها و حركاتها و على اللين فيها والتشديد، والتنوين، والمد، وألف القطع، والوصل، والإدغام لبعض الحروف و الإبدال «[38].

وتتلخص هذه الإشكالات في أربعة أبواب هي: باب إعمال المصدر و المشتقات نحو اسم الفاعل، و اسم المفعول، والصفة المشبهة و... مع الإشارة إلى درس باب الحروف الذي لا يمكن إغفاله لما له من أهمية في تأليف الكلمات وتناسقها بمراعاة مخارجها وصفاتها ثم باب الحذف والذكر في الجملة الاسمية والفعلية.

فالحذف من أهم المسائل التي درسها النحاة والبلاغيون على حد سواء ووقفوا عند جمالياته البلاغية والتفتوا إلى مواضعه في القرآن الكريم، وبينوا أسراره.

كما ارتفعت به اللسانيات التوليدية و جعلته من أهم القضايا التي يجب الاهتمام بها [39].

أكد شوقي على التقديم والتأخير، وبيان أنواع الجمل التي يجب على المتعلمين معرفتها.

والظاهر أنه كان يدعو إلى إعداد برنامج تربوي شامل وموحد.

واللافت للنظر أن شوقي قد أفاد من المنهج الوصفي، وإن كان تأثره لا يبدو واضحاً، وحسبنا تلمس إشاراته في قوله:» ومن المعروف أن واجب النحوي أن يسجل ما وجد في اللغة فعلاً من صيغ وعبارات، لا أن يفترض هو صيغاً و أحوالاً للعبارات لم ترد في اللغة، ونحن لا نقرأ باباً في النحو حتى نجدهم يعرضون لما يصح، ولما لا يصح « [40].

أمَّا فكرة التجديد التي طالما نادى بها تمثلت في إعادة القديم بعرض جديد، إضافة إلى أنه عالج « مسألة تيسير النحو معالجة نحوية محضة، ولم يعالجها معالجة تعليمية، فيستعين فيها بالمعطيات المكتشفة في حقل تعليمية اللغات «[41].

والظاهر أنه لا بد من تظافر جهود المختصين في علم اللغة والتربية وعلم النفس لأجل إعداد مشروع تعليمي ناجح بانتقاء النصوص الأدبية الرفيعة التي تتوافق وقدرات المتعلم، وجعلها

منطلقاً للاستقراء؛ إذ النحو لا يدرك بالأمثلة المعزولة، ولا بالشواهد الشاذة، و إنَّما بتمثل منهجه وإنشاء تصور علمي شامل كفيل باستيعاب كل الآراء النحوية التي خدمت اللغة فمثلت النحو المصفى. وكذا الوقوف عند الآراء المغالية التي تسرب إليها الشك وزالت عنها الدقة العلمية فأحدثت اضطرابا وتناقضا في أحكام النحو، ثم العكوف على تخليص النحو منها، و التنبيه على عدم صحتها ورفض التقيد بها علمياً و تعليمياً.

المبحث الثالث: المجامع اللغوية ودورها في توجيه الأحكام النحوية:

اضطلعت المجامع اللغوية العربية، وعلى رأسهم لجنة وزارة المعارف (**سنة1938م**) بشؤون اللغة العربية و نحوها، وحملت على عاتقها مسؤولية تيسير النحو ووضعه بين أيدي المتعلمين سهلا ميسوراً محبباً و مرغوباً فيه.

ومن أولى الإصلاحات التي شرعت فيها هذه اللجنة نظرية العامل التي مالت عنها وخرجت عن كثير من أصولها اللغوية، مستبعدة العلل و القياسات، متجهة إلى المنهج الوصفي للاسترشاد بطرائقه من أجل شذب كل المسائل النحوية المضطربة التي علقت بها آثار الفلسفة والتأويل.

انطلقت اللجنة في عملها الذي أسسته من آراء ابن مضاء، فدعت إلى إلغاء متعلقات المجرورات والظروف، وإلغاء الضمائر المستترة جوازاً ووجوباً [42] كما أفادت من آراء إبراهيم مصطفى في اختصار أبواب النحو إلى ثلاثة أبواب: باب الإسناد، وباب الإضافة، وباب التكملة [43] وإعراب الأسماء الخمسة بضمة ممدودة وفتحة ممدودة و كسرة ممدودة [44].

وهذه القرارات كانت في مجملها مختصرة و شكلية، إذ أنَّها لم تمس جوهر النحو ولا أصوله ؛ فبقيت أعمال اللجنة محصورة في الفصل بين النحو التعليمي و النحو العلمي وإلغاء بعض الفروع وتنسيق بعض الأبواب.

و ما تميزت به هذه اللجنة أنها لم تخرج عن الإطار الذي رسمته المحاولات الفردية السابقة لها نحو محاولة ابن مضاء، وإبراهيم مصطفى. وكانت في أغلبها تتمسك بالآراء النحوية للقدامى لا سيما الكوفيين، فقد رسمت لنفسها طريقين على منهج التيسير؛ طريق فهم التراث النحوي فهما دقيقا، ثم طريق الإصلاح والتيسير.

تقدمت اللجنة الوزارية بجملة من الاقتراحات إلى مجمع اللغة سنة 1938م، وفي سنة 1945م انعقد مؤتمر للمجمع تمت فيه دراسة المقترحات، وتوصل إلى ما يلي:

1. الإبقاء على التقسيم الثلاثي للكلمة.
2. الاستغناء عن الإعرابيين التقديري و المحلي في الأسماء المقصورة و المنقوصة والمضافة إلى ياء المتكلم و الأسماء المبنية.
3. إلغاء علامات الإعراب الأصلية والفرعية [45].
4. الإبقاء على ألقاب الإعراب و إلغاء ألقاب البناء.
5. تتألف الجملة من ركنين أساسيين أسماهما: المسند و المسند إليه، خلافاً للجنة التي فضلت مصطلحي الموضوع و المحمول.
6. إنَّ متعلق الظرف والمجرور لا يقدر دائماً، و هنا تلتقي اللجنة والمجمع بابن مضاء، أما المجمع فقد أجاز بعض الأمثلة التي وقع فيها الكون العام، نحو: هذا حمض يوجد في عسل الشمع[46].
7. وافق المجمع اللجنة الوزارية على إلغاء ضمائر الرفع المستترة، مع بيان الإعراب في « قمت « نقول: صيغة الماضي المتكلم، و» قم « صيغة أمر للمخاطب و « أقوم « صيغة مضارع المتكلم، ويكون الإعراب معدلا وفق ما يلي: أنا: مسند إليه، وقمت: صيغة لماضي المتكلم مسند.» وقاموا»: صيغة ماضي الغائبين مسنداً [47].

لم يكن عمل إلغاء الضمير المستتر عملاً من اختلاق اللجنة، وإنما محاكاة لآراء النحاة القدماء، فالكوفيون قالوا بجواز إعراب الاسم المرفوع المتقدم على فاعله، فاعلا خلافاً لجمهور النحاة الذي يعربونه مبتدأ[48]، ومذهب ابن مضاء في الاعتراض على تقدير الضمائر المستترة [49].

أما شوقي ضيف فإنه يعترض على الإلغاء بحجة أنه أحدث اضطراباً في الفاعل الذي يكون تارة ولا يكون أخرى، والأصل في هذا الباب أن يكون مطرداً [50]، ثم إن هذه الضمائر مقتطعة من ضمائر منفصلة بارزة مثلما أكد شوقي ضيف.

فالنحاة «كانوا على صواب عندما صنفوا الضمائر إلى بارزة ومقدرة ومستترة لأنَّ القاعدة النحوية – كما رأينا – لا تطرد إلا على مثل هذه التقديرات، ولأنَّ اللغة العربية لغة الإيجاز والحذف والعبارة الموحية «[51]. وهي إشارات تقودنا من معرفة الضمير البارز إلى معرفة الضمير المستتر ؛ فالضمائر البارزة دالة على الفاعلية باقترانها بالحركات التي أصبحت دوال على نوع الفاعل.

فاللجنة في حكمها تتبعت فروع العامل و آثاره. ولما كانت الضمائر المستترة أو البارزة ذات علاقة بالإعراب ألغيت دون النظر إلى دلالتها الأخرى ؛ إذ أنها ذات دلالة على المطابقة والحضور الشخصي، وإزالة التنكير عن الأفعال و تحديد جهتها وأركان الخطاب من متكلم وسامع ورسالة.

فالضمائر المستترة ذات حضور في البنية العميقة، وذات صلة وثيقة بالفعل في مثل:

قام محمد، ومحمد قام.إنَّها تقوي العلاقة الإسنادية بين المسند والمسند إليه بالتأكيد على القيام الذي وقع من محمد و ليس من شخص آخر. فترك تقدير الضمير المستتر يهدر كثيرا من القيم الدلالية التي تعمل على بيان التركيب و فهمه لا تعقيده والتباسه مثلما يظن كثير ممن اشتغلوا بالتيسير. غير أن تتبعه ينبغي ضبطه وتقييده في النحو التعليمي بالقدر الذي يبعث على الفهم.

8- اتفق المجمع واللجنة على عد ما سوى المسند والمسند إليه تكملة، غير أنَّ المجمع أخرج التوابع من التكملة، وإخراجها كان لاختلاف مواقعها الإعرابية ؛ فهي تكون مرفوعة و منصوبة و مجرورة.

إذ أنَّه اعتمد معيار الإعراب لتصنيف الأبواب، وبهذا يكون قد وقع فيما رفضه منقبل، وهو عدم الخضوع للعامل وأثره من جهة، ثم إنه وقع في مزالق المنهج المعياري وهي ثنائية الأصل والفرع، فكل ما جعله في ركن التكملة أو مما يستغنى عنه الكلام في كثير من الحالات هي المنصوبات، ولما كان النعت يرد مرفوعاً و منصوباً ومجروراً احتار في تصنيفه فجعله قسماً مستقلاً، وكأني به يعيد ضمه إلى ركني الإسناد أو ذاك القسم الذي تتراوح دلالته بين العمدة والفضلة. وقد فاته أن يلتزم بما أقره عندما أعرب جملة « ضربته ضرباً شديداً « يقال «**ضرباً** « تكملة مصدرية للفعل، وشديدا وصف مكمل لـ «**ضرباً** « وكأنما فات المجمع أنه أخرج الوصف أو النعت مع التوابع من التكملة [52].

نظر المجمع في المفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول به، و الحال، والتمييز، والاستثناء. ورأى الاكتفاء بذكر أغراضها مع وجوب ذكر لفظة تكملة، فيقال عن المفعول لأجله مثلا: تكملة الفعل لبيان السبب. وعن الحال في: جاء الولد مسرعا تكملة للفعل لبيان المصاحبة.

و الواضح أن مثل هذا الإعراب الذي أقره المجمع أكثر تعقيداً من الذي أقره النحاة، إذ عمل المجمع على إلغاء أثر العامل البتة في الإعراب ومن ثم إلغاء أبوابها، مع الإبقاء على وظائفها الدلالية. ومثل هذا العمل من شأنه أن يقطع صلة الناشئة بالفهم، ويزج بهم في دوامة الغموض والاستغلاق من جديد.

و ما إلحاح شوقي على إعادة الأبواب التي أقرها النحاة نحو: باب المبتدأ والخبر وكان و أخواتها وإنَّ وأخواتها، وباب الفاعل ونائبه إلا إدراك منه لحقيقة الأحكام النحوية التي شرحها النحاة، وفصلوا جوازها ووجوبها مع توحد الاسم و اختلاف الوظائف و تراجع النصب في بعضها وبروز قيمته في بعضها الآخر نحو ما يقع في باب النائب عن الفاعل.

فالمنصوبات تتحدد أدوارها الدلالية من خلال حركية التركيب التي تسير في اتجاهين متعاكسين؛ اتجاه التوسعة، واتجاه الاستغناء، أو التخلص من الأركان التي لا يحتاجها.

و لهذا. فإننا نجد مصطلح التكملة أقرب إلى الاستعمال اللغوي من مصطلح الفضلة الذي وضعه النحاة مع الإشارة أنهم أولوا المفعول به عناية فائقة، وكانوا يقدمونه على الفاعل أو على الفعل و الفاعل، وهذا ما دفع بأبي علي الفارسي إلى القول:» إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه « [53].

والجدير بالذكر أن المنصوبات ليست على درجة واحدة من الاهتمام، إذ أن ظروف القول و ملابساته تتحكم في انتظام مثل هذه العناصر داخل التركيب.

فالأخذ بآراء النحاة يعد في كثير من الحالات أسلم من مخالفتهم وبخاصة حين نعدم الحجة أو تضعف.

9- اتفقت اللجنة والمجمع على أحكام الجملة وأقسامها من فعلية واسمية وشبه جملة و جملة الشرط وجوابه، وجملة القسم وجوابه، غير أنها أهملت الجملة المضافة و المفسرة والمعترضة[54].

وكان أمام اللجنة عدة اصطلاحات لركني الجملة منها: مصطلحي المسند والمسند إليه.

وهو مصطلح البلاغيين استخدمه سيبويه[55]،والموضوع والمحمول، وهو مصطلح وضعه المناطقة[56]، والمحدث عنه والحديث[57].

وقد اختارت اللجنة مصطلحي الموضوع والمحمول لاختصارهما، وقربهما من الاستعمال اللغوي، وقد ألمت بأحكامهما: الأحكام الإعرابية، فيكون الموضوع مضموماً دائماً إلا إذا ارتبط مع إن وأخواتها، والمحمول مضموما إلا إذا وقع مع كان أو إحدى أخواتها، وأحكام المطابقة في النوع والعدد، وأحكام الرتبة من تقديم وتأخير يكون جوازاً أو وجوباً.

ومحصول القول، لقد ساهمت اللجنة والمجمع في تيسير النحو على الناشئة، فوفقت فيأمور وأخفقت في أخرى، لأنهما أدركا الموضوع وأغفلا المنهج، واللغة منهج وأداة، فالأخذ بالمنهج الوصفي البنيوي الذي يقوم على وصف اللغة نِطقاً وكتابة وضبط صورها المختلفة وفق ما تمليه اللسانيات الحديثة من مفاهيم وآليات، وطرق إجرائية.

وليس معنى هذا أننا ننقص من قدر المجهودات التي قام بها الميسرون، فالبدائل « المقدمة في مجال تيسير النحو ذات نوعية ممتازة، لكنها لم تنته إلى رأي حاسم أو خط واضح «[58].

ومن الواضح أن كثيراً من القرارات التي عُدلت للأخذ بآراء النحاة ؛ حيث استقر التيسير عند نقطة البدء، مع النحاة القدماء نحو: الكوفيين، الذين أخذ برأيهم في أربع عشرة مسألة لقربها من اليسر في حين لم يؤخذ برأي البصريين إلا في مسألتين هما:

إعمال الثاني في باب التنازع، وإلغاء النصب بإذن[59].

النتائج:

- التمييز بين النحو العلمي والنحو التعليمي.
- افترض شوقي ضيف أنموذجاً في تجديد النحو في العصر الحديث، وذلك في دعوته إلى إلغاء كثير من الأبواب النحوية، التي لم تعد تستخدم استخداماً فعلياً.
- سعي المجامع اللغوية إلى تيسير النحو وجعله قريبا من أذهان متعلميه من خلال وضع أسس منهجية.
- وضع رؤية توظيفية دلالية نحو تأسيس منهجيات حديثة في النحو التعليمي.
- الحاجة الملحة لصياغة نحو تعليمي للغة العربية، بسبب غياب الرؤية المتكاملة في تعليم النحو.
- بيان أسس الضعف الشديد عند التلاميذ في التعبير السليم نحويا، كتابة أو نطقا. وتكمن دلالة النتائج في إعادة ترتيب الدروس النحوية في مناهج اللغة العربية وفق التدرج المعرفي والتعليمي.
- الاجتهاد في اكتشاف طرائق ناجعة في تدريس النحو. وإمكانية تطبيق نتائج هذا البحث في إعادة المنهجية المتبعة في تنظيم الدروس النحوية بحسب المراحل التعليمية، وصياغتها وفق شروط النحو التعليمي.

الهوامش

(1) ملاوي الأمين: تسيير النحو العربي بين التنظير والتعليم، مجلة العلوم الإنسانية، محمد خيضر، بسكرة، ع ٢٥، ٢٠١٦ م، ص: ٢١٢.

(2) عمار الساسي: اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، البليدة، الجزائر، 2001م، ص:53.

(3) أحمد عيساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م، ص: 144.

(4) - مختار بزاوية: النحو العربي ومحاولات تسييره، دكتوراه، كلية الآداب والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، أحمد بن بلة 2016 – 2017، ص:50.

(5) ينظر: عبد الرحمن حاج صالح: مدخل علم اللسانيات الحديث، مجلة اللسانيات، ع 4، معهد العلوم اللسانية والصوتية الجزائر، 1973- 1974م، ص: 288.

(6) كلي سورية: حركة تيسير النحو العربي، النحو التعليمي، ماجستير، كلية اللغات والآداب، قسم اللغة العربية، تيارات، 2011- 2012 م، ص: 11.

(7) بن حليمة محمد: قراءة في محاولات تسيير النحو العربي، النحو التعليمي، ماجستير، كلية اللغات والآداب، قسم اللغة والأدب العربي، تيارت، 2012-2011م، ص:11.

(8) ينظر: جنان التميمي: النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دار الفارابي، لبنان، ط 1، 2013، ص: 19 - 20

(9) محمد إبراهيم عبادة: النحو التعليمي في التراث العربي، منشأ المعارف، الإسكندرية، د.ط، ص10

(10) مختار بزاوية: النحو العربي ومحاولات تسييره، ص:60.

(11) ينظر المرجع السابق، ص: 12.

(12) ينظر: بومعزة رابح: تسيير تعليمية النحو، رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009م، ص:43.

(13) الرد على النحاة، ص9.

(14) -تجديد النحو، دار المعارف- القاهرة-1982م، ص4.

(15) - الكتاب، ج1، ص63.

(16) النحو الوافي، ج2، ص201-202.

(17) تجديد النحو، ص18- 19.

(18) المرجع نفسه، ص11-12. وأعرب خبر كان حالًا عملًا برأي الكوفيين.

(19) تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً، ص49.

(20) ينظر: تجديد النحو، ص16- 18- 21.

(21) هـ- 1987م، ص60.

(22) نظر:عبد الفتاح الدجني، الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا، مكتبة الفلاح- الكويت- ط2.

(23) المرجع نفسه، ص23- 24.

(24) تجديد النحو، ص25- 26.

(25) مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع،1998م، ص110.

(26) ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة و النشر؛ بيروت،1406هـ-1986م، ص149.

(27) محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديما وحديثا- دراسة تقويمية في ضوء علم تدريس اللغات، رسالة دكتوراه (مخطوط) إشراف عبد الرحمن الحاج صالح، جامعة باجي مختار، عنابة2002 – 2003م، ص115.

(28) تجديد النحو، ص29، ينبغي الإشارة إلى أنَّ الأسس الثلاثة الأولى وضعها شوقي ضيف عند تحقيقه لكتاب الرد على النحاة « سنة 1947م.

(29) أوضح المسالك، ج2، ص 205-206.

(30) تجديد النحو، ص 31.

(31) المرجع نفسه، ص 33.

(32) أوضح المسالك، ج2، ص 293.

(33) تجديد النحو، ص 33.

(34) أوضح المسالك، ج2، ص 239.

(35) تجديد النحو، ص 34-35.

(36) تيسير النحو التعليمي، ص 3.

(37) عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد الرابع، الجزائر 1973-1974م، ص 22-23.

(38) تجديد النحو، ص 41 –42، وينظر: تيسير النحو التعليمي، ص 63-64.

(39) ينظر طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع – الإسكندرية – ص 263.

(40) الرد على النحاة، ص49.

(41) محمد صاري، تيسير النحو، موضة أم ضرورة ؟ مقال قدم في أعمال ندوة تيسير النحو التي عقدها المجلس الأعلى للغة العربية في 23-24 أفريل 2001 بالمكتبة الوطنية الحامة، الجزائر ص 196.

(42) شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا، ص 35.

(43) المرجع نفسه، ص 34.

(44) المرجع نفسه، ص 33 – ألغى المؤتمر المنعقد في 1945 هذا الإعراب ودعا إلى التمسك بإعرابها بالواو و الألف و الياء. ينظر: تيسير النحو التعليمي، ص 40.

(45) تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا، ص 39.

(46) خالد بن سعود بن فارس العصيمي، القراءات النحوية و التصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة،دار التدمرية، المملكة العربية السعودية – ودار ابن حزم –بيروت ط1 –1424 هـ -2003 م، ص82.

(47) تيسير النحو التعليمي، ص 41-42.

(48) ينظر همع الهوامع، ج2، ص 254-255.

(49) الرد على النحاة، ص 90.

(50) تيسير النحو التعليمي، ص42.

(51) بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، دار الكتاب الحديث القاهرة، ط1، 1999 م، ص: 138-139.

(52) تيسير النحو التعليمي، ص43.

(53) الخصائص، ج1، ص296.

(54) تيسير النحو التعليمي، ص45.

(55) الكتاب، ج1، ص23.

(56) أرسطو، كتاب العبارة، تحقيق وتقديم فريد جبر، دار الفكر اللبناني بيروت، ط1، 1999م. ص111- 119.

(57) دلائل الإعجاز، ص113-114.

(58) صالح بلعيد، تيسير النحو عند المجمعيين، مقال بمجلة اللغة العربية، العدد 7، خريف 2002م ص 157.

(59) خالد بن سعود بن فارس العصيمي، القرارات النحوية والتصريفية، ص 715.

المصادر والمراجع

(1) شوقي ضيف: تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً، القاهرة، دار المعارف، 1993.

(2) تجديد النحو، القاهرة، دار المعارف، ط 6، 1982.

(3) الرد على النحاة ابن مضاء القرطبي، تح، د. شوقي ضيف، القاهرة.دار الفكر العربي. 1947.

(4) أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، تح، بركات يوسف هبود. بيروت. دار الفكر.

(5) ملاوي الأمين: تسيير النحو العربي بين التنظير والتعليم، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، محمد خيضر، بسكرة، ع 25، 2016 م.

(6) عمار الساسي: اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، البليدة، الجزائر، 2001م

(7) أحمد عيساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009م.

(8) مختار بزاوية: النحو العربي ومحاولات تسييره، دكتوراه، الجزائر، كلية الآداب والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، أحمد بن بلة 2016 – 2017.

(9) عبد الرحمن حاج صالح: مدخل علم اللسانيات الحديث، مجلة اللسانيات، ع 4، معهد العلوم اللسانية والصوتية الجزائر، 1973- 1974م.

(10) بن حليمة محمد: قراءة في محاولات تسيير النحو العربي، النحو التعليمي، ماجستير، الجزائر، كلية اللغات والآداب، قسم اللغة والأدب العربي، تيارت، 2012-2011م.

(11) جنان التميمي: النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دار الفارابي، لبنان، ط 1، 2013.

(12) محمد إبراهيم عبادة: النحو التعليمي في التراث العربي، منشأ المعارف، الإسكندرية، د. ط.

(13) مختار بزاوية: النحو العربي ومحاولات تسييره.

(14) بومعزة رابح: تسيير تعليمية النحو، رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009م.

(15) عبد الفتاح الدجني، الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا، مكتبة الفلاح- الكويت- ط2.

(16) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة و النشر؛ بيروت،1406هـ-1986م.

(17) محمد صاري، محاولات تيسير تعليم النحو قديما وحديثا- دراسة تقويمية في ضوء علم تدريس اللغات، رسالة دكتوراه (مخطوط) إشراف عبد الرحمن الحاج صالح، الجزائر، جامعة باجي مختار، عنابة2002 – 2003م.

(18) عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، العدد الرابع، الجزائر 1973-1974م.

(19) ينظر طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

(20) محمد صاري، تيسير النحو، موضة أم ضرورة ؟ مقال قدم في أعمال ندوة تيسير النحو التي عقدها المجلس الأعلى للغة العربية في 23-24 أفريل 2001 بالمكتبة الوطنية الحامة، الجزائر ص 196.

(21) خالد بن سعود بن فارس العصيمي، القراءات النحوية و التصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة،دار التدمرية، المملكة العربية السعودية – ودار ابن حزم –بيروت ط1 –1424 هـ -2003 م.

(22) بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، دار الكتاب الحديث القاهرة، ط1، 1999 م.

(23) أرسطو، كتاب العبارة، تحقيق وتقديم فريد جبر، دار الفكر اللبناني بيروت، ط1، 1999م.

(24) صالح بلعيد، تيسير النحو عند المجمعيين، الجزائر، مقال بمجلة اللغة العربية، العدد 7، خريف 2002م.

الموقف العثماني من الأطماع الأوروبية في الحجاز (1900-1920م)

أ. عبد العزيز بن حماد الحماد
قسم التاريخ والآثار - كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبد العزيز - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الموقف العثماني من الاطماع الأوروبية في الحجاز (1900-1920م)، والعمل على بيان موقف الإدارة العثمانية في الحجاز من الأوضاع الداخلية والأطماع الأوروبية التي تكالبت على جسد الدولة العثمانية نتيجة للكثير من العوامل الداخلية والخارجية وأيضا هدفت الدراسة إلى كشف حجم الصراعات التي أصبحت الحجاز مسرحاً لها طوال فترة الدراسة، تنبع أهمية الدراسة من أنها سعت إلى التعرف على طبيعة الحجاز وأهميتها التاريخية والحضارية والسياسية وكذلك شرح الوجود العثماني في الحجاز وشبه الجزيرة العربية، والعمل على تناول جذور الأطماع الأوروبية في المشرق العربي والبحر الاحمر، وتناول التنافس البريطاني الفرنسي حول إقليم الحجاز ،وموقف الدولة العثمانية قبل تفككها وانهيارها من هذه الأطماع، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وذلك من خلال تتبع الأحداث التاريخية في الحجاز وتوصيفها بصورة علمية وتحليليها بغية الوصول إلى نتائج والتي منها: تميز منطقة الحجاز بالعديد من المميزات الأمر الذي شجع جميع القوى الفاعلة عبر التاريخ الحديث لبسط سيطرتها عليها، أدى انهيار الدولة العثمانية إلى زيادة الأطماع الفرنسية البريطانية نحو الحجاز.

الكلمات المفتاحية: الموقف العثماني، الأطماع الأوروبية، الحجاز، بريطانيا، فرنسا.

The Ottoman position on European ambitions in the Hijaz (1900-1920 AD)

A.Abdulasis Hammad Sultan Alhammad

Abstract:

This study aims to clarify the Ottoman position on European ambitions in the Hijaz (1900-1920 AD), and to work on clarifying the position of the

Ottoman administration in the Hijaz on the internal conditions and European ambitions that oppressed the body of the Ottoman Empire as a result of many internal and external factors. The study also aimed to reveal the extent of the conflicts. thatHijaz became its theater throughout the period of the study. The importance of the study stems from the fact that it sought to identify the nature of Hijaz and its historical, cultural and political importance, as well as explaining the Ottoman presence in Hijaz and the Arabian Peninsula, working to address the roots of European ambitions in the Arab Levant and the Red Sea, and addressing British rivalryThe French study on the Hejaz region, and the position of the Ottoman Empire before its disintegration and collapse regarding these ambitions. The study followed the historical, descriptive and analytical approach, by tracking the historical events in the Hejaz and describing them in a scientific and analytical way in order to reach results, including: The Hejaz region is distinguished by many features, which encouragedAll the active forces throughout modern history sought to extend their control over it. The collapse of the Ottoman Empire led to an increase in Franco-British ambitions towards the Hijaz.

Keywords: The Ottoman position, European ambitions, Hejaz, Britain, France

مقدمة:

أصبح معلومًا اليوم أن حملة نابليون بونابرت على مصر افتتحت مرحلة جديدة في تاريخ المشرق العربي الذي كان خضوعه للدولة العثمانية يتراوح بين الحكم الذاتي المشترك مثل ولاية الحجاز والحكم المباشر كولايات الشام والعراق. وقد تزايد اهتمام الأوروبيين بهذا المجال وتنوعت أشكال التنافس فيما بينهم منذ افتتاح قناة السويس ثم احتلال بريطانيا لمصر. لقد أصبح مستقبل الحجاز مرتبطا بشكل وثيق بتلك الظروف التي تقابلت فيها سياسات التوسع وتعددت أشكال التحالف ونشطت بها الأعمال الاستخبارية فضلا عن تزاحم عروض الاستثمار في ميادين الصحة أثناء مواسم الحج ومشاريع النقل البحري والحديدي وغيرها. يكتشف الباحث وهو يتنقل بين صفحات التاريخ الحجازي في الربع الأول من القرن 20م أن المنطقة تحولت إلى أحد المجالات المركزية في أحداث البحرين المتوسط والأحمر وولجت التاريخ العالمي دون عودة إلى المحلية أو النسيان. فماهي الملامح الرئيسية لسياسات القوى الأوروبية المنجذبة للحجاز؟ وماهي ردود فعل الدولة

العثمانية وتفاعلاتها مع تلك السياسات؟ لقد جاهدت منذ أربعينات القرن 19م لإرساء نظام الحكم المباشر بالحجاز وضمان تبعيته للسلطنة إيمانا منها أنه يمثل أحد مناطق الصراع التي قد تعصف بوجودها، إذ بفقدانها اليد العليا على البقاع المقدسة تفقد في نظر العالم الإسلامي شرعية ورمزية قيادته.

سار التسرب الأوروبي في المشرق العربي بطرفيه الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية منذ أن كان ذو طبيعة تجارية ثم أصبح سياسيًّا واستراتيجيًّا فعسكريًّا، مثله بعد الثلث الأول من القرن 19م الوجود القنصلي المتنامي في مراكزه وأعوانه، سار مع جهود القوى الأوروبية الكبرى في تفكيك الدولة العثمانية، ولكن موازاة مع ذلك في إماطة لثام الجهل الأوروبي بأوضاع شبه الجزيرة العربية السياسية والاقتصادية والاستراتيجية. ولقد تزايد اهتمام تلك القوى بشبه الجزيرة العربية منذ القرن 18م، ولم تكن بريطانيا وفرنسا وحدهما المتنافسين على هذا المجال، الذي ينغلق على غرابة الشرق في نظر الأوروبيين، بل توجهت قوى أخرى نحو هذا القطب الجاذب منها هولندا وإيطاليا وروسيا القيصرية والنمسا وألمانيا وإن بشكل متأخر نسبيًّا. وقد شهد القرن الموالي تأسيس التمثيليات القنصلية لهذا الوجود الأوروبي في شبه الجزيرة العربية وخاصة في اليمن والحجاز. فبعد تأسيس بريطانيا قنصليتها سنة 1837م في جدة لحقت بها فرنسا بعد سنتين ثم هولندا في عام 1869 وتلتها النمسا وإيطاليا. وكانت المحطات التجارية المرتبطة بالنشاط الأوروبي قد برزت في سواحل البحر الأحمر قبل ذلك.

لقد أنهى وجود أولئك القناصل منذ التحاقهم بمراكزهم في القرن 19م استمرار صورة الجزيرة العربية الغائبة في أحداث التاريخ الحديث جرّاء الحاجز العثماني والموقع الجغرافي. وبعد ذلك «النسيان الأوروبي» الطويل بدأت المراسلات الدبلوماسية المتنوعة وكتابات الرحالة تلقي أضوائها على الجهل الأوروبي بشبه الجزيرة العربية. وفي هذا السياق، «يثيرنا العجب، يقول أحد الباحثين الفرنسيين، في تلك الحقبة من ظهور اهتمام الحكومات الأوروبية في شؤون الحجاز»[1]. وبالإضافة إلى وظائفها التقليدية المتعلقة بتعزيز المصالح التجارية لأوطانها، كانت تلك القنصليات مكلّفة بمهمة مراقبة تدفق الحجّاج من السكان المسلمين في المستعمرات الأوروبية، في المجال الصحي كما في المجال السياسي. وقد أصبحت تلك الوظيفة حاسمة بعد تفشي وباء الكوليرا الطاحن عام 1865م، الذي نقله حجّاج من الهند، وانتشرت عدواه من مكة المكرمة إلى جميع أنحاء الدولة العثمانية وأوروبا. وتعرض بعض البحوث اليوم مثل بحث لوك شانتر[2] إلى كيفية انتباه أوروبا لتحديات مواسم الحج لا بالنسبة للحجاز والبقاع المقدسة، بل لدول أوروبا وحتى تلك التي كانت على هامش الحركة الاستعمارية. وقد بينت تلك البحوث تطور عدد الحجاج إلى مكة المكرمة من حوالي 75 ألف حاج إلى 150 ألف حاج سنويًّا بين عام 1850 م والعقود الأولى من القرن العشرين حيث أتى معظمهم من البلاد التي خضعت للاستعمار الأوروبي. وكان ذلك مؤشرًا واضحًا على تطور السياسات الأوروبية تجاه الحجاز مما حوله وبسرعة إلى حلبة صراع قوي خاصة بين بريطانيا وفرنسا.

ومن وراء تلك الوظيفة القنصلية أصبحت شبه الجزيرة العربية في علاقة وثيقة بالتاريخ الأوروبي، وعبر هذا الميدان ذي الصبغة الدينية برزت المهمة الثانية وربما الأكثر حساسية للقناصل وهي إبلاغ حكوماتهم عن أيّ نشاط سياسي محتمل لهذا الواجب الديني. لقد كان الاستخدام السياسي للإسلام، كالدعوة إلى تحرير بلاد المسلمين من الاستعمار (دار الكفر)، يعدّ في تقدير القناصل الأمني مؤامرة على حكومات الاحتلال ومستعمراتها.

لقد تحولت مسألة حج مسلمي المستعمرات منذ منتصف القرن 19م إلى «حصان طروادة» الذي امتطته خاصة فرنسا وبريطانيا لتأكيد نفوذهما في ولاية الحجاز. والحقيقة أن الهاجس الديني لم يكن وراء ذلك الاهتمام بقدر الهاجس الأمني، إذ لم تكن تقبل تلك القوى تحرر مسلمي مستعمراتها في الهند أو الجزائر وتونس مثلا من رقابتها عند حلولهم بالبقاع المقدسة. لقد أكد القنصل البريطاني زوهراب (Zohrab) في جدة، قبيل نهاية القرن 19م، في أحد تقاريره إلى سفارة بلده في إسطنبول خشيته مما يمكن أن يصيب علاقة بريطانيا برعاياها المسلمين من توتر جراء حلولهم بالحجاز دون رقابة، ولذلك طالب بتأسيس وكالة بمكة لمتابعة كل تحركات الحجاج التابعين لبريطانيا[3].

حالة السلطة العثمانية في شبه الجزيرة العربية:

أصبح معلومًا أن أوضاع الإمبراطورية العثمانية مع مدخل القرن العشرين ميلادي كانت صعبة حيث خسرت السلطنة عدة ولايات عربية لصالح الاستعمار الأوروبي، وتفاقمت أزماتها السياسية والعسكرية. ولقد أصبح معلومًا اليوم بعد انجاز عدة بحوث أن نفوذ العثمانيين في شبه الجزيرة العربية باستثناء الحجاز وبدرجة أقل في اليمن هو نفوذ محدود وأسمي، مما سمح لمشايخ القبائل وبعض القيادات المحلية أن تبرز في مناطق محددة مثل ابن سعود في نجد وابن رشيد في حائل. ويسعفنا أحد التقارير البريطانية، دون السهو عن غاياته، ببعض ملامح صعوبات العثمانيين في شبه الجزيرة العربية. لقد أشار تقرير 1903م إلى «أن تحصيل الضرائب في هذا المجال لا يتم إلا بصعوبة بالغة، وأن تأثير السلطة التركية هناك كان محدودًا خاصة على الشيوخ وزعماء القبائل المحليين، كما كانت تلك السلطة ضعيفة وتتراجع في كل مكان في شبه الجزيرة العربية»[4]. أما الوجود العثماني في الحجاز وفي الضفة الشرقية للبحر الأحمر مع بداية القرن 20م محدودًا وغير فعال إلى حد كبير، وفي داخل شبه الجزيرة العربية بنجد لم يكن هناك وجود تركي يذكر ولا ممثلين عنه يمكن التحدث معهم، وتزداد الصورة وضوحًا لهذا الوضع بالإشارة إلى ثورة 1902م في اليمن والتي واجهتها القوات العثمانية بصعوبة بالغة. لقد كان ذلك الوجود ضعيفًا ومحفوفًا بالمخاطر فهو لا يغطي معظم مناطق شبه الجزيرة العربية، التي بدأت أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية تتكشف وإن ببطء، لذلك فإن «وجود أمير قوي لنجد أو قوة أوروبية قد ينهيها بسهولة»[5]. لم يشر التقرير إلى شريف مكة للقيام بتلك المهمة وهو تقدير سياسي وعسكري مبكر يكشف ربما كيف تطور موقف بريطانيا من الدور السياسي الذي كان يتضخم ويتجه للعب دور يزعج إلى حد ما الأطماع البريطانية في شبه الجزيرة العربية.

كان لضعف الحضور العثماني المشار إليه عدة انعكاسات على دورها في شبه الجزيرة العربية، فمن ناحية يحيل على درجة فاعلية مواجهتها للأطماع الأوروبية في المنطقة، ومن ناحية أخرى فقد ساعد ذلك الضباط الأجانب وخاصة منهم البريطانيين في جمع معلوماتهم بعيدًا عن أنظار ممثلي الدولة العثمانية. إلا أنه لا يمكن أن نستبعد إدراك السلطان أهمية وجود نفوذه في وسط الجزيرة العربية لمكانته الرمزية الدينية في الحجاز واليمن والخليج العربي، إذ بدون ذلك الوجود تصبح وصاية السلطان على الأماكن المقدسة في نظر المجتمعات الإسلامية غير مؤكدة، كما أن ادعاءه استحقاق الخلافة يصبح مهزوز المشروعية، وذلك ما ينافي المسار التاريخي لتلك الاستحقاقات السلطانية منذ القرن 16م، والأكثر دلالة في هذه الوضعية هو أن افتقار السلطان لتلك القواعد قد يهزّ القواعد الشرعية لأمن الدولة وشرعية قيادتها للعالم الإسلامي السني. وفي المقابل فقد حزم البريطانيون أمرهم، ملتحقين بالفرنسيين منذ بداية القرن 20م، بالتوجه نحو الرهان على التحالف مع العرب «كطابور خامس»، يساعدهم في مواجهة النفوذ التركي في المشرق العربي.

والحقيقة التي ينأى عنها بعض الباحثين هي استغلال القوى الأوروبية لتطور موقف العرب من الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن 19م. لقد تزايد ازدراء العرب للحكم التركي في الشام والحجاز نتيجة أسلوب القمع والتسلط والاستحواذ على موارد تلك البلاد من ناحية ونظرا لاهتزاز صورة الدولة جراء هزائمها العسكرية وإخفاقها في تقديم العون لولاياتها التي اكتسحها الاستعمار، وقد ازدادت تلك المشاعر انتعاشًا بعد وصول الاتحاديين إلى الحكم واعتماد سياسة التتريك دون رعاية لمشاعر السكان العرب. لقد وجدت القوى الأوروبية وخاصة بريطانيا وفرنسا في هذه الوضعية سياقًا ملائمًا لدعم وجودها في شبه الجزيرة العربية وتنشيط استخباراتها لجمع ما أمكنها من معطيات لإدارة ذلك المناخ المتوتر ضد العثمانيين لصالحها. كما بينت ذلك بعض التقارير الاستخباراتية البريطانية أن تصاعد عداء العرب للأتراك قد مثل فرصة جيدة لجمع المعلومات حول وسط الجزيرة العربية. ووفق تقدير بعض المخبرين البريطانيين فإن الحديث عن التحرر العربي من النير التركي كان واسع الانتشار في شبه الجزيرة العربية ولم يكن منحصرًا في نجد وحدها[6]. وقد ضمنت علاقات بريطانيا مع وجهاء العرب في شبه الجزيرة العربية، كما كان الأمر مع وجهاء عرب الشام وفرنسا، مصدرًا مهمًا حول أوضاع الجيش العثماني والعلاقات العربية التركية، على أن تلك العلاقات لم تكن مرعية ورسمية مع تلك القوى الأوروبية ولا يمكن بأية حال اعتبار أولئك الوجهاء من المجندين لفائدة بريطانيا أو فرنسا، بل كان يدفعهم في علاقاتهم تلك البحث عن دعم دولي لمصير بلدانهم.

لكن يبدو أن كتابات أعوان الاستخبارات البريطانية قد سقطت في المبالغة والتهويل فبعضهم ادعى أن الكثير من شيوخ عرب الجزيرة كانوا يحبذون حكم بريطانيا لبلدهم عن الأتراك، أما جار ترود بيل (Gertrude Bell) فقد كتبت سنة 1914م بعد رحلتها من وسط الجزيرة إلى مدينة حائل ما يلي: «لقد خرجت البلاد عن السيطرة وسقطت جميع مقاليد الحكم خلال هذه الأشهر الأولى من

الحرب، والطرق ليست آمنة والتجارة في تدهور متواصل، كل شيء قد دمّر، إنه أمر مروع»[7]. كانت مثل هذه الكتابات تمثل حثًا للسلطات البريطانية لوضع سياسة نافذة في شبه الجزيرة العربية حتى لا يسارع إلى ذلك غيرها من منافسيها.

جذور الأطماع الأوروبية في المشرق العربي وشبه الجزيرة العربية:

مثلت الدولة العثمانية الجار العدو حضاريًّا وعسكريًّا لأوروبا والمفيد لها في الآن اقتصاديًّا لاسيما منذ القرن 17م إذ وجدت الحركة التجارية المالية الأوروبية مجالًا نافعًا في مرحلة توسعها الأولى. كما لعبت الدولة دورًا بارزًا في الحدّ من الأطماع الروسية التي انطلقت في القرن 18م نحو البلقان ومضائق البحار الدافئة أفاد كثيرًا نهضة القوى الأوروبية الغربية وتوسعها. والجدير ملاحظته أن اهتمام معظم الأدب التاريخي للرحالة الأوروبيين حتى نهاية القرن 19م قد تركز حول الجوانب الثقافية في الدولة العثمانية وولاياتها وقليل من الملامح السياسية وإدارة الضرائب، ولم يمثل كتابات استراتيجية بالمعنى الذي كانت تحتاجه الحركة الاستعمارية البريطانية والفرنسية منذ نهاية ذلك القرن. ولم يكن الهدف الأساسي للتقارير العسكرية ومنذ النصف الثاني لتلك القوى معرفة أوضاع الجيش العثماني، التي لم تغب عنها من خلال معاركه ضد حركات الانفصال والاستقلال، بل كانت تلك التقارير تهتم بإنشاء رصيد من المعرفة المرتبة والمنظمة حول الأجزاء العربية من الإمبراطورية العثمانية، وخاصة منها إقليم البحر الأحمر بما اكتسبه من أهمية متزايدة بعد افتتاح قناة السويس.

لقد كانت تلك القوى في حاجة إلى الأساليب السلمية للتعامل مع شعوب الهند والعرب والأفارقة بعد التجربة الدامية في الجزائر وجنوب إفريقيا، ولذلك اعتمدت المباحثات السرية والمراوغة والابتعاد عن ابرام المعاهدات المكبلة كما كان أمر بريطانيا مع الشريف حسين في الحجاز وابن سعود في نجد وأمر فرنسا مع السورين في الشام. وقبل ذلك كان التمهيد لتلك السياسات والعمل الناعم قد بدأ فعلًا قبيل منتصف القرن 19م في المشرق العربي بتأسيس القنصليات ونشر أعوان الاستخبارات بعد أن تبلورت المشاريع الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا على الأقل. ففي جدة أنشأت بريطانيا سنة 1837م أولى قنصلياتها في هذه الربوع وتلاها بعد سنتين تأسيس فرنسا قنصليتها في نفس المدينة ثم قنصليتها في القدس سنة 1843م، بعد أن انتزعت حق رعاية الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين من السلطان وساهمت مدعمة بذلك دورها في حماية كاثوليك لبنان.

ومع الربع الأخير من ذلك القرن تعززت المصالح الأوروبية في المجال العثماني ببلوغها مرحلة الإقراض الباهظ والاستثمارات في مشاريع تحديث المؤسسات العسكرية والمشاريع المدنية مثل التلغراف كما هو تلغراف الحجاز والسكك الحديدية في العراق والشام والحجاز. وقد تزايدت الاستثمارات المالية والقروض الأوروبية في الإمبراطورية العثمانية وولاياتها العربية نتيجة حاجة

أصحاب الرأسمال الأوروبي إلى الاستثمار خارج الأسواق الأوروبية التي شهدت الكساد من ناحية، وتعبيرًا عن أحد جوانب التنافس الاستعماري حول الأسواق العثمانية والعربية التي بلغت بها نسبة الأموال العامة ذات المصدر الفرنسي 60% في السنوات الأولى من القرن 20م بينما بلغت تلك النسبة في الأموال الخاصة 40% [8].

وقد أصبحت تلك الوسائل فضلًا عن الاتفاقيات الثنائية مع الدولة العثمانية مجدية للقوى الأوروبية، التي لم تعتمد بعدُ التدخل العسكري في الساحل الشرقي للبحرين المتوسط والأحمر باستثناء عدن. وقد زاد من تلك الجدوى حالة الحرج السياسي والإداري التي أصبحت عليها الدولة العثمانية قبيل انتهاء القرن 19م بسبب الأزمة الأرمينية سنة 1894م وأزمة كريت والحرب اليونانية التركية سنة 1897م ثم المسألة المقدونية. لقد ارتبطت تلك الأحداث بهزائمها العسكرية واستغلتها دعاية القوى الغربية وروسيا لتلطيخ سمعتها الإنسانية سواء في الداخل أم في الخارج. وقد تسابقت كل من بريطانيا وروسيا بمقترحاتها في التدخل لتهدئة تلك الأوضاع الصعبة لكن فرنسا عارضت ذلك لمعرفتها بالنوايا الحقيقية لتلك المقترحات من جهة ولضمان سياسة الإقراض والاستثمارات التي كانت تربطها بالعثمانيين من ناحية ثانية، إذ كانت تمتلك 46% من الديون العامة للإمبراطورية مقابل 19% لبريطانيا[9]. ولكن يجب الإشارة إلى أن اهتمام فرنسا وبريطانيا ثم إيطاليا كان قد اتجه في تلك المرحلة نحو الساحل الغربي للبحر الأحمر وحوض النيل والتنافس حول التوغل في إفريقيا الوسطى وذلك دون أن تترك شبه الجزيرة في هدوئها العثماني.

ومن نافلة القول أن اهتمام القوى الأوروبية قد تطور مع ازدياد مصالحها منذ افتتاح قناة السويس وتوسع حركتها الاستعمارية في إفريقيا وأسيا. لقد مرّت قواعد ذلك الاهتمام من التقارير القنصلية ذات الصبغة التجارية والسياسية إلى التقارير الاستخباراتية العسكرية التي مسحت مسالك النقل وطرقه في شبه الجزيرة وفي مناطق أخرى من المشرق العربي الذي ظل خاضعًا للإدارة العثمانية. والمثال البين على هذا الاهتمام ما أورده التقرير البريطاني العسكري حول شبه الجزيرة العربية (Military report on Arabia) الذي صدر في 1904م[10]، ولكن أغلب معطياته تعود إلى ما يزيد عن العقدين الأخيرين للقرن 19م.

لقد أشار هذا التقرير إلى أن أكثر من نصف الطرق في تلك البلاد وخاصة منها الحجاز والخليج قد تم مسحها أو معاينتها ما بين 1900 و1903م من طرف مكتب الحرب البريطاني، وذلك من أجل الحصول على معرفة دقيقة ومفصلة على مسالك شبه الجزيرة العربية. وكان الفحص العسكري لأغلبية تلك الطرق قد أنجز مع بداية القرن 20م بينما أشار التقرير المذكور أن أربعة منها فقط قد تمت معاينتها قبل 1890م. فما الذي يعنيه هذا الوضع؟ يبدو الاهتمام البريطاني ببلاد العرب الجنوبية قد بلغ مرحلة دراسة الاستغلال العسكري في هذه المرحلة بعد أن تقدم الاستغلال التجاري والدبلوماسي، وهوما يؤكد رأي الفرنسي ماسون (Paul Masson) من أن التجار قد مهدوا

الطريق إلى الجيوش في حركة التوسع الاستعماري. ويسهل الاستنتاج مما تقدم أن القوى الأوروبية قد أعدت تدريجيًّا احتمالات تقسيم ما تبقى من الممتلكات العثمانية في القرن 20م بشيء من الاطمئنان بعد أن تحولت الإمبراطورية إلى دولة مكبلة بالديون والاتفاقيات وزالت صورة خطورتها العسكرية الغازية.

مظاهر من الأطماع الأوروبية وسياسات دعم النفوذ في إقليم البحر الأحمر وشبه الجزيرة العربية:

إثر التوسع البريطاني في حوض السودان الذي كان جزءًا من مصر العثمانية، وكان يمثّل كارثة ثقيلة على وحدة مصر واقتصادها، تساءل مصطفى كامل قائلا: «ألم يلحق هذا الجرح الفظيع الضرر بالإمبراطورية العثمانية وأوروبا قاطبة؟ ألم يمثل اغتصاب حقوق مصر وتركيا الأكثر قداسة مواجهة مع أوروبا والحضارة؟»[11]. والحقيقة أن هذا التوصيف ينسحب كذلك على احتلال إيالتي الجزائر وتونس العثمانيتين قبلها وعلى طرابلس الغرب بعدها. إن بريطانيا بمجرد سيطرتها على موانئ البحر الأحمر الغربية مثل السويس والقصير وسواكن أصبحت تهدد بقية موانئه وفي مقدمتها جدة ونواحيها وعدن وكامل إقليمه الافريقي والعربي. وستطال كل تلك المناطق مدافع بريطانيا بما في ذلك البقاع المقدسة في الحجاز.

وقد كانت تأثيرات افتتاح قناة السويس في 1869م مباشرة على الحجاز أولًا ثم على إقليم البحر الأحمر، فقد سهلت عبور البضائع والسفن والمسافرين والأفكار بين منطقتي البحر المتوسط والهند وحققت طموحات الهيمنة كبرى القوى الأوروبية على ذلك الممرّ الحيوي. وعندما نستحضر الأهداف البريطانية وخاصة تواجدها العسكري والقنصلي في ضفتي البحر الأحمر نتبين كيف كانت تلك الاستراتيجية، التي أضعفت الوجود العثماني إلى حد كبير، تعمل على تحويل هذا البحر إلى» بحيرة بريطانية» لا تتحكم في حركته التجارية فقط، بل وتؤثر في تدفق حجاج البقاع المقدسة بالحجاز. لقد كانت الطموحات البريطانية تعرّض المصالح العثمانية في الحجاز في القرن 19م إلى أكبر الأخطار لا سيما منها سمعة السلطان العثماني الذي كانت شرعيته الكاملة مرتبطة بنفوذه على الحجاز وبقاعه المقدسة. وإذا بدت استراتيجية بريطانيا تجاه الإمبراطورية العثمانية محافظة ومغايرة لما كانت فرنسا تراه، فإنها أصبحت منذ احتلالها مصر في 1882م تتسابق مع فرنسا خاصة لتفكيكها وترتب لتقسيم تركتها. لقد كانت منتبهه إلى وضع رعايا الهنود الوافدين على مكة المكرمة أو المالطيين المستقرين بجدة على قلتهم، وكانت الخشية أن يتعرض أحدهم لحادث أو اعتداء ما ليصبح ذريعة لتدخلها في الحجاز، ولذا كانت السلطات العثمانية في الولاية تسهر على ألا يحصل شيء من ذلك. وفي مجال آخر وبعد أن حولت بريطانيا موقفها المعارض من شق قناة السويس إثر افتتاحها، اقتنصت فرصة شراء أسهم مصر في شركة القناة سنة 1875م مما اعتبر ضربة موجعة للنفوذ الفرنسي في المنطقة من جهة وخطوة إيجابية على طريق احتلال مصر من جهة

أخرى. وكانت قبل ذلك وتدعيمًا لنفوذها في البحر الأحمر احتلت بعض جزره الجنوبية وخاصة بريم وكمران في سنتي 1857م و1862م على التوالي[12]، كما واجهت محاولات الوجود الفرنسي في جنوب الساحل الغربي للبحر الأحمر عندما حاولت فرنسا شراء بعض أراضي بندر الشيخ سعيد[13] بحجة أن ذلك يهدد تجارة القهوة اليمنية ومركز عدن.

ومن المفيد الإشارة إلى أن تكثّف المنافسة بين فرنسا وبريطانيا حول شبه الجزيرة العربية وخاصة الحجاز والبحر الأحمر قد تجلّت خطواتها العملية مع بداية العشرية الأخيرة من القرن 19م. فبعد أن مسكت بريطانيا بخيوط وجودها في مصر وخاصة قناة السويس وطمأنة فرنسا على مصالحها في العبور الحر وتخفيف الضغط عن مشاريعها الاستعمارية في غرب إفريقيا، وإثر تأكدها من تصاعد تحديات عبد الحميد الثاني وخاصة منها الأزمة المالية وتعزيز العناصر الإصلاحية موقعها في إسطنبول، أبرزت بعض ملامح رؤيتها لمستقبل الحجاز وشبه الجزيرة العربية عامة. لقد كانت تلك الرؤية تدور حول إمكانية سلخ ولاية الحجاز عن الإدارة العثمانية المركزية ورعايتها كمنطقة مستقلة تابعة لها عبر إدارة مصر البريطانية. وفي هذا السياق نقل القنصل الروسي في القاهرة عن الممثل العثماني مختار باشا سنة 1892م بأن قلق الباب العالي يتزايد من تفكير بريطانيا في مساعدة الحجاز على تأسيس حكم مستقل عن السلطنة[14].

وفي سياق تلك الأحداث فإن كل من بريطانيا وفرنسا بدأت في صياغة سياسة عربية خاصة بها سهر على ترتيبها قناصلها في المنطقة بتوجيه من الإدارة المركزية في لندن وباريس وأعوان مكاتبها في مستعمراتها مثل المكتب العربي الفرنسي بالجزائر والمكتب العربي البريطاني بالقاهرة ونظيره بالهند. لقد تمكنت تلك المكاتب من جمع رصيد كبير من المعلومات قبل الحرب الكبرى 1914م حول المنطقة العربية من خلال كتابات الرحالة والأكاديميين والضباط، مما جعلها تشكل قاعدة لمسارات سياسات تلك الدول. وقد كان مركز اهتمام السياسة العربية الفرنسية هو إقليم سوريا الكبرى ومستقبلها السياسي تحت الرعاية الفرنسية، بينما كان مركز اهتمام السياسة العربية البريطانية شبه الجزيرة العربية وفي مقدمتها الحجاز. غير أن هذا التقسيم لم يمنع تدخل أحد الطرفين في مجال الأخر أو التأثير في سياسته، لكنه تقسيم مثّل القاعدة العامة لمفاوضات سايكس بيكو ونتائجها. لقد كانت رؤى الدولتين الفرنسية والبريطانية وراء تشكيل خريطة سياسية لمنطقة الشرق الأوسط، من خلال الحوافز المتعددة والمصالح التي لم تكن بالضرورة متصادمة في سياق توجه اتفاقي. كانت بريطانيا مثلا ترى أنه ليس هناك ضرورة لمعالجة المسائل العربية وفقا لحدود جغرافية صارمة، فسوريا لا يمكن اعتبارها في استقلال عن العراق (ميزوبوتاميا) ولا الحجاز في استقلال على نجد، كما أن نمط حياة البدو كان يعني هجرة القبائل عبر الصحراء بين كل من سوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية. غير أن هذا التصور الأولي لخارطة المشرق العربي وما يوحي به من اعتراف ضمني بوحدته قد تبدد أثناء مفاوضات واتفاقيات الحرب الكبرى.

لقد كان تأثير تلك المكاتب العربية قويًّا في السياسة دولها، فعلى سبيل المثال وبعد أن انتشرت الدعاية التركية والألمانية عن سوء أوضاع جبهة شرق المتوسط وتهديد قناة السويس منذ سنة 1915م حيث كانت قيادتها وعملياتها بريطانية بالأساس، أوعز المكتب العربي بالقاهرة إلى ضرورة أن ينظم الشريف حسين موسم الحج لسنة 1916م، بوصفه أمير مكة وراعي البقاع المقدسة، معتبرًا أن ذلك سوف يرفع من شأنه وشأن الحجاز في نظر المسلمين، كما ألمح ذلك المكتب أن حاجيات النقل والغذاء سوف تكون متوفرة في جدة ومراكز الحج داعيا إلى تخفيض الرسوم المفروضة على الحجاج وكذلك رسوم النقل والإرشاد من طرف البدو[15]. ويبدو أن القوات البريطانية كانت تعاني فعلًا من صعوبات جمة وفي حاجة إلى دعم أوسع من مسلمي العالمين العربي والهندي لمواجهة دعوة الجهاد التي نشرها العثمانيون والألمان في بداية الحرب، ويتضح كم كان دور الشريف حسين والحجاز مهمًا للوضع العسكري البريطاني آنذاك.

«السياسة الفرنسية» في بلاد الحجاز قبيل تفكك الدولة العثمانية:

ترجع علاقات فرنسا بالمشرق العربي إلى عصر الحروب الصليبية وبقايا المسيحيين في ساحل الشام. لقد اتخذت فرنسا لاحقًا تلك الجذور قاعدة لحق رعاية مسيحيي الشرق وأماكنه المقدسة، لكن من المفيد الإشارة إلى إن تلك العلاقة البعيدة كانت قد شهدت ما يشبه الاختفاء حتى منتصف القرن 17م. وقد عادت الروابط الفرنسية مع مسيحيي الشرق بتزايد نشاط التجار الأوربيين في الأسواق العثمانية وقد توطد بروز العلاقات التجارية المالية في موانئ الحوض الشرقي للمتوسط، من الإسكندرية حتى الإسكندرونة. ففي سنة 1730م وقع السلطان محمود الأول مع فرنسا معاهدة دعمت امتيازاتها في الدولة العثمانية ومنحت فرنسا حق حماية جميع المسيحيين الكاثوليك في الشام[16]. غير أن العلاقات الفرنسية مع الباب العالي قد تضررت منذ حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م، ثم موقف فرنسا المساند لمشروع محمد علي وابنه إبراهيم بين 1831 و1841م على حساب الممتلكات العثمانية العربية، إضافة إلى بداية استعمار الجزائر في 1830م. لقد دارت تلك الأحداث وفق الرؤية الفرنسية حول مصير الدولة العثمانية التي رأت ضرورة قضم ممتلكات الإمبراطورية تدريجيًّا. وقد تنازلت استراتيجية نابليون بونابرت في هذا الأفق، إذ أبدى اهتماما ثقافيا بالتراث الإسلامي ومؤسساته إثر حلوله بمصر، كما عمل على ربط علاقات سلمية مع الحجاز وأشرافه من أجل استمالة سكان هذا الإقليم. وقد حرص بونابرت على استمرار النشاط التجاري عبر البحر الأحمر ودعا إلى اتخاذ السويس ميناء رئيسيًّا بدل ميناء القصير، بل إن الفرنسيين بدأوا توجههم نحو مشايخ القبائل السودانية والحجازية واليمنية بهدف تحقيق التعاون مع فرنسا ومساعدة أسطولها فيما عزم على التوجه إلى الهند[17]. ولئن أصاب الطموحات الفرنسية نحو المشرق العربي الارتباك والبطء إثر هزيمة البلاد أمام ألمانيا سنة 1870م، فإنها سرعان ما عادت لحيويتها إثر مؤتمر برلين سنة 1878م.

والجدير بالإشارة أن تعزيز هذه السياسات الفرنسية والبريطانية في الشرق العربي قد سار بشكل مواز لتدهور أوضاع الدولة العثمانية، إذ كانت بمثابة تدابير تفكيك ذلك الشرق وإقامة مناطق النفوذ ووصفات اقتسامه. وكان يقود تلك السياسات جملة من الأسئلة لعلّ أهمها كيف يمكن ملائمة سياسات التوسع الفرنسي أو البريطاني مع متطلبات سكان إقليم الشرق العربي (الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية)، أي كيف يمكن تجنب إثارة أولئك السكان وقواهم السياسية مع تواصل توسع النفوذ والهيمنة؟ وكيف يمكن إدارة التنافس بين القوى الأوروبية والحيلولة دون بلوغ تصادمها؟ من هنا كانت المؤتمرات والاتفاقيات والعمل الاستخباراتي هي الوسائل الأكثر استعمالًا وضمانًا لحالة السلم ضمن مشاريع التنافس الفرنسي البريطاني. ولذلك لم يشهد المشرق العربي منذ الربع الأخير للقرن 19م وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى اصطدامًا مسلحًا بين الدولتين لاسيما وقد التقت رؤيتهما حول مصير الدولة العثمانية بقرار تفكيكها واقتسام ما تبقى من ممتلكاتها العربية. وقد انتبهت الدولتان إلى مكانة الثقافة الدينية الإسلامية لدى شعوب المشرق العربي فاعتمدتها واجهة لعلاقتها بهذا الإقليم، إذ لم تدخر كل من بريطانيا وفرنسا التعبير عن احترامها للموروث الإسلامي ورعايته واحترام مراكزه، كما اهتمت بشكل مثير بمشاغل الحج تعبيرًا عن مسلمي مستعمراتها وغيرهم ممن ينتشرون في إفريقيا وأسيا. على أن هذا الوضع كان يخفي الاهتمامات الحقيقة للدولتين وهي المصالح الاقتصادية وعدم إثارة أي صنف من المعارضات الإسلامية، بما يحيل على المثال الفرنسي الذي يقول: «يجب نزع ريش الدجاجة دون تصيح عاليًا». وكانت تلك السياسات الناعمة قد بلغت قبل نهاية القرن 19م تداول فكرة الخلافة العربية في الحجاز بما يشير إلى أن رؤية أصحابها كانت واسعة الأفاق.

وفي هذا السياق فتحت فرنسا عهدًا جديدًا لحضورها وتكثيف مصالحها وتمثيلياتها القنصلية في معظم الولايات العربية العثمانية ومنها ولاية الحجاز لاسيما بعد أن احتلت فرنسا الجزائر وأصبح حج مسلميها تحت تنظيم إدارة الاحتلال ورعايتها. وكان إنشاء النيابة القنصلية الفرنسية بجدّة عام 1839م باقتراح من سفير فرنسا في اسطنبول، الذي حثّ «حكومته على مضاعفة وسائل الاستعلام والتأثير في الولايات العثمانية، وذلك بتعيين وكلاء قنصليين في مراكز جديدة». وقد خصصت أربعة آلاف فرنك لإنشاء النيابة القنصلية في جدّة حيث كانت مهمّة وكيلها توفير «معلومات دقيقة حول الشؤون السياسية والتجارية في البحر الأحمر. وهي معلومات أصبحت على غاية من الأهميّة منذ أن أصبح هذا البحر قناة التواصل بين الهند وأوروبا ومنذ أن أقام الإنجليز مؤسستّهم في عدن»[18].

كما كان مشروع قناة السويس، الذي انطلق بعد عشر سنوات من افتتاح فرنسا نيابتها القنصلية في جدة والذي أبدت بريطانيا معارضته وعدم المشاركة في تمويله في بداية الأمر لتهديده طريق الهند، وجهود فردناند دوليسبس لتحقيقه عملًا مفيدًا جدا لمكانة فرنسا في منطقة البحر الأحمر والمشرق العربي دون منازع.

ومنذ منتصف القرن 19م مثل القناصل ركائز الحضور الفرنسي في شبه الجزيرة العربية. ولم يكن ذلك الحضور مرتبطًا بالعدد القليل من الفرنسيين الذين يزورون الحجاز أو يقيمون به، إنما كان في علاقة وطيدة بحجاج البقاع المقدسة والرحالة والزائرين الذين كان منهم التجار الذين يتعاملون مع السلطات المحلية بالحجاز[19]. ولم تكن فرنسا مكتفية بقنصلية واحدة في الحجاز، بل دعا بعض قناصلها منذ سنة 1847م إلى تأسيس فروع قنصلية في مكة[20] وفي ينبع مبررين ذلك بمتابعة الحجاج الجزائريين الذين تقرر خضوعهم كغيرهم من الحجاج للسلطات الحجازية المحلية، وهي وضعية كانت تقلق الإدارة الفرنسية.

وقد كان من هواجس السياسة الفرنسية خاصة بعد احتلال مصر أن تحيي بريطانيا مشاريع تاريخية وحدت بين مصر والشام كان أخرها لمحمد علي والي مصر وتمددّ أطماعها إلى بلاد الشام، أو تذهب إلى استمالة أصحاب فكرة الجامعة الإسلامية ودعمهم وسحب البساط من السلطان عبد الحميد الثاني لتجعل من مشروع الخلافة الإسلامية مشروعًا بريطانيًّا يساعدها على السيطرة نسبيًّا على العالم الإسلامي، لذلك كانت هواجس الفرنسيين بعد أن لاحظت تقدم المكانة البريطانية في المشرق العربي والبحر الأحمر والهند تدور حول:

- معارضة أية محاولة بريطانية لتوحيد مصر والشام تحت سيطرتها.
- منع بريطانيا من احتكار فكرة الخلافة الاسلامية والمساهمة كطرف أساسي في بلورتها ودعم قيامها على أرض الواقع بالحجاز. (سوف نتناول هذه المسألة في الفصل القادم)

ضمن تلك الهواجس الفرنسية، وإثر احتلال ايطاليا لولاية طرابلس الغرب العثمانية الذي بدد الشكوك حول ت مصير المشابه لما تبقى من الولايات العربية العثمانية، كتب في 29 يناير 1912م، القنصل الفرنسي كوجيه (Couget) في بيروت لوزير الخارجية الفرنسي بوانكاريه (Poincaré) ما يلي: « نلاحظ أن الأفكار قد اضطربت مع بداية الحرب التركية الإيطالية، وأن شائعات مختلفة أخذت تنتشر حول مصير البلاد والأثار التي يمكن أن تتسبب فيها تلك الحرب، فكثير من الناس ليس من المسيحيين فقط بل من العرب المسلمين، يعتقد أن تلك الحرب سوف تؤدي إلى تفكك الدولة العثمانية، ويتمنى هؤلاء أن تكون سوريا من نصيب فرنسا، ومن الشائعات السارية الآن أن فرنسا ستتولّى إدارة سوريا وخاصة إدارة الجمارك كضمان لقرض فرنسي كان قد أسند لتركيا...لكن آخر ما أشيع أن فرنسا ولكثرة مشاغلها في الخارج[21] لن تبالي لهذه البلاد التي ستقع بيد بريطانيا بل تظن أنها ستلحق بمصر»[22].

ولم تكن هذه المخاوف الفرنسية من الهيمنة البريطانية على المشرق العربي أوهامًا أو خطأ في التقدير. فمراسلات الدبلوماسيين المتعددة من إسطنبول ولندن والشام، والتي سنكتفي بعرض مختصر لبعضها، تتضمن تلك المخاوف بشكل محقق. لقد عبر عنها السفير الفرنسي بومبارد (Pompard)في إسطنبول

في مراسلته لوزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 30 مارس 1912م. وهو يشير إلى كيفية تخلخل التوازن بين الدولتين لصالح بريطانيا منذ أن سيطرت على مصر وقناة السويس وجزيرة قبرص إثر ذلك. ويشير إلى دور الصحافة المصرية في هذا الوضع كصحيفتي المقطم والمفيد، التي أشارت إلى تشكيل لجنة مصرية بهدف العمل على «ضم سوريا لمصر»، ويذهب السفير في دعم رأيه المذكور إلى الإشارة لموقف بعض السوريين غير الفرنسي بقوله: «يكن السوري إعجابًا ملحوظًا لصفات العزم والمثابرة التي يقدم البريطانيون عليها المثال في مصر...ومنذ أن ألغي النظام التركي الجديد (حكومة الاتحاديين) العراقيل التي كانت تشل حركة النقل والسفر بين ساحل الشام ومصر بدأ التطور الاقتصادي وأصبح يفتح كل يوم مجال جديد أمام براعة السوريين. فالعديد من أعيان بيروت له مصالح مهمة في القاهرة والإسكندرية وبموجب أعمالهم وراحتهم ينتقلون شتاء إلى مضر بينما تتجه عائلات مصرية كثيرة صيفًا نحو لبنان وكذلك العائلات السورية المقيمة في مصر. وتضم هذه الحركة المحامون والصحافيون فضلا عن عدد من الانجليز. وهذه الاتصالات تعزز التقارب بين البلدين كقربهما في الماضي، كما تساهم في بروز تيارات فكرية ميالة إلى البريطانيين... هذا فضلًا عن مقارنة السوريين بين المشاريع الإنجليزية في مصر ونظيرتها الفرنسية في سوريا التي يعتبرونها أقل ازدهارًا»[23].

ومن لندن يقدم السفير الفرنسي تقريره بتاريخ 3 مايو 1912م لرئيس الوزراء، بما يدلّ على أهمية الموضوع، حول زيارة اللورد كتشنر لمصر. وفي الواقع فإن المراسلة تحاول أن تفكك تقرير العون الاستخباراتي في المكتب العربي بالقاهرة رولاند ستورز (Roland Storrs) حول زيارة كتشنر لمصر المنشور في مجلة (Fortnightly review)، والذي ورد به أن بريطانيا تتمنى أن يتواصل احتفاظ الدولة بوحدة سوريا وأسيا الصغرى والأناضول لكن في حالة «زوال تركيا فإن أفاق زاهرة ستفتح لمصر...إن مصر يمكن أن تحلّ مكانها... وأن سوريا وفلسطين يمكن أن ترتبطا بالقاهرة كما كانتا في الماضي، ثم إن الجزيرة العربية يمكن أن تضم إليها بسهولة إذا خضعت قبائل اليمن، التي تثور حاليًا على الأتراك، إلى الانجليز، وهذه القبائل مستعدة لذلك»[24]. ومع أن السفير قد اعتبر «المشروع البريطاني في سوريا» مجرد تفكير افتراضي تخفيفًا لأهميته إلا أنه لم يخف مخاوفه معللًا ذلك بأن مصر كلما مرّت بوضع تاريخي ملائم وسلطة قوية إلا وتوجهت للتوسع في بلاد الشام مثلما كان الأمر مع المماليك وعلي بك في القرن 18م ثم مع نابليون بونبارت وبعده في القرن 19م مع محمد علي ثم تساءل «هل سيكون وضع بريطانيا اليوم كذلك؟». لقد كانت اجابته مؤكدة لمخاوفه التي استعرض بعض مبرراتها مثل التقارب المصري السوري من خلال زيارات السوريين الأعيان المتواترة لمصر ورجال السياسة المصرية مثل رحلة السر ألدون كورست (Sir Eldon Corst) ثم أخ الخديوي لسوريا، ومن جهة أخرى فإن السفير لا يخفي بعض الأخبار المهمة التي بلغته عن تمتع رجال الأعمال السوريين في مصر بالدعم المالي لمشاريعهم والدعم القانوني لأفكارهم ومبادراتهم، وتخلص رسالة السفير بالقول: «في هذه الذبذبة الغامضة في طرح الاتحاد بين مصر وسوريا خطر على مصالحنا التقليدية في هذا الجزء من الإمبراطورية...»[25].

ورغم أهمية مثل تلك المراسلات ووضوحها إلا أن الحكومة الفرنسية كانت تتلقى مراسلات أخرى مطمئنة عن وضعها في المشرق العربي إزاء النفوذ البريطاني، فتقرير المعتمدية القنصلية الفرنسية في القاهرة بتاريخ 5 يناير 1912م يخفف من خطر الرؤية البريطانية التي أشرنا إليها أعلاه. فهذا التقرير يؤكد سلامة الوضع الفرنسي في سوريا ومحدودية النشاط البريطاني بها، كما يقترح استثمار «الوجود المسيحي السوري في تكوين التيار المؤيد لفرنسا في وجه السياسة البريطانية الإسلامية»، وفي هذا السياق يذكر التقرير بان «في سوريا حوالي 3.5 مليون ساكن من بينهم 700 إلى 800 ألف ساكن مسيحي، يضاف إلى ذلك 500 ألف سوري مسيحي مبعثرين في الأمريكيتين... وهؤلاء المهاجرون لم ينقطعوا عن بلدهم الأم حيث يستمرون في ممارسة تأثير قوي في داخله. ويقترح التقرير على الحكومة الفرنسية تكثيف الدعاية لصالح الوجود الفرنسي في سوريا بواسطة الصحافة ورجال الدين الكاثوليك في سوريا نظرًا لما يملكه الرهبان من سلطة معنوية لا شك فيها تقوم مقام السلطة الغائبة للدولة العثمانية»[26].

شكلت تلك الآراء والتقارير والنشاط الدبلوماسي أسس السياسة العربية الفرنسية في المشرق العربي واختطت مسارات الحكومات الفرنسية بما أصبح يعرف بالمسألة السورية منذ بداية القرن 20م. والملاحظ أن ذلك النشاط الحيوي بالنسبة للدولة الفرنسية ظل من إنجاز المبادرات الفردية التي كانت تعدها وزارة الخارجية وتراقب عملها وعلاقاتها ومراسلاتها. فبعد هزيمة فرنسا سنة 1871م أما الألمان وحتى 1914م كاد العمل الدبلوماسي الفرنسي يقوم على الموظفين اللامعين لوزارة الخارجية الفرنسية فضلًا عن عدد من الضباط العسكريين الذين تدربوا في المستعمرات على العمل الاستخباراتي. ومع 1915م أسس مجلس الشيوخ الفرنسي لجنة مختصة بالشؤون الخارجية أصبحت تساعد وزارة الخارجية[27].

وتجدر الملاحظة أن السياسة العربية لفرنسا قد استفاقت بشكل ملحوظ أثناء الحرب الكبرى معتمدة القواعد القديمة في رعايتها للمسيحين بولايات الشام، لذلك تبلور مشروع التوسع الفرنسي في ذلك المجال، بينما كانت اهتماماتها بشبه الجزيرة العربية في مرتبة ثانية، ومن ثم نتبين تفوق الدور البريطاني في جنوب فلسطين والبلاد العربية الجنوبية التي يكون حدها الشمالي وفق الرؤية البريطانية من العقبة حتى الكويت. ووفق واقع النفوذ الفرنسي في سوريا الكبرى لم تكن بريطانيا تستطيع الاستجابة لرؤية الشريف حسين حول حدود المملكة كما عرضها في رسالته الأولى في 14 يوليو 1915م مع مكماهون، لذلك كان اقترحت عليه ارجاء مسألة حدود تلك المملكة إلى ما بعد نهاية الحرب[28]. وفيما يبدو فإن تلك الضبابية البريطانية المتعمدة في أجوبتها للشريف حسين كان هدفها الأساسي وفق إشارة لورنس[29] عدم المساس بمناطق النفوذ الفرنسي في الشام وساحله بما في ذلك ولاية بيروت لتبدو حريصة على المصالح الفرنسية، وخلف ذلك محاولة صرف الأطماع الفرنسية ما أمكن عن الحجاز وبقية مناطق شبه الجزيرة العربية. وقد أكدت بريطانيا هذا الموقف في مراسلة مكمهون في 25 أكتوبر 1915م إذ تضمنت أن «بريطانيا ستسعى بحرية لضمان

التزاماتها، المذكورة في الرسالة، ما لم يلحق ذلك ضررًا بمصالح حليفتها فرنسا». وتجدر الإشارة إلى أن جول كامبون السفير الفرنسي في لندن لم يأخذ على محمل الجد مساعدة بريطانيا في فتح قناة للحوار له مع الشريف حسين، لكنه أكد أن حدود مملكة الشريف سوف تمتد إلى سوريا ومن ثم فإن التفاوض حولها سوف يكون من مهام فرنسا وليس مع طرف آخر، بما يحيل على أن التحكم في أطماع فرنسا ظلت مسألة لم تكن إلى ذلك الحين مأمونة النتائج لبريطانيا[30].

وقد كلفت الإدارة الفرنسية سفيرها كامبون ليعلن موافقة بلاده على تأسيس دولة عربية مستقلة بقيادة الشريف حسين، ولكن دون أن تتضمنها محادثات وزير خارجيته جورج بيكون مع الطرفين البريطاني والروسي، وذلك يحيل على أن كل ما تعلق بهذه المسألة أحيلت إلى كامبون. وقد تحاشت فرنسا أن تعقد المفاوضات حول مستقبل العرب ومملكتهم، التي كانت مملكة حجازية لا غير وفق التخطيط البريطاني، مبرهنة من وراء ذلك عن «حسن» نواياها تجاه المصالح البريطانية في شبه الجزيرة العربية حتى لا تثير هذه الأخيرة لها المتاعب في سوريا في مستوى الحدود والتعامل مع السكان وتجهيز الموانئ.

والجدير بالملاحظة أن مراسلات (حسين مكماهون) والتي مازالت تقدم على أنها محادثات ثنائية سرية من ناحية وإنجاز بريطاني صرف تضمن الضغط والمراوغة التي عرفت بها تلك الإدارة، تتطلب سياقها وأطرافها التعديل. لقد كان ممثلو بريطانيا يتشاورون سنة 1915م مع نظرائهم الفرنسيين وخاصة جول كامبون، وكانت عدة تعديلات تجرى على المقترحات البريطانية لاسيما فيما تعلق بحدود المملكة العربية التي وعدت بريطانيا بدعم تأسيسها، وذلك في علاقة بحدود سوريا الفرنسية ما بعد الحرب. لقد كانت بريطانيا تعمل على تسريع دخول الشريف حسين في الحرب ليساهم في تخفيف الضغط العثماني في بلاد العرب على الجيش البريطاني الهندي، ولذلك كانت تأمل من حكومة فرنسا تقليص ضغطها وتصلبها على أعوانها المفاوضين، وبطبيعة الأمر كان الشريف حسين يجهل كل تلك الأساليب والمعاندات الفرنسية البعيدة عن مملكته المرتقبة نظريًّا. لقد عملت فرنسا من وراء تلك المحادثات مع بريطانيا أن يكون لديها تأثير مباشر على مستقبل المملكة العربية المستقلة التي وعدت بها بريطانيا الشريف حسين، وهو ما كان يمثل إزعاجًا حقيقيًّا لهذه الأخيرة. لقد كان كامبون يرى» أن الحلفاء وخاصة فرنسا المهتمة أساسًا بكل جوانب هذا الشأن كجارة في المستقبل للإمارة الجديدة، يجب أن تلحظها عيون المسلمين كمساهم على نفس الدرجة مع بريطانيا في تأسيس المملكة العربية التي لا يمكن أن تكون عمل بريطانيا الصرف» [31]. يتجلّى إذا أن سياقات الحرب لم توقف التنافس الخفي بين الطرفين على بلاد العرب في الشام أو شبه الجزيرة العربية.

لقد كانت الحيرة تتملك القيادات البريطانية المهتمة بالشرق حيث بدأت منذ سنة 1915 تطرح «سيناريوهات» تفكيك الدولة العثمانية ونتائجها. فقد انشغلت تلك العناصر باحتمال مواجهة

الأطماع الروسية في شمال العراق، وذلك يتطلب وضع يدها على ميناء الاسكندرونة لدعم جيشها فيما قد يحصل من مواجهات عسكرية. إلا أن هذا السيناريو كانت ترفضه فرنسا التي تعتبر ساحل الشام مجالًا حيويًّا لها ولاستراتيجيتها التوسعية في سوريا الكبرى[32].

ولا يمكن أن ننهي تناول السياسة العربية الفرنسية دون الإشارة إلى جانبها الإسلامي أو كما أسماها أحد الباحثين الفرنسيين السياسة الإسلامية لفرنسا[33]. فقد كان الإداريون الفرنسيون والأوروبيون بشكل عام ينظرون بقلق إلى سفر المسلمين لمكة المكرمة، فهي مدينة خالية من المكاتب القنصلية مما جعل وسائل المراقبة غائبة أمام احتمال تعرض الحجاج للدعاية السياسية مما يزيد في انتباههم لخطورة المشاريع الاستعمارية في أوطانهم ويعزز روح مقاومتهم لها. فمنذ أن استقرّ احتلال فرنسا للجزائر أصبح أمر مسلمي تلك المستعمرة، وذات الأمر بعد ان احتلت تونس ثم المغرب، يشكل أحد تحدياتها الأمنية. لقد بعثت إدارة خاصة بحجاج كل مستعمرة تهتم بوثائق سفرهم ووسائل نقلهم ومراقبتهم بالتعاون مع أعوان قنصليتها في جدة. وقد ضمنت تلك السياسة الفرنسية مستوى مقبولًا من رقابة الحجاج في البقاع المقدسة وهو الهدف الأساسي لتلك السياسة. كما وفرت المترجمين والجنود العاملين تحت العلم الفرنسي للبعثة العسكرية الفرنسية إلى الحجاز زمن الحرب الكبرى (سوف نتناول تلك البعثة في الفصل الأخير). ومن الجوانب الأخرى لهذه السياسة موقف فرنسا من الدعوة إلى الجهاد سواء من طرف عبد الحميد الثاني أو حلفاءه الألمان، فقد عارضت فرنسا تلك الدعوة معتبرة أنها نوع من الدعاية (البروباغندا) العثمانية. لقد كانت ذريعة السياسية الاسلامية إحدى أساليب فرنسا لدعم موقعها في الحجاز حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وهي لم تكن منفردة في هذا المجال، فقد استعملت روسيا في النصف الثاني من القرن 19م المسيحيين الأرثدوكس رعايا الدولة العثمانية مطية لتتوسع في الأقاليم التي كانوا يستقرون بها. أما بريطانيا فكانت هي الأخرى تعتمد الإسلام ذريعة للسيطرة على الهنود المسلمين في أقاليمهم أو في الحجاز.

«السياسة البريطانية» في بلاد الحجاز قبيل تفكك الدولة العثمانية:

لماذا نمت الاهتمامات البريطانية أكثر من غيرها من القوى الأوروبية بمنطقة الشرق لا حقا الشرق الأوسط؟ فهذا الشرق الأوسط لم يمثل قبل القرن 19م إحدى مناطق الإمبراطورية البريطانية الذي كان في طور التشكل، لكنه تحول قبيل نهاية هذا القرن، وبشكل متزايد مع انزلاق الدولة العثمانية إلى التفكك، إلى مجال حيوي لتلك الإمبراطورية. لقد ساهمت بعض المستجدات الكبرى في هذا الشرق وخاصة منها افتتاح قناة السويس سنة 1869م وتصاعد التنافس الاستعماري في الساحل الغربي للبحر الأحمر على امتداد النصف الثاني من القرن 19م ثم اكتشاف النفط في بلاد فارس سنة 1908م في ازدياد أهمية هذا المجال لبريطانيا إذ شكل منطقة مفصلية بين العالم الهندي

وأوروبا[34]. وما تجدر ملاحظته أن التوسع البريطاني لم يتحقق دون صراعات سواء مع القوى المحلية أو مع الأوروبيين. وقد كان التنافس مع فرنسا الأكثر حدة منذ حملة نابليون وحتى احتلال مصر، في فصله الأول، ثم تواصل إثر الحرب الكبرى.

وقد ارتكزت السياسة البريطانية على هاجس متزايد لتجميع المعلومات الاستخباراتية حول شيوخ القبائل وعلاقات القوى المحلية بشبه الجزيرة العربية، في اليمن وعسير والحجاز ونجد وحائل وطرق التنقل خاصة بين شرقها وغربها. وبالعودة على سبيل المثال إلى وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية أو إلى الوثائق البريطانية عن الجزيرة العربية (نجد والحجاز)[35] يتبين الباحث الاهتمام الواسع لأعوان الاستخبارات وإداراتهم المشرفة بجمع المعلومات عن هذا المجال وسكانه. فعلى سبيل المثال يقدم الطبيب، المخبر محمد حسين، بعد إقامته سنة 1903م في الطائف لمتابعة الحالة الصحية للشريف عون الرفيق، للقنصل البريطاني ديفي (Devey) تقريرًا مطولًا عن علاقات أمراء الأشراف فيما بينهم وعلاقاتهم بالقبائل العربية، كما يتطرق لكفاءتهم ومن يمكن لبريطانيا أن تعول عليه في صورة عمل استقلالي عن الأتراك بالحجاز. ويختم تقريره بما يشبه التوصية بما مفاده «أنه وجد الشريف علي بك ذو ميل نحو الحكومة البريطانية، وإذا اهتزّ الحكم التركي في الحجاز في أي وقت في المستقبل القريب سيكون على بك رجلًا نافعًا جدًا، وإني أميل إلى الاعتقاد أنه إذا حظي بأقل تأييد معنوي من جانب الحكومة البريطانية فإنه لن يتردد في التخلص من نير الحكم التركي وقبول حماية الحكومة البريطانية»[36]. فمنذ بداية القرن 20م أصبحت السياسة العربية البريطانية تميل إلى استقطاع الحجاز من التبعية العثمانية وقد يكون هذا التوجه قد تبلور بعد تجربة احتلال مصر وتبين بريطانيا ضعف ردود الفعل العثمانية تجاه ذلك.

انقسمت السياسة البريطانية منذ بداية القرن 20م حول مصير شبه الجزيرة العربية السياسي والقوى المحلية المتصارعة بها بين تقديرات المكتب العربي الذي تأسس في القاهرة سنة 1916م والذي كان يدعم التواصل مع الشريف حسين ويرى أن مستقبل العلاقات مع الأشراف تضمن المصالح البريطانية في المنطقة البحر الأحمر بشكل عام، أما الحكومة الإنجليزية في الهند فكانت ترى في ابن سعود وحركته السياسية لا سيما بعد بسط نفوذه في الأحساء يمثل عنصرًا مطمئنًّا للسياسة البريطانية في الخليج ومشيخاته. وهذه الثنائية في الرؤية البريطانية عبرت عن حذق بريطانيا لسياسة الاحتمالات التي بنت عليها استراتيجية وجودها في المشرق العربي.

لقد انتظمت السياسة العربية البريطانية منذ الربع الأخير من منتصف القرن 19م من خلال تبلور أهدافها التوسعية الناعمة في الامبراطورية بموجب التزامات قانونية تجاه مناطق متعددة من المجال العثماني العربي، منها ترتيبات متعلقة بلبنان صدرت في سنتي 1861 و1864م. وقد أصبحت تلك الالتزامات قاعدة التفاهم البريطاني العثماني في القرن 20م، حيث دفعت تركيا للاعتراف بمناطق النفوذ البريطاني في المشرق العربي بموجب اتفاقيتي يوليو 1913م ومارس 1914م[37]،

كما أعلنت أنها ملتزمة بتصريح حكومة الهند(البريطانية) في سنة 1914م حول ضمان أمن البقاع المقدسة في الحجاز، وهو التوجه الذي أكدته مراسلات المندوب السامي البريطاني في مصر مع الشريف حسين سنة 1915م، وكذلك اتفاق ديسمبر من نفس السنة مع ابن سعود. ويتبين من خلال تلك التفاهمات المتقاربة زمنيا مدى ما بلغه نفوذ بريطانيا في شبه الجزيرة العربية والحجاز خاصة وإدراك إدارتها الخارجية أهمية ذلك المجال واستشرافها لتحولاته المستقبلية التي ستجعل منه أبرز مناطق الشرق الأوسط، وهي رؤية جيوسراتيجية لم تعادلها رؤى بقية القوى الأوروبية آنذاك، وهو وضع مكنها من أن تكون لها اليد العليا في مفاوضات سايكس بيكو سنة 1916م. والحقيقة أن هذه الترتيبات القانونية كانت قد أنجزت في أجواء الاستعداد للحرب أو أثناءها وهي بالتالي قد ارتبطت بأهداف عسكرية أمنية استهدفت هدوء الحجاز وما حولها من البلاد العربية كي لا تشكل ضغوطا إضافية أثناء العمليات الحربية لجيوش الحلفاء في الشرق الأوسط.

وقد كانت بريطانيا تقدر أهمية مكانة الحجاز ودور الشريف حسين وإن مرحليا في تشكيل سياستها العربية منذ بداية القرن 20م. وكان موقفها من وضعية الشريف حسين السياسية واقعيًّا، ففضلًا عن رعايته للأماكن المقدسة واهتمامه بمواسم الحج، فقد رأت أنه يحكم الحجاز حكما ذاتيا بشكل كبير[38] وأن ولاءه للأتراك كان أدبيًّا ومراعاة لتقاليد التبعية الموروثة.

وقد أوضحت الالتزامات البريطانية مع الشريف حسين أن الحجاز وبقية شبه الجزيرة العربية جنوب الإقليم في اتفاقية سايكس بيكو ما عدا عدن حيث أن بريطانيا تعترف بها منطقة عربية مستقلة، ولكنها لم تلتزم بتأسيس بدولة مركزية أو بتشكيل فدرالية دول، كما إنها لم تلتزم بالاعتراف بسيادة الشريف حسين ما وراء حدود الحجاز. وفي ذات التصور عملت بريطانيا على إضعاف تبعية الأعيان العرب للعثمانيين وقطع الطريق أمام التحاقهم بمعسكر المحور (ألمانيا والنمسا والعثمانيين)، واعتبروا، من خلال ما تجمع لهم من معطيات استخباراتية منذ نهاية القرن 19م، أن أسبابهم لذلك كانت وجيهة ويجب أن تتوج مساعيهم بالنجاح، وذلك ما أوضحه مجرى الأحداث لاحقًا منذ 1916م.

لقد كان النفوذ التركي ضعيفًا في مختلف جهات شبه الجزيرة: فاليمن كان في اضطرابات وتمرد شبه دائمة، أما ابن سعود فقد أسرّ للعون البريطاني شكسبير بأن سكان شبه الجزيرة تترقب الفرصة الملائمة للتحرر من الحكم التركي[39]. عند اندلاع الحرب سنة 1914 كانت فرق الجيش التركي متكونة من أربعة فرق موزعة بين الحجاز وعسير واليمن، وكانت فرقتان منها وعددها 12 ألف جندي موزعة في الحجاز وعسير. وكانت بريطانيا قد اعتبرت الشريف حسين من حلفائها قبل أن تعلن السلطنة دعاء الجهاد، وقد بدأت اتصالها المباشر والرسمي، وإن كان سريًّا، مع الشريف حسين عن طريق ابنه عبد الله سنة 1912 بحجة تحسين رعاية الحجيج وتدفقهم، توالت الاتصالات التي أصبحت معلومة باسم مراسلات حسين/مكماهون. والملاحظ أن بريطانيا كانت مرتاحة لميلاد دولة

عربية برعايتها، معتبرة أنها ستساعدها في التصدي للمصالح الفرنسية المتنامية في الشرق الأوسط ويحمي مصالحها من أطماع روسيا الصاعدة بعد انتهاء الحرب الكبرى، لذلك سارعت في أنحاز المفاوضات مع الشريف حسين وحرصت على صياغة بنوده.

وفي الواقع فإن كلا الطرفين كان في حاجة إلى انجاز الاتفاق، فالحرب أدت إلى اضطراب اقتصاد شبه الجزيرة وعرقلة الملاحة في البحر الأحمر فضلًا عن الحصار البريطاني لموانئه العثمانية وفي مقدمتها ميناء جدة. لقد تضررت تجارة الحبوب التي كانت توفر للحجاز وبقية شبه الجزيرة حاجياته وخاصة من الحبوب التركية والمصرية، وفي ميدان الحج أفاد مبعوث الشريف حسين في أغسطس 1914م إلى الضابط البريطاني، بالمكتب العربي بالقاهرة سكرتير اللورد كتشنر والمشارك في المفاوضات مع الشريف حسين، رونالد ستورز(Ronald Storrs) بعدم استقبال الحجاز أي حجيج من المستعمرات البريطانية وخاصة من مصر والهند وجاوة في ذلك العام[40].

وكان من الأهداف الأساسية للسياسة البريطانية في شبه الجزيرة التصدي لتطور نفوذ القوى الأوروبية الأخرى في هذا المجال وخاصة فرنسا وألمانيا، عدم السماح للقوى المحلية العربية في الحجاز ونجد وعسير واليمن وحائل أن تسمح لها بالاندساس داخل علاقاتها الثنائية صلحًا أو توترًا، وتبقى بريطانيا الدولة الوحيدة التي تتمتع بالقيام بذلك الدور. ومن الأهداف الأخرى عمل بريطانيا على إنجاز معاهدات مع القوى المحلية في شبه الجزيرة العربية، باستثناء الحجاز التي أنجزت تعهداتها البريطانية، من أجل أن تضمن علاقات مستقرة وتدخلها المباشر فيما لو تعرضت تلك القوى لاعتداء خارجي أو لقيام احتراب داخلي فيما بينها[41].

أما فيما يتعلق بالحجاز فإن بريطانيا كانت تعمل أيضا على ادماجه في التعاقد الثنائي الذي انتهجته، والتأكيد على منع الشريف حسين بن على من الانحياز، مع أن وضع الحجاز الديني الدولي لا يتماشى مع منع أميره من ترتيب علاقات دولية غير بريطانية، إلا أن رؤية بريطانيا دفعت إلى جعل تلك العلاقات متركزة في الميدان الديني (الحج والزيارات الأخرى للمقدسات)، ومن ثم تضمن نفوذها شبه المطلق على الحجاز أيضًا. ولم يكن يشغل بريطانيا في هذا الميدان غير المنافسة الفرنسية، التي وإن تراجعت في اتجاه شمال افريقيا وغربها وجنوب شرق آسيا، فإنها ظلّت مصرّة على تطوير نفوذها في المشرق العربي. لقد حاولت الرؤية البريطانية أن تقنع فرنسا بضبط مشاريع توسيع نفوذها في الحجاز وتحدّد علاقاتها به في مستوى مسألة الحج. لقد عارضت بريطانيا تطوير فرنسا لعلاقاتها الاقتصادية وفي مقدمتها تأسيس مصرف فرنسي في جدة[42]. لقد عملت بريطانيا على تنفيذ سياستها العربية أثناء محادثات الحرب الكبرى خلال سنتي 1916 و1917م، وضمنت موقف فرنسا الإيجابي نحوها. وقد زعمت أنها تحبذ أن يكون الحجاز تحت حكم مستقل وأنها لا تمانع في وجود علاقات دولية له كما التزمت بعدم التدخل في شؤونه الداخلية، ويبدو أن هذا الموقف قد استندت إليها أثناء انهيار سلطة الشريف حسين أمام الهجوم السعودي منذ 1922م، رغم طلبه

المساعدة منها. ومع أن الحكومة البريطانية في الهند قد اعترضت على بعض جوانب هذه السياسة إلا أنها أكدت على ضرورة منع فرنسا وإيطاليا اقتناص فرصة ضعف ثم غياب الدولة العثمانية لتملأ فراغها المحتمل في الحجاز كما في بقية ولايات المشرق العربي. ومن خلال هذا العرض الموجز للخطوط الكبرى للسياسة البريطانية في الربع الأول من القرن 20م يتبين أن بريطانيا كانت تواجه مشكلتين أساسيتين، الأولى داخل شبه الجزيرة العربية وتعلقت بالتنافس المحموم بين الشريف حسين وابن سعود حول حكم البلاد والثانية مواجهة الأطماع الفرنسية بدرجة أساسية وبعدها الإيطالية في إمارات شبه الجزيرة وحملها على الاعتراف بالمصالح البريطانية في المنطقة أثناء مؤتمر السلم بباريس.

وفيما يتعلق بموضوع الخلافة فإن بريطانيا كانت تميل إلى نقل امتيازات الخلافة بتسميتها خارج السلطنة العثمانية نحو العرب بشرط قبول الرأي العام الإسلامي لذلك، على أن يتحقق الفصل بين السلطتين الدينية والمدنية السياسة، وهو محاولة لنقل الصورة البريطانية لبلاد العرب في هذا الميدان بما يمكن أن يحقق علمنة مجتمع شبه الجزيرة العربية الذي كانت تتقاسمه، باستثناء مدن الحجاز واليمن وبعض الجيوب الأخرى خارجه المذهبية، السنية بطرفيها الحنبلية والشافعية من جهة والقبلية الكاسحة من جهة أخرى.

ازدواجية الاستراتيجيات: فرنسا وبريطانيا بين تنافس الأعداء وتوافق الفرقاء حول المشرق العربي والعثمانيين:

بعد أن التحقت بريطانيا إثر مؤتمر برلين سنة 1878م بمنطق السياسة الفرنسية تجاه ممتلكات الدولة العثمانية، أقدمت على احتلال مصر سنة 1882م وكانت خطوة ثقيلة لا على فرنسا أو مصر أو العثمانيين فحسب، بل كانت خطورتها قد طالت البحر الأحمر وبلاد الحجاز من حيث مستقبله السياسي ودوره في تنظيم مواسم الحج من خلال ما ورثه من خبرة وتقاليد في هذا الميدان وبرعاية عثمانية ومصرية قبل الاحتلال. غير أن ذلك الحدث المفصلي في تاريخ المشرق العربي قد أثار الفرنسيين بشكل حاد فجاءت احتجاجاتهم أشدّ مما أبدته السلطنة من خلال التنديد الصحفي والاحتجاج الدبلوماسي، فكيف يمكن فهم الموقف الفرنسي وهي التي كانت قد حصلت في المؤتمر المذكور على موافقة ضمنية باحتلال تونس؟

كانت إحدى الرسائل التي وجهها مصطفى كامل في مقاله الموسوم «نتائج احتلال إنجلترا لمصر»[43] إلى المصريين أولا ثم إلى السياسيين الفرنسيين تستهدف جذب اهتمامهم لمخاطر ذلك الحدث لا على المصالح الفرنسية فحسب، بل على الحجاز والبحر الأحمر فضلًا عن حوض النيل. وهو يعتبر أن القوة التي تسيطر على مصر تنفتح أمامها لإفريقيا وقبل ذلك سوريا وفلسطين، وتلك القوة التي تستحوذ على تلك البلاد وعن طريق سيطرتها على موانئ البحر الأحمر مثل السويس والقصير وسواكن تتحول وبدون منازع سيدة هذا البحر وتشكل تهديدًا مباشرًا ودائمًا لميناء مدينة جدة وبواسطة المدافع الجديدة، التي

تطور مداها، ستفرض خضوع حجاج مكة المكرمة لمشيئتها[44]. وسواء بالنسبة للعثمانيين أو للفرنسيين أو للروس، الذين كانوا يعملون على تمكينهم من المرور عبر الدردنيل والبوسفور إلى البحر الأبيض المتوسط، فقد حول احتلال مصر المشرق العربي والبحر الأحمر إلى منطقة «انجليزية جدا» (overly English)، كما ضمن لبريطانيا سلامة الهند مستعمرتها الكبرى.

وفي سياق أسبقية بريطانيا في ذلك التنافس العلني حول المشرق العربي والبحر الأحمر فإن استكمال بريطانيا هيمنتها على قناة السويس، بعد شرائها أسهم مصر، وهي الممرّ الذي أصبح يمثل أكبر طريق تجاري بحري يربط العالمين الأوروبي والأسيوي ويمر قرب مناطق جاذبة بثرواتها وأماكنها المقدسة وحضاراتها كفلسطين والحجاز، يضع مباشرة مصالح كل من فرنسا وألمانيا وهولندا أمام تحديات جسيمة. وقد أصبحت بريطانيا قادرة بواسطة فرقها العسكرية في موانئ جزيرة بريم وسواكن والسويس قادرة على قطع الطريق البحري للحج مما يمكن أن يلحق باقتصاد الحجاز وأمنه أكبر الأضرار. لقد كان البحر الأحمر ملكية عثمانية مفتوحة أمام مختلف جنسيات المسلمين من القارات الثلاث، فتحول إلى ما يشبه البحيرة الإنجليزية التي تقدم خدماتها أولا إلى الأساطيل البريطانية.

لقد تحققت هذه الوضعية لبريطانيا بسبب تغيير مبادئ سياستها العثمانية التي ظلت طويلًا تعارض المساعي الفرنسية، في السيطرة على بعض أجزائها في انتظار الاجهاز النهائي عليها، حيث لم تكن تمثل خطرًا على حقيقة وجود الدولة العثمانية. لقد أصبحت خطوات بريطانيا في مصر والبحر الأحمر واليمن وبشكل أخص في الحجاز يتجاوز بقية المنافسين تهديدًا وعداءً للعثمانيين فيما بقي لها من وجود في تلك البلاد. لقد تجلت تلك السياسة التوسعية من خلال خطاباتها والتزاماتها القائمة على «المراوغة والوعود الكاذبة حول الخروج من مصر بعد تهدئة أوضاعها فضلًا عن تهديد رجال الدولة البريطانية السلطان ذاته، وهو ما يبين بكل وضوح أن بريطانيا هي أول أعداء الدولة العثمانية شراسةً»[45]. فهل كانت تلك السياسة ضامنة لسلامة الحجاز وبقاعه المقدسة وسلامة حجاجه وتواصل مواسمه؟ بالتأكيد لم تكن بريطانيا تعمل كما هو شأن فرنسا على وضع اليد مباشرة على هذا الإقليم، ولكنها كانت تسعى بكل وسائلها بما فيها العسكرية إلى بلوغ تبعية الحجاز لها مع تمتعه بإدارته الذاتية، وفي تحقيق ذلك سوف تسحب إحدى القواعد الأساسية لشرعية السلطان ودولته، وذلك ما سيتحقق كما سنرى لاحقًا مع حكم الشريف حسين.

«السياسة العثمانية» لمواجهة القوى الأوروبية في الحجاز:

لقد شهدت السياسة العثمانية تجاه الحجاز ولا سيما مع الحكم الحميدي ثم الاتحاديين، تحولات عميقة، كان من أهدافها تحقيق مركزية الحكم العثماني بهذه الولاية التي تبلورت مكانتها المهمة منذ النصف الثاني من القرن 19م للأوروبيين كما للعثمانيين. فالحجاز بلاد البقاع المقدسة مثّل القاعدة الرمزية لشرعية سلاطين بني عثمان لدى العالم السني، وكان أي اهتزاز لهذه القاعدة يمثل خطرًا غير محسوب العواقب ومن ثم كانت تبعيته المباشرة في قرن الصعوبات ذاك يعدّ الوضع

الأمثل لدى العثمانيين. ولكن المركزية كان لها سهم آخر يتوجه للنفوذ الأوروبي في الحجاز وبالتالي تمنح السلطة العثمانية إمكانية ترتيب علاقاتها بما ترضاه خاصة مع بريطانيا وفرنسا ذات النهم الاستعماري. لقد كان أبرز تلك التحولات السياسية التدخل العثماني بشكل أكثر مباشرة في مؤسسة الشرافة بمكة المكرمة ومحاولة مسكها زمام الصراع بين عائلات الأشراف المتنافسة.

ومن ناحية أخرى بلغت تلك التحولات مع الاتحاديين إلغاء امتيازات التي تمتع بها سكان الحجاز. فتقديرًا لمكانة الحجاز الدينية لدى المسلمين ولضعف موارده المحلية سنّ العثمانيون امتيازات الضرائب والتجنيد بينما أبقوا على أداء الجمارك الذي تعلق أساسًا بالتجار الأجانب الذين يحلون بموانئ الحجاز وخاصة جدة. وفي حقيقة الأمر فإن الأشراف فرضوا ضرائب غير مرتفعة على المواشي وعلى قوافل الحج[46]. وتعلّق الامتياز الثاني بالإعفاء من التجنيد لسكان مدن الحجاز وبواديها.

وقبل ذلك كان العثمانيون قد داهمتهم الخشية من كثرة تدفق الحجاج وخاصة منهم الهنود على الحجاز وامكانية استقرار الكثير منهم في مكة أو جدة رغم جهود ترحيلهم عقب انتهاء الموسم. ولئن لم ترتق أهداف السياسات العربية الأوروبية إلى التخطيط لاستعمار الحجاز كبقية الولايات العربية التي شهدت ذلك المصير، خشية انتفاضة العالم الإسلامي وليس العثمانيين وحدهم ضدّ ذلك وما سيؤججه ذلك العمل من كراهية للفرنسيين والبريطانيين، إلا أن تلك كانت تخطط لتحويل الحجاز إلى التبعية الوثيقة لها. لقد واجهت الإدارة العثمانية ذلك التدفق وما يرافقه من أخطار بفرضها عقوبات على كل من يصل إلى الحجاز دون جواز سفر تصل إلى 400 قرش على أن تتكفل القنصلية البريطانية بجدة استخراج الجوزات المطلوبة[47].

حينما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة سنة 1876م كانت الأوضاع العامة للإمبراطورية السياسية منها والمالية قد ازدادت تدهورًا، كما تقدم فيها تأثير القوى الأوروبية وحركتها الاستعمارية. وكان طابع الحكم المطلق الذي تمسك به السلطان قد سبب كثرا من المتاعب السياسية والاجتماعية، ويبدو أنه قد وجد في أفكار جمال الدين الأفغاني، الذي سبقه في بثها في إسطنبول خاصة، وأساسها الدعوة إلى تأسيس جامعة إسلامية تواجه الخطر الأوروبي الاستعماري مع تجديد الحياة الشرقية المادية واقتباس ما بلغته المجتمعات الغربية من تقدم في هذا الميدان. لقد وجد السلطان عبد الحميد الثاني في أفكار الأفغاني دعمًا لوضعه السياسي التقليدي أمام روح التحرر التي اكتسحت فئات واسعة من المجتمع التركي وخاصة الاسطنبولي، لذلك راهن على تلك الدعوة لتكريس الوازع الديني وإعادة نفوذ المؤسسة السلطانية لدى الرعايا المسلمين. وقد ذهب السلطان في هذا الاتجاه إلى حدّ العمل على تحويل السلطنة إلى «دولة خلافة» وهو خليفتها[48]، وإن كان ذلك في مستوى الدعاية السياسية فحسب، إذ رغم اعتماده سياسة التقشف والزهد وتشجيع التعليم الديني ورجاله وخاصة الوعاظ وتوزيع الصدقات واستمالة بعض أشراف مكة لهذا النهج السلطاني[49]، فإن مشروع الخلافة لم ير النور حقيقة.

لم تمنح الأحداث المتتالية والمزدحمة هذا المشروع السلطاني النجاح، فضغوطات القوى الأوروبية خاصة بعد التحاق ألمانيا بها وحركة رواد الإصلاح التركي التي تطورت إلى حركة الشباب التركي في القرن 20م، فضلا عن بروز تيارات النهضة العربية الفكرية ثم السياسية كانت من أبرز عوامل الإخفاق. عبر عناصر هذه اللوحة المختصرة يمكن القول إن السياسة العربية العثمانية منذ الربع الأخير من القرن 19م كانت تقودها الرغبة في إعادة التنظيم السياسي لولايات المشرق العربي سواء بإعادة تقسيم الولايات كما حصل في ولايات الشام التقليدية (حلب وسوريا) والعراق، بينما كان نصيب الحجاز دعم الوجود الإداري والعسكري التركي وذلك من أجل تحقيق العودة إلى مركزية الحكم العثماني وإبعاد خطر الحركات الدينية عنه وخاصة الوهابية والسنوسية.

وبالعودة إلى تاريخ الحجاز في هذه الفترة نتبين كما عرضنا في الفصل الأول أن أوضاعه الإدارية والسياسية قد اتسمت بما يلي:

- توتر الصراع الداخلي بين أمراء الأشراف على شرافة مكة المكرمة والتمتع بامتيازاتها المباشرة وغير المباشرة. وقد أضرّ ذلك الوضع بمكانة الشرافة وأضعفها أمام الوالي التركي وإدارته، فتراجعت صورة الحكم الذاتي في الحجاز لفائدة الإدارة العثمانية.
- توتر العلاقات بين الوالي العثماني وأعون إدارته وفرقه العسكرية مع معظم أعيان الحجاز وخاصة بعض شيوخ القبائل الكبيرة كحرب.
- بروز الحضور الأجنبي في الحجاز سواء من خلال دور القناصل الذين التحق بهم الهولنديون والروس وغيرهم، أو من خلال دور الأساطيل التجارية والحربية في البحر الأحمر وموانئه وخاصة السويس، وجدة، والحديدة، وعدن. وقد كانت سياسة عبد الحميد الثاني في الحجاز الرامية إلى تحجيم الدور السياسي والاجتماعي لأمراء مكة المكرمة مناخًا مناسبًا لتوسع الحضور الأجنبي في الحجاز.
- ازدياد تأثير الهنود في مواسم الحج بواسطة الدعم البريطاني بعد تحول الهند إلى مستعمرة بريطانية وكذا الشأن بالنسبة لتأثير مسلمي مستعمرات فرنسا وخاصة منهم الجزائريين.[50]

ولتغطية الأهداف البعيدة للسياسة الحميدية تجاه أشراف مكة ومكانة الحجاز لدى الرأي العام الإسلامي انتهج السلطان عبد الحميد الثاني سياسة خاصة بالحجاز ذات أبعاد «إصلاحية» كانت أهم ملامحها:

- إنشاء سكة الحجاز، وقد استغرق العمل به ببلوغه المدينة المنورة بين 1900 و1908م.
- الاهتمام بحالة الحرمين واصلاحها وحث أمير مكة المكرمة والوالي على مزيد العناية بالحجاج.
- رصد مزيد من الأموال لحماية طريق الحج من البدو.[51]

والحقيقة أن لهذ السياسة أكثر من هدف، فمن ناحية دعم مكانته لدى المسلمين بوصفه حامي حمى الحرمين ومن ثم دعم الرابطة الإسلامية وجذب انتباه شعوبها نحو فكرة الجامعة الإسلامية. ومن ناحية أخرى فإن سكة الحديد ستخدم أولا الأغراض العسكرية التركية في المنطقة كما ستنقل بشكل أكثر فعالية أنباء عناصر الاستخبارات التركية والأجنبية وكذا موقف أعيان الحجاز من السلطنة، وهو ما يحقق مزيدا من الرقابة وسرعة في التدخل حيث أصبح الطريق البري أفضل من البحر الذي كان يستغرق حوالي اثنتي عشر يوما بين ساحل الشام والحجاز بينما أصبح السفر برّا لا يستغرق أكثر من 4 أو 5 أيام. أما خدمة الحج ومواسمة فتأتي في مرتبة ثانية.

تطورت مؤسسة الشرافة في مكة المكرمة لتصبح المنافس الأول لممثلي النظام العثماني خلال النصف الأول من القرن 19م وما يليه. ففضلًا عن مسؤوليته الدينية ورعاية مواسم الحج كان نفوذ أمير مكة يعم معظم بوادي الحجاز وقبائله، بل توقره قبائل عربية أخرى خارج ذلك المجال. أما مداخيل تلك المؤسسة ففضلًا عن الصرة التي ترافق سنويًّا محمل مصر فإن التصرف في موارد أوقاف الحرمين في نواحي العالم الإسلامي يعود له إلى جانب الهدايا والهبات التي كان يقدمها وفود الحجاج سنويًّا[52]. لقد كسب أمير مكة مكانة سياسية غير هينة تتجاوز مكانة مختلف ولاة الدولة العثمانية في البلاد العربية باستثناء محمد علي في مصر، فهو يتبع مباشرة الصدارة العظمى كما قضى بروتوكول الدولة أن يكون أمير مكة بعد الصدر الأعظم ومحمد علي. وحتى عندما كانت الأوضاع تقضي بإبعاد أحد زعماء للإقامة في إسطنبول كما حصل مع الشريف حسين بن على وغيره، كان يلقى الاحترام والإقامة اللائقة بمقامه الرمزي.

كانت امتيازات الشرافة المادية والرمزية وراء الصراع المتواصل بين عائلات الأشراف وأجنحتها كآل بركات وبني زيد، إلا أنها لم تكن مجرد صراعات داخلية صرفه فالسياسة العثمانية في الإقليم كثيرًا ما كانت تندسّ في ذلك الصراع لتعديل موازين القوى لصالحها وإن بعزل أمير مكة كما حصل مع الشريف عبد الله بن محمد بن عون سنة 1877م أو عبد المطلب بن غالب سنة 1881م، ومنذ هذا التاريخ ظلّت إمارة مكة في بني عون حتى انتصار السعوديين وضم الحجاز سنة 1925م[53] . والملاحظ أن الحجاز كان في حالة تبعية للسلطنة العثمانية عبر مصر طوال العثماني الأول ولذلك كانت وضعيته الإدارية أقرب إلى الحكم الذاتي الذي ترسخت في ظله مؤسسة الشرافة، لكن العودة إلى الإدارة المباشرة في العهد العثماني الثاني أثار توترات سياسية مع تلك المؤسسة حيث تصاعد تنافسها مع الوالي العثماني وأعوانه منذ الربع الأخير من القرن 19م مع الشريف عبد المطلب بن غالب والشريف عون الرفيق، وتواصل الأمر حتى عهد الشريف حسين بن علي.

لقد عززت السلطة العثمانية مكانتها في الحجاز بتوسيع صلاحيات ولاتها ودعم فرق جندها، ولكنها حاولت الابتعاد عن تفجير الصراعات مع أمراء الأشراف والسماح لهم بإدارة ما يعود لهم من مسؤوليات في الحجاز، حتى وإن كان يشوبها الظلم والتجبر كقانون أبي نمى[54] أو سياسة عون

الرفيق مع الحجاج أو مع الأهالي، دون معارضة مباشرة. إلا أن العثمانيين كانوا يخشون فيما يبدو من ميل أمراء الأشراف إلى إحدى القوى الأوروبية، إذ هناك من برر اغتيال الشريف حسين بن محمد بن عون قبيل وصوله إلى جدة سنة 1880م بوجود علاقات سرية بينه وبين بريطانيا، كما كان أحد مبررات الوفد الذي سعى لعزل الشريف عبد المطلب بن غالب لدى السلطان عبد الحميد الثاني علاقته الجيدة لحدّ الصداقة مع الانجليز[55]، كما ظلت هذه الشبهات تقلق الإدارة العثمانية أثناء إمارة الشريف حسين بن على، والذي كانت له اتصالات بالبريطانيين عبر سفارتهم لما كان مقيمًا في إسطنبول[56]، والذي سعى لجعلها علاقات علنية للتعاون حول مشروعه السياسي.

مثلت إذًا مؤسسة الشرافة مجالًا مثيرًا للإدارة العثمانية المركزية في الحجاز، إذ لم تنته منها الصراعات المحلية فيما بين أمرائها أو مع الولاة العثمانيين من ناحية كما شابها اتهام التعاون مع القوى الأوروبية وخاصة بريطانيا، وهو الأمر الذي كان يزعج العثمانيين. لذلك كان تدخل السلطة العثمانية في مسؤوليات أمير الشرافة أو صاحبها متواترًا كلما رأت ذلك ضروريًّا لمصلحة أمن النظام بالحجاز والدولة، لقد تعدد عزل أمراء الشرافة ونفي البعض منهم أو تسمية المنفيين في اسطنبول لذلك المنصب، بما يؤكد أن السلطنة كانت تمسك بمصير ذلك المنصب الذي فقد إلى حدّ كبير تأثير ولاية مصر وسوريا في العهد العثماني الثاني كما فقد في رأي البعض جانبًا مهمًا من استقلاله الذاتي[57].

لقد دفعت هذه الظروف السياسية الجديدة أمراء أشراف الحجاز تدريجيًّا إلى توسيع معاملاتهم مع القوى الأجنبية وخاصة منها البريطانية والفرنسية وذلك مع محافظتهم على تلك التبعية الاسمية والمرنة للسلطان العثماني الذي لم تكن إدارته قادرة على مواجهة الحضور الأجنبي في الحجاز كما في مختلف ولايات المشرق. لقد ضمنت تلك القوى امتيازات تمتع جالياتها فضلًا عن حرية التنقل في تلك الولايات بالإعفاء من الضرائب وتجارها من رسوم الجمارك وخضوعها للقضاء القنصلي دون غيره وبالتالي فإنهم، ودون اعتبار التجاوزات، لم يخضعوا للقوانين العثمانية رسميًّا. وفي ظلّ تلك الظروف واجهت بريطانيا فكرة الجامعة الإسلامية عند العثمانيين ولاحقًا النداء إلى الجهاد الذي اقترحه الألمان على السلطان بينما كانت بريطانيا إحدى الدول التي ستعلن موافقتها الشريف حسين فيما لو أعلن الخلافة في الحجاز.

والجدير بالملاحظة أن علاقة الأمراء الاشراف ورغم تبعيتهم البائنة للسلطنة فإن بعض تحركاتهم كانت تخترق تلك العلاقة التقليدية التي كانت تخضع للرقابة العثمانية العلنية والسرية. فالشريف عبد الله ابن محمد كان يتصل بالفرنسيين بهدف مساعدته ودعوتهم للاستثمار في بعض المشاريع التي يمكن أن تفيد المجتمع الحجازي، ومع أن ذلك المسعى لم يسفر عن نتائج ملموسة إلا أن علاقة فرنسا بالأشراف ظلّت مسترسلة حتى الشريف حسين بن علي، الشيء الذي كان يقلق الإدارة البريطانية في مصر والتي كانت ترسل بعض عيونها من حين لآخر لاستجلاء الأمر. وفي هذا الشأن

ومع الحذر مما ورد على لسان بعض قناصل فرنسا حول وضع النظام في الحجاز، فإن مختلف فئات المجتمع الحجازي وخاصة المجتمع البدوي كان أكثر انقيادًا لأمراء الأشراف وخاصة منهم الشريف حسين، وكان ذلك أحد مؤشرات العداء لأعوان الإدارة التركية وضباطها.

أما إذا عدنا إلى حقيقة انعكاسات إنشاء قناة السويس وتشغيلها فقد كانت متشعبة ومتعددة، ومما لاشك فيه أنها أثرت على علاقة السلطنة بولايتها الحجاز. وكان أول مظاهرها أن وجدت الدولة العثمانية نفسها على هامش ذلك الإنجاز رغم وجوده في أهم ولاياتها، فلاهي ساهمت في تمويل المشروع ولا في إنجازه العملي ولا في ملكية جزء من أسهمه، وحتى حصة مصر اضطرت لبيعها لبريطانيا سنة 1875 جراء أزمتها المالية، وبالتالي كانت السياسات الأوروبية حول القناة تهمش المصالح العثمانية كما تبيّن في المباحثات الدولية سنة 1885م حول تنظيم الملاحة وحقوق مرور السفن في القناة. إلا أن إدارة عبد الحميد الثاني ناورت كثيرا من أجل الحصول على بعض الامتيازات. وقد تركزت مطالب العثمانيين على ما يلي:

- حرية مرور السفن العثمانية في القناة وإعفائها من القيود العسكرية والرقابة وخاصة فيما يتعلق بنقل جنودها للدفاع عن الحجاز واليمن.
- التمسك بالوضع التاريخي لمصر على أنها ولاية عثمانية، أما الوجود البريطاني فهو مؤقت وليس له القاعدة القانونية الساندة.
- تمثيل حكومتي السلطان ومصر في اللجنة القنصلية الأوروبية التي تتولى الاشراف على سير الملاحة وضبط الامتيازات في القناة[58].

ولئن كان وضع الدولة العثمانية في هذه المسألة بمثابة «الأيتام على موائد اللئام»، فقد حققت بعض الخدمات المفيدة من القناة وخاصة في مجال نقل جنودها إلى الحجاز واليمن وسرعة انتقال الأخبار والمراسلات والزوار بين إسطنبول والحجاز. لقد كانت الطرق البرية الطويلة عبر الشام وصحاري شمال الجزيرة مسالك النقل التقليدية، وقوافلها الضخمة ومستلزمات أمنها ومؤنها ثقيلة التكلفة وبطيئة الحركة، فالخبر أو نقل فرق الجند كانت تحتاج أشهرًا لبلوغ الحجاز بينما قلص النقل عبر القناة ذلك إلى أسابيع محدودة (معدل ثلاثة أسابيع). ولقد استثمرت إدارة السلطان عبد الحميد الثاني تلك الظروف الجديدة لتزيد من تدخلها في ولاية الحجاز ودعم أعونها الإدارية على حساب إمارة الشرافة حتى بداية عصر الشريف حسين.

أما داخليًا فقد تكاثرت مشاغل الإمبراطورية سواء منها السياسية وبروز الصراع العلني بين دعاة التجديد والرافضين لذلك مما منح القوى الأوروبية وخاصة فرنسا وبريطانيا وروسيا وألمانيا فرص التدخل المباشر في ذلك، كما انكشف صراع تلك الدول حول تنفيذ المشاريع الاقتصادية الكبرى التي عزمت الإمبراطورية على انجازها مثل مواصلة تحديث الجيش العثماني وإنشاء سكة حديد بغداد،

التي حصل على امتيازها قيوم الثاني حاكم ألمانيا أثناء زيارته للسلطنة سنة 1898م، فضلًا عن تطوير بعض الموانئ. وفي تلك الأثناء تكثف توسع الصراع الأوروبي حول بقية ولايات الإمبراطورية مما حدّ من قدرة العثمانيين على المتابعة الدقيقة لشؤون تلك الولايات وفي مقدمتها الحجاز، ولعل ذلك الميل العثماني نحو ألمانيا

واعتمادها الإصلاح العسكري وتنفيذ بعض مشاريعها والاقتراض المالي، كان من أجل الحدّ من هيمنة النفوذ البريطاني والفرنسي في الأسواق العثمانية ولدى نخبها الفكرية والسياسية التي أصبحت منذ الربع الأخير من القرن 19م منافسة حقًا لنمط الحكم السلطاني وتواصله، فضلًا عن أن السلطان عبد الحميد الثاني كانت تخامره الشكوك حول سياسة بريطانيا العثمانية، لا سيما إثر احتلالها مصر، ولربما بلغه أنه من بين مشاريعها الحجازية مساندة بروز نظام خلافة عربية إسلامية برئاسة أحد أمراء الأشراف عندما تصبح الفرصة سانحة. ويتجلّى ذلك الهاجس في ازدياد اهتمام الإمبراطورية بأمن الحجاز ودعم فرقها العسكرية به وتعزيز الوالي التركي وأعوانه بما حقق لها تبعية الحجاز بدرجة كبرى على حساب حكمه الذاتي الذي عرف به قبل القرن 20م.

ولكي نتجاوز صور الوهن الاقتصادية والسياسية نستعرض بعض أحداث العمليات العسكرية في منطقة الحجاز واليمن بين سنتي -1906 1908م، وهي صور شديدة التعبير عن صعوبات الإمبراطورية في هذا الإقليم. خسر الجنرال فايز باشا سنة 1906م مواجهته أمام الإمام محمد بن يحيى وانسحب من صنعاء بعد تكبده خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد. وقد نقلت الصحافة الأوروبية تلك الأنباء مما دعا السلطان إلى تكليف السفير العثماني في باريس منير باشا إلى تكذيب تلك الأنباء الصادمة[59]. وفي عسير والمخلاف السليماني خسرت الفرق التركية بقيادة الجنرال يوسف باشا المعارك سنة 1906م، وفي السنة الموالية تكبد الجنرال خسارة 7 فرق من جملة 12 فرقة وانسحب إلى القنفدة[60]. أنهكت تلك المواجهات العسكرية الفرق التركية دون حتى سنة 1908م دون نتائج حاسمة، وهي من الأحداث التي أثارت سخط الأتراك في إسطنبول وساهمت في ثورة الشباب التركي. أما سياسيًا فقد أسس الفرنسي أوجان يونغ مع نجيب عزوري في باريس سنة 1907م مجلة الاستقلال التي نشرت في نفس السنة رأي عضو الجمعية الملكية لأسيا الوسطى بلندن أرشيبالد دوون (Archibald Dunn) حول الاستقلال العربي[61].

هل تمكنت حكومة الشباب التركي من تهدئة الأوضاع في المنطقة العربية؟ كانت الحجاز المنطقة الوحيدة التي بدت هادئة بينما تمكنت الحركة السعودية حتى 1910م من السيطرة على معظم وسط شبه الجزيرة. وقد أقلق هذا الوضع الباب العالي بشدة فأبرق لوالي دمشق يطلب منه تكوين فرق من الدروز ورجال قبائل بادية الشام لمواجهة حركة ابن سعود، لكن تلك العناصر تهرّبت من المهمة بما يحيل على أن الأوامر التركية لم تعد مطاعة كأيام المجد الامبراطوري. وكان الخيار لمواجهة تلك الوضعية سنة 1913م على شريف مكة لكنه طلب 100 ألف جنيه لإعداد

الحملة وهو ما لم تكن خزينة الدولة قادرة على توفيره[62]. وقد زادت هزائم الحرب التركية الإيطالية في إيالة طرابلس سنة -1911 1912م والحرب في البلقان سنة 1912-1913م الأوضاع المالية والعسكرية للأتراك تدهورًا وصورة الإمبراطورية تلطيخًا لدى العرب خصوصًا. أما الهدوء الحجازي فلم يكن غير الحالة التي تسبق العاصفة، إذ كان الشريف حسين وحلفائه وخاصة الانجليز يرتبون حدث «تأسيس المملكة العربية واستقلالها».

إن المتفحص للحقبة الأخيرة من تاريخ العثمانيين يتوقف عند تواضع نتائج محاولات التصدي للقوى الأوروبية لا سيما في المشرق العربي. فلا الدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي نادى بها الأفغاني ونشرت مبادئها عدة صحف في مقدمتها مجلة المنار المصرية أتت أكلها وأوقفت على الأقل النهم الاستعماري الذي كان يهدد التوابع العربية للدولة العثمانية. ولا التلويح بالعودة إلى نظام الخلافة «الحقيقي» قد أعطى للإمبراطورية تعزيزا وفاعلية تجاه مخططات الاستيلاء الأوروبية. ولا مشاريع التحديث وخاصة في ميادين النقل والاستثمار المالي والإصلاح العسكري على النمط الألماني خاصة كانت له النتائج المرتقبة لنهضة الإمبراطورية ومجتمعات المشرق العربي. لقد سمحت تلك الظروف للنخب العربية في سوريا والحجاز بضرورة التفكير في مستقبل بلادهم السياسي، ومن ثم برزت آمال تشكيل وحدات سياسية عربية كان أبرز من قادها الشريف حسين في الحجاز ورواد النهضة العربية في دمشق وبيروت.

حضور روسي ضعيف المنافسة في الحجاز لكنه متيقظ لأدوار المنافسين الأوروبيين:

افتتحت روسيا القيصرية قنصليتها في ولاية الحجاز سنة 1890م، وقد تميزت الدبلوماسية الروسية في هذه المرحلة بالترابط الوثيق بين الغايات السياسية والقيم الدينية، ولذلك لم يكن من السهل على قيادة وزارة الخارجية الروسية آنذاك اختيار تعيين أو عدم تعيين مسلم في منصب القنصل بمدينة الحجاز الرئيسية جدة[63]. وقد كان المحامي شاه مراد ميرازوفيتش ابراهيموف[64] (Shahimurad Mirasovich Ibrahimov) أول رئيس للبعثة الروسية القنصلية في الحجاز، ولكن الحظ لم يحالفه.

وقبل وفاته تلقى ابراهيموف «تعليمات سرية» من مصالح السفارة العليا للإمبراطورية الروسية في اسطنبول في 13 مايو 1891م، تضمنت تحديد الأهداف والمهام المسندة إلى القنصلية الجديدة. ومما جاء في تلك التعليمات أن الغرض من إنشاء القنصلية كان «بشكل أساسي حماية حجاجنا، الذين يذهبون لزيارة المزارات الإسلامية في مكة والمدينة كل عام». كما تم تكليف القنصلية بواجب مراقبة الحجاج وحمايتهم من تأثير «المتعصبين عديمي الضمير»، مع إيلاء اهتمام خاص للرعايا الروس، الذين أقاموا بعد الحج في الجزيرة العربية وانخرطوا في «سرقة المواطنين»[65].

إلا أن غايات الإمبراطورية الروسية كانت تتجاوز تلك التعليمات الضيقة، فقد كلّفت قنصليتها

بتوسع رعايتها إلى رعايا أسيا الوسطى، وهم أساسًا من المسلمين، الذين كانت معاملاتهم واحتياجاتهم ترتبط بروسيا، بما يحيل على استثمارها في تلك العلاقات التاريخية وحماية أصحابها من تأثير القوى الأوروبية من ناحية ومعرفة نيات وخطوات الامبراطورية العثمانية في استمالتهم إلى دعايتها حول الجامعة الإسلامية التي كانت أحد هواجس السلطنة آنذاك. كما اهتمت السفارة العليا بإسطنبول بمراقبة أولئك الأسيويين الذين انتقلوا إلى ولاية الحجاز، لأسباب سياسية وأولئك الذين يشتبه في تورطهم في أعمال غير ودية ضد روسيا بدعم من عدوها القديم، تركيا. إذ اعتبرت أن تأثيراتهم على الحجاج خلال موسم الحج قد يؤثر بشكل مباشر على مصالح السلطات الروسية في البلاد العربية، لذلك كان من اهتمامات الدولة الروسية آنذاك، معرفة تأثير زيارة البقاع المقدسة على حياة زوارها الروس. وفي جانب أخر كان الروس، منذ أن شارف القرن 19م على نهايته، منتبهين إلى عبد الحميد الثاني ومسألة الخلافة، وكان على قنصلهم بجدة أن يستوضح عن مدى أهمية وجدية تلقب السلطان العثماني بلقب الخلافة من جهة، وإلى أي مدى يمكن أن يحظى باحترام مسلمين من غير رعايا سلطنته يقيمون في بلاد وبيئات أخرى من جهة ثانية، ثم ما هي بعض تفاعلات أولئك المسلمين مع وضع السلطان السياسي كحاكم دولة تابعة للقوى الأوروبية.

فما هي دلالات هذه المهام القنصلية الروسية في جدة؟ تحيل تلك الانشغالات والمهام التي كلّفت بها القنصلية على أن روسيا كانت منشغلة بدعوى عبد الحميد الثاني لإعادة مكانة الخلافة وتمثيله لها بهدف تحفيز الشعوب الإسلامية على مواجهة التمدد الاستعماري فيما تبقّى من الممتلكات العثمانية، وحيث أن جماعات إسلامية متعددة تقطن جنوب الإمبراطورية القيصرية وأخرى تنتشر خارجها لكنها تخضع لنفوذها أن كثيرًا أو قليلا فهي عرضة لتلك الدعوى الحميدية وقد يستجيب البعض منها لدعايتها. أما مسألة الحج فقد اعتبرتها روسيا جانبا من علاقاتها الدبلوماسية مع العثمانيين لا يتوجب السهو عن مراقبته، فقد كان لديهم احتمال إثارة العثمانيين النعرات الطائفية وتعزيزها بين مسلمي امبراطوريتهم، وقد تنجح تلك السياسة وتثير قلقًا داخليًا لحكومة القيصر حيث فشلت الجيوش العثمانية في ذلك. لقد كان ضمان ولاء السكان المسلمين في روسيا لسلطة حكومة القيصر في فترة صعبة في بداية القرن 20م من انشغالات جميع الإدارات المسؤولة عن القضايا الإسلامية في الإمبراطورية الروسية.

في هذا السياق المتميز بتشعب العلاقات الدولية ومصالح القوى الأوروبية في بلاد العرب مع بداية القرن 20م، وليس من باب الصدفة، أن كلفت القنصلية في جدة فضلًا عن مهامها المذكورة أعلاه ببلورة صورة مفيدة عن «إجمالي قوة السلطان في الجزيرة العربية وفي الأراضي المجاورة لها»[66].

تجدر الإشارة إلى أن ملف السياسة البريطانية في شرق المتوسط قد استحوذ على اهتمام روسيا، فمنذ القرن التاسع عشر، كان الشرق الأوسط في نظر حكومات القيصر أولاً وقبل كل شيء قضية مرتبطة باللعبة الكبرى بين الإمبريالية الروسية والبريطانية. فبينما اتبع الروس سياسة توسعية تجاه

البحار الدافئة، سعى البريطانيون إلى إقامة حاجز واقي حول الهند البريطانية من خلال إنشاء مناطق نفوذ في إيران وأفغانستان ثم المنطقة العربية والبحر الأحمر. وفي بداية القرن العشرين شهدت تلك المنطقة إعادة صياغة لعلاقاتها مع روسيا، فحول بلاد فارس وقعت الاتفاقية الأنجلو-روسية في 31 أغسطس 1907م، والتي سوت خلافات المصالح بين القوتين المتنافستين في آسيا، وتم تقسيم البلاد الإيرانية إلى ثلاث مناطق: الأولى في الشمال تحت النفوذ الروسي، والثانية في الجنوب تحت النفوذ البريطاني وشملت الثالثة محايدة وهي منطقة طهران[67].

وبالإضافة إلى التعرف على قوة الأوضاع التركية في الحجاز، فإن روسيا كانت تتابع السياسة البريطانية وأساليبها لدعم نفوذها في الحجاز، لذلك وجهت القائم بأعمال قنصليتها مخايل نيكولسكي (Mkhail E. Nikolsky) للاهتمام بـ «السياسة التي تتبعها إنجلترا في هذا الاقليم»، من خلال ما عرضه بيان السفارة العليا في موسكو عن استغلال بريطانيا موسم الحج كوسيلة للتقارب بين رعاياها المسلمين ـ الهنود ـ والعرب، حيث كانت تسعى، من خلال ذلك الجمع المعتبر إلى تحقيق الدعم لموقعها في الحجاز، وبالتالي إخضاع الأماكن المقدسة لنفوذها وتبعيتها. لهذا فإن روسيا لم تكن مرتاحة وأنه « لا يمكنها تحمل مثل هذه الزيادة في أهمية إنجلترا في جميع أنحاء العالم الإسلامي وفي الشرق بشكل عام»[68]، لكن روسيا كانت تعلم، بخلاف فرنسا، أنها غير قادرة على تحدي بريطانيا في الحجاز، بل تعتبره أمر غير واقعي بعد ترسخت مصالح هذه الأخيرة في الإقليم وتجاوز وجود قنصليتها تأسيس القنصلية الروسية ما يزيد عن النصف قرن[69]، لكنها كانت تعتبر أن إعاقة نمو النفوذ البريطاني أمر ممكن للدبلوماسية الروسية.

لقد بدأت ملامح السياسة «الإسلامية» الروسية تتبلور في نطاق تطور علاقاتها الدولية وخاصة مع العثمانيين والفرنسيين والبريطانيين، وكان من قواعد تلك السياسة النظر بإيجابية للإسلام والاعلان عن رغبة الدولة الروسية في الحفاظ على مؤسسات العالم الإسلامي السياسية والثقافية التي ظلت تلائم حاجياته. كما كان كسب ثقة السلطان العثماني هدفًا آخر لتلك السياسة، وإن كان الأمر صعب المنال بعد تلك الحروب الدامية بين الامبراطوريتين. على أنه من الصعب توقع نجاح ذلك المسعى الروسي لتغيير طبيعة العلاقات مع إسطنبول التي سادتها العداوة والريبة لقرون. لكن يبدو أن روسيا رأت في التركيز على حماية هوية النظام الحجازي الحاكم (التركي) من محاولات إنجلترا لتغييره قد يجد لدى النخب المحلية وجزء كبير من السكان الاقليم الارتياح مما يشكل للدبلوماسية الروسية دعمًا ثمينًا.

والملاحظ أن القنصلية الروسية في جدة التي كانت تتبع، كما هو شأن بقية القنصليات الأوروبية، تعليمات الخارجية الروسية، كان مركز اهتمامها النفوذ البريطانية في الحجاز ولا يمكن أن يكون ذلك الاهتمام الروسي في معزل عن العلاقات الدبلوماسية العامة بين الدولتين وموقف بريطانيا المعارض لرغبات الروس في بلوغ المتوسط الشرقي عبر المضائق التركية من جهة ومنافستها الشديدة نفوذ

الروس في بلاد فارس خشية بلوغهم الهند عبر مسالك وسط القارة الأسيوية أو عبر الخليج الذي كانت بريطانيا قد رسّخت فيه علاقاتها ومصالحها التجارية والعسكرية قبل نهاية القرن 19م. في ذلك السياق المليء بتضارب المصالح أصبحت روسيا ترى أنه ليس هناك من شك في أن إنجلترا تطمع في الحجاز أيضًا وتعتبر أن لديها طرقا عديدة للسيطرة على هذه المنطقة. وقد هيأت ذلك في نظر القنصل الروسي، فمن الجنوب يمكنها التدخل من «خلال انتشار الانتفاضة اليمنية، وفي الوسط يمكنها إثارة الجماعات الساخطة في الحجاز على الأتراك، وربما حتى من الشمال «. وحتى في حالة هجوم البدو على محمل القافلة المصرية الذي سبق للقنصلية أن أبلغت سان بطرسبرغ وردود الفعل البطيئة للسلطات التركية عليه، كانت هناك آثار لمكائد بريطانية، يُفترض أن تعتبر كسبب للتدخل في ذلك الحدث[70].

وفي هذا السياق يلخص القنصل الروسي بجدة موقف بلاده من الوجود البريطاني في الحجاز مبينا التحديات الكبرى إذا ما تمكنت بريطانيا فعلا من الهيمنة الشاملة على المنطقة، ولأهمية ذلك نورد ما قاله القنصل: «وهل لدينا أي سبب يدفعنا إلى معارضة استيلاء الإنجليز على هذه المنطقة بوجه خاص، ما عدا التردد العام في السماح لهم بممارسة سياسة الغزو؟ ما هي مصالحنا في الحجاز؟ تجارية؟ ماذا؟ تجارة الكيروسين الضعيفة ولا شيء غير ذلك، على الرغم من أنهم قد يحصلون على سكرنا ودقيقنا وأخشابنا. أما من الناحية السياسية، فلا شك أن الحجاز ذو أهمية كبيرة بالنسبة لنا، ولا يمكن أن نكون غير مبالين بمصيره في المستقبل، إذ يأتيه كل عام ما يصل إلى عشرة آلاف شخص من الذين يؤدون فريضة الحج، ومعظمهم من أواسط آسيا للعبادة. وإذا كانت هناك الآن دلائل قوية تشير إلى أن الحجاج، من وجهة نظر سياسية، لا يستفيدون إلا القليل من خير الحج، فإن كل الدعايات الضارة ستزداد حتماً في ظل حكم الإنجليز. ولكن من الصعب أن نتمكن من حماية الحجاز من هجمات الإنكليز عندما سيحدث ما سيحدث. في سنة أو في نصف قرن - أمر يستحيل الجزم به، ولكن من المحتمل أن يكون من المستحيل منع سقوط أرض الحجاز المقدسة في أيدي الإنجليز»[71].

والراجح أن روسيا كانت تنظر بعين القلق المتواصل لدور بريطانيا في الحجاز، ولا يمكن فهم ذلك إلا إذا استحضرنا حالة الريبة المتبادلة بين الدولتين حول مستقبل العثمانيين وكيفية تفكيك امبراطوريتهم التي كانت وحدة ما تبقّى منها حتى الربع الأخير من القرن 19م تلقى الدعم السياسي البريطاني الذي كان يغطّي المصالح وترتيبات النفوذ. وهذا الوضع شجع العون القنصلي الروسي على استمراراً إبلاغه وزارة الخارجية عن تنامي نفوذ بريطانيا العظمى في الحجاز، فقد أعرب مثلًا في تقريره بعنوان «سري للغاية» بتاريخ 9 يوليو 1906م عن سخطه على المقال الذي نشر في مجلة «نيوتايم» حول هذا الموضوع، والذي جاء فيه أن روسيا قد تلقت نصيحة بإبرام معاهدة مع تركيا لضمان حرمة المدن الإسلامية المقدسة. وقد علّق نيكولسكي بلغته المجازية والساخرة أحيانا بقوله: «حسناً، ما الذي يمكن أن يقدمه التحالف مع تركيا، والتي يعود الفضل

في وجودها فقط إلى المسألة الشرقية؟ لنفترض أننا تحالفنا مع تركيا، وبعد فترة وجيزة قامت ثورة عربية. فإذا أيدتهم (العرب) إنجلترا علناً، فهل نجرؤ على خوض الحرب معها حتى بالتحالف مع تركيا؟ وفي مكان آخر ربما تكون إنجلترا ضعيفة أمامنا، ولكن يستحيل علينا أن ننافسها في الجزيرة العربية، ومن النادر أن يصل جيش كبير إلى جزيرة العرب عن طريق البر، ولن تسمح إنجلترا بذلك عن طريق البحر»[72]. وحتى إذا أبرمت روسيا تحالفها مع تركيا فلن يكون ذلك في نظر العون القنصلي مجديًّا، إذ أن بريطانيا لن تتدخل في الصراع علناً، بل ستدعم الانتفاضة سراً، كما فعلت في اليمن آنذاك.

وما يبدو ذو أهمية هنا هو السيناريو الافتراضي الذي أشار إليه العون الروسي والذي لا يمكن أن يكون قد فكر فيه دون مؤشرات حقيقية على أرض الواقع. فهو يفترض عمّا سيحدث لو أرسلت روسيا قواتها إلى الحجاز وفقاً للاتفاق مع تركيا فهل يستطيع الباب العالي منع التدخل العسكري البريطاني في شبه الجزيرة، وهل ستبقى القوى الأوروبية الأخرى محايدة عسكريا؟ لينهي افتراضه عمّا ستحصل عليه روسيا في الحجاز: «ربما يتبقى لنا عظمة واحدة بالنظر إلى وضعنا الحالي»، وبالتالي لا فائدة في نظره من التحالف مع تركيا للحفاظ على الحجاز، فبدون حماية قوية، يشعر بقوتها البدو لا يمكن تصور نظام ناجح في الحجاز. وفي تقديره النهائي فإن الوضع في الحجاز لا يجب أن يعالج باستعراض القوة العسكرية للقوى المتنافسة حوله وحول المنطقة عمومًا وتدخلها المباشر، بل في عدم التدخل العسكري. وعندئذ سيطرد العرب الأتراك من بلادهم، لاسيما وأن الإدارة التركية كانت تأخذ منهم بطريقة أو بأخرى أكثر من نصف دخلهم من الحجاج.

يبدو جليًّا، أنه قبل عشر سنوات من قيام الثورة العربية، يستحضر العون القنصلي إمكانية قيامها، مما يحيل على أن فكرتها كانت تختمر في مستوى الاحتمال وإن داخل استراتيجيات القوى المتنافسة في الحجاز ولم تكن مجرد فعل أُعدّ في سنوات قليلة قبل الحرب الكبرى كما توحي به الرواية البريطانية. كما تعتبر هذه إشارة إلى الثورة وجود بعض المؤشرات عن ظروف قيامها لدى هذا العون القنصلي شبه المتأكد من حدوثها.

ويبدو أن صعوبة التحدي لبريطانيا في الحجاز دفع بعض القناصل إلى التفكير في مفاوضتها على تمتع روسيا بمناطق أخرى بدل مصادمتها في الحجاز الذي كانت خيوط بريطانيا قد لفت رقبته بعناية[73]. لقد كان مستقبل الحجاز يشغل الدبلوماسية الروسية قبل الحرب الكبرى، وقد أبلغت السفارة العليا بالعاصمة الروسية التي تشرف مباشرة على النشاط القنصلي ابتزاز السلطات المحلية التركية في الحجاز للرعايا الروس ومنعهم من التجول بحرية في المدينة المنورة، لكن السفارة اعترفت بأن روسيا لم يكن في وسعها أن تؤثر في مجريات الأمور في الحجاز، كما أن تركيا التي يمكن أن يحتج لديها أصبحت نفسها ضعيفة التأثير هناك. ويعزو البعض من الروس ذلك الوضع إلى عدم وجود اتفاقية بريطانية روسية يمكن أن تسوى من خلالها شؤون الرعايا الروس في الحجاز. كما حدث

وأن تشكى القائم بالشؤون القنصلية الروسية من تمييز القائم مقام التركي لبريطانيا، فقد كان يأذن مثلا برفع أعلامها حيث يجب أن تكون بينما يتغاضى عن معاملة روسيا بالمثل بما يؤكد مكانة الانجليز الفضلى في جدة.

ويجدر التأكيد على أن الأرشيف السياسي الروسي حول الحجاز يوفر معطيات، لاسيما فيما يخص الحج والإدارة العثمانية، على غاية من الأهمية. ففي إحدى تقارير سنة 1905م ترد المعطيات التالية حول الحجاز:» لقد أكدت العديد من الوقائع استنتاج الدبلوماسي (نيكولسكي) بأن نفوذ الباب العالي في هذه الولاية النائية كان أضعف من المناطق الأخرى من الإمبراطورية التي كانت تُدار من اسطنبول. أما فيما تعلق بدور القوى الأخرى فقد ذكر ذات القنصل أن «من بين القوى الأخرى التي لها مصالح هنا (جدة)، بخلافنا نحن وإنجلترا، لا تزال هناك فرنسا (ما يصل إلى 5000 حاج) وهولندا (7000 - 8000 حاج). وتشارك النمسا أيضًا، على الرغم من أن عدد البوسنيين الذين يأتون إلى هنا كل عام يتراوح بين 500 و1000 حاج فقط. ويأتي في المتوسط من 2000 إلى 3000 شخص من بلاد فارس»[74].

أما الوضع الاجتماعي وخاصة لبدو الحجاز في ذات السنة فيعتبره القائم بشؤون القنصلية نيكولسكي على درجة من عدم الاستقرار وأن الأرض في الحجاز كانت مهيأة بالفعل «لكل أنواع الاضطرابات والقلاقل». فالبدو الذين كانوا مسلحين تسليحًا جيدًا، «كانوا مستائين من كل من الوالي والشريف لابتزازهم وقمعهم؛ ولم يكن أهل المدينة أقل استياءً». ولئن كانت بعض التقديرات مبالغ فيها، فإن الباحث يمكن له أن يستأنس بالمعتدل منها خاصة في موضوع علاقة الحجاز بالأتراك الحاكمين في الولاية[75]. وتماشيًا مع طبيعة الاستراتيجية الروسية التقليدية تجاه الدولة العثمانية فإن روسيا ظلت تعتبر أنه ليس من مصلحتها أن يعود الوئام التام بين العرب والأتراك في الحجاز، وأن فائدتها في استمرار الفوضى التي يمكن أن تضعف تركيا. ومن ناحية أخرى ترى روسيا أن إن وجود إمارة الأشراف ضمانة لعدم ضعف الخلاف والبغضاء بين الأتراك والعرب؛ بل إن وجود تلك الإمارة في حد ذاته هو بمثابة ردّ دائم وإن بشكل خفي على قوة الأتراك العلمانية التي استهانت الخلافة لقرون طويلة. لقد كان شريف مكة في نظر روسيا ووفقًا لسياسة الباب العالي أميراً حاكما لمكة، وهو الرئيس الروحي للجماعة الإسلامية ونائباً عن الحجاز بأسره. ولذلك عندما سرت بعض الشائعات حول احتمال إلغاء مؤسسة الإمارة من قبل الحكومة التركية لتصاعد منافستها لأعوان الإدارة التركية، اعتبرت روسيا، على لسان نائبها في جدة، أن إلغاء «حكم الأشراف في الحجاز لا يفيدنا في شيء»[76]. ويمكن القول أن روسيا كانت تعتبر أن سلامة مؤسسة الأشراف، ودون الأخذ بعين الاعتبار مسؤوليتها عن الحج، يمثل أحد قواعد الاستقرار في الحجاز، ذلك أن إنجلترا لن تعدم أن تستفيد من الاضطراب والتوتر السياسي بين القوى المحلية في الحجاز بذريعة أو بأخرى، مستغلة ربما استرجاع حقوق مصر المنتهكة التي قد عاني حجاجها من غيابها المؤقت.

لقد حافظت هذه الرؤية الدبلوماسية الروسية على استمراها طويلًا، ومع أن المشرق العربي شهد أحداثا سياسية واقتصادية متنوعة ارتبطت بتصاعد التنافس القوى الكبرى حوله فإن الدبلوماسية الروسية لم تحقق تقدمًا كبيرًا في مهام وأولويات الدبلوماسيين الروس في الحجاز. هل كان ذلك نتيجة كثافة العمل القنصلي البريطاني ومكتبيه العربي والهندي في شبه الجزيرة العربية وخاصة في الحجاز؟ أم كان ناتج عن ضعف تأثير المسلمين الروس في العمل القنصلي الروسي في الحجاز؟ أم كان بفعل اهتمام روسيا المتزايد بمناطق أخرى منافسة منها بلاد فارس ووسط أسيا؟ أم أن مصاعب روسيا المتزايدة في العشرية الأولى من القرن 20م والتي كان منها أزمتها المالية وهزيمتها أمام اليابان سنة 1905م قد أثرت هي الأخرى في ضعف ذلك النشاط القنصلي في جدة؟ نعتبر أن هذه العوامل مجتمعة قد تفاعلت وأثرت في صورة النشاط القنصلي الروسي في الحجاز، كما أن وجود عناصر محافظة ومؤثرة في وزارة الخارجية الروسية ولمدة طويلة مثل فلاديمير نيكولايفيتش لامسدورف (Vladimir Nikolaevich Lamsdorf) الذي عرف بمعارضته القويَّة للتفاهم مع بريطانيا العظمى بشأن تقسيم بلاد فارس إلى مناطق نفوذ إنجليزية وروسية، نسبيًّا قد ساهم في ذلك الوضع.

وفي الحقيقة فإن التوقعات الدبلوماسية الروسية في العهد القيصري، أي حتى قيام الثورة سنة 1917م، المتعلقة ببريطانيا والحجاز لم تتحقق. لكنها توقعات كان لها جانب من الصواب حول استيلاء كل من بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الأولى، بموجب اتفاقيات الحرب، على جزء كبير من المشرق العربي. وعقب تلك الأحداث الجسيمة (الحرب والثورة) فإن السياسة الخارجية لروسيا السوفيتية في المنطقة العربية قد احتفظت إلى حدّ ما بالاستمرارية مع سياسة روسيا الإمبراطورية، ذلك أن الدبلوماسيين السوفييت كانوا على دراية بأهم القضايا التي انشغلت بها الدبلوماسية القيصرية في الحجاز والمشرق العربي ، وقد يكون الموقف البريطاني المعادي بشدة للثورة الروسية، إلى حدّ المساهمة الفاعلة في الثورة المضادة، عاملًا مساعدًا على تواصل تلك الرؤية، وهو ما ساهم في فهم موقفهم الذي كان متعاطفًا مع التوسع السعودي باتجاه الحجاز ظنًا منهم أنه يضعف تطلعات الهيمنة البريطانية على الإقليم.

كانت أبرز القضايا التي شغلت القوى العظمى قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى بروز رأي مركزي واسع الانتشار بين عرب الشام وعرب الحجاز واليمن يلخص صحوة أمة العرب الذين يريدون سيادتهم على أوطانهم، ولم تعد هيمنة الأتراك المحبطة مقبولة لديهم. فهل كانت السياسة العربية التركية وحدها المسؤولة عن هذا الوضع السياسي الجديد؟ مما لا شك فيه فإن السياسات الأوروبية المتنافسة لا سيما منذ الربع الأخير من القرن 19م، كما استعرضنا بعض ملامحها في هذ الفصل، وتضخم نهمها الاستعماري قد زرع الريبة لدى النخب العربية وحملها على التفكير في الحجاز كما في سوريا على رفع راية الاستقلال على الأتراك، واعتماد سياسة تعاون مع القوى الأخرى. فإذا كان الشطر الأول من المعادلة كان في متناول التحقق بموجب الحالة السياسية والاقتصادية والعسكرية التي بلغتها الإمبراطورية مع حلول القرن 20م، فهل كانت الطاقات الذاتية للقوى السياسية

العربية وفي مقدمتها الأشراف في الحجاز تسمح بتحقيق النصف الثاني من المعادلة؟ سوف تمكننا الأحداث التاريخية التي أودعت الأرشيفات والبحوث من استجلاء بعض حقائق تلك الطموحات العربية خصوصا في الحجاز خلال الربع الأول من القرن 20م.

الخاتمة:

من خلال تتبع الموقف العثماني من الأطماع الأوروبية في الحجاز (1900- 1920م) توصلنا لعدد من النتائج المهمة والمتمثلة في:

- شكلت حملة نابليون بونابرت على مصر نقطة البداية في مرحلة جديدة في تاريخ المشرق العربي الذي كان خضوعه للدولة العثمانية بين الحكم الذاتي والحكم المشترك في بعض الولايات العثمانية.
- ضعف الدولة العثمانية شجع القوى العظمى في ذلك الوقت بريطانيا فرنسا وغيرها من التمدد ناحية الشرق وبسط سيطرتها عليه.
- الأوضاع الداخلية في الحجاز أسهمت في أن يشتد التنافس الاوربي حوله بغرض السيطرة عليه.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

- عمل المزيد من الدراسات والبحوث حول الأطماع الأوربية التاريخية حول الحجاز والبحر الأحمر.

الهوامش

(1) Blin. Louis. « Histoire des sources et sources de l`histoire », Une Histoire partagée :1 Sources françaises sur l`Histoire de L'Arabie. Hedjaz et Najd, 1839-1943. Publication sur Open Edition Books. Mars 2021, p20.

(2) Chantre. Luc. Le pèlerinage à La Mecque à lépoque coloniale (v. 1866-1940) : France- Grande-Bretagne Italie. Thèse Histoire moderne et contemporaine. Poitiers: Université de Poitiers, 2012.

(3) Al-Amr Saleh Muhammad. The Hijaz under ottoman rule (1869-1914). Riyadh Univ. Publications, 1978, p 170.

(4) Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia: Strategy. Diplomacy and Empire 1898-1918. University of Toronto 2012, p 71.

(5) Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia…Op…, cit, p 72.

(6) Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia… Ibidem, p 173. Op…, cit, p 173.

(7) Gertrude Bell Archive. "Diary of a Trip to Hayyil, 1914". Newcastle University Library.

(8) فريمو، جاك، فرنسا والإسلام: من نابليون إلى ميتران، ترجمة هاشم صالح، قبرص 1991، ص 124.

(9) فريمو، جاك، فرنسا والإسلام، نفس المرجع، ص 106.

(10) Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia: Strategy. Diplomacy and Empire 1898-1918. University of Toronto 2012, p 68.

(11) Moustafa. Kamel. Conséquences de l`occupation de l`Egypte par l`Angleterre. 2 ème édit. Paris 1899, p 5.

(12) يفسكي، بوندار، سياستان إزاء العالم العربي، موسكو 1975، ص 35.

(13) عثمان أباظة، فاروق، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918، القاهرة 1979، ص 460.

(14) مراسلة القنصل الروسي بالقاهرة أوردها العقبي، أحمد حسين، التنافس الانجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، الرياض 1430هـ ص 210.

(15) Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia…Op…, cit, p 261

(16) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج 2، ترجمة: كمال اليازجي، الطبعة الثالثة، دار الثقافة ،بيروت ، د-ت، ص 318.

(17) سيد. يو. أ، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد أحمد عبد الرزاق، القاهرة 1309 هـ.

(18) Cras. Anne-Sophie. « Les Archives du poste consulaire de Djeddah (1850-1943), in Une Histoire partagée : Sources françaises sur l`Histoire de L`Arabie. Hedjaz et Najd 1839-1943. Publication sur Open Edition Books. 29 Mars 2021, p 25.

(19) Petriat. Ph. “Jorelle, Depui et Maigret, trois visages de la présence française en Arabie du XIXe au XXe siècle”. In Histoire partagée : Sources françaises sur l’Arabie. Hedjaz et Najd 1839-1943. Publication sur Open Edition Books 2021. P 21.

(20) وثائق الخارجية الفرنسية، رسالة قنصل جدة فيلجونس دي فريسنل (Fulgence de Fresnel) بتاريخ 23 حزيران- يونيو1847م عدد 5 ف.

(21) كانت فرنسا تواجه في هذه الفترة انتفاضة شعبية في تونس وهي انتفاضة مقبرة الجلاز حول رفض المتجنسين بالمقبرة الإسلامية وأحداث التراموي شركة النقل الإيطالية داخل العاصمة التي أخذت تجبر الأهالي على استعمال عرباتها في تنقلهم داخل العاصمة. هذا فضلا عن مواجهتها شبه الدائمة للانتفاضات الشعبية في الجزائر.

(22) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية: تركيا، مجلد 116، تقرير بتاريخ 29 يناير 1912م

(23) نفس المصدر، تقرير بتاريخ 30 مارس 1912م.

(24) ألحق السفير نص تقرير ستورز بمراسلته المذكورة إلى رئيس وزرائه دعما لما أشار إليه من مخاوف من الرؤية البريطانية في المشرق العربي.

(25) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية: تركيا، مجلد 116، تقرير بتاريخ 30 مارس 1912م

(26) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية: تركيا، مجلد 117، تقرير المعتمدية الدبلوماسية الفرنسية بالقاهرة بتاريخ 5 نوفمبر 1912م إلى الرئيس بوانكاريه (Poincaré).

(27) René Girault, Diplomatie européenne et impérialismes, Masson, Paris, 1979. P 18

(28) Cloarec. Vincent. La France et la question de Syrie 1914-1918. CNRS Edit. Paris 2010. P 5.

(29) Laurence H 38-En Arabie. Gallimard. Paris, 1992, p 37

(30) .Cloarec. Vincent. La France et la question …, Op…, cit, p 9 (32)

(31) .Cloarec. Vincent. La France et la question …, Op…, cit, p 36

(32) .Cloarec. Vincent. La France et la question …, Op…, cit, p 3

(33) Le Pautremat. Pascal. La politique musulmane de la France au XXe siècle : de l'hexagone aux Terres d'Islam : espoirs, réussites, échecs. Maisonneuve&Larose. .Paris 2003

(34) Dual attractions of :1930-David. Richard. "Britain`s Middle Eastern Policy. 1900 .No 11. P3 .2/Empire and Europe". Histoire politique 2010

(35) صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، بيروت 1996م.

(36) تقرير الطبيب محمد حسين بتاريخ 8 أكتوبر 1903م، أورده العقبي، أحمد حسين، التنافس الانجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، الرياض 1430هـ ص 214.

(37) Brillet. Yves. « L'action de la Grande-Bretagne dans la péninsule arabique. Novembre 1918 : bilans et perspectives ». Les clés du moyen Orient 2018, copie .en ligne, p 1

(38) .Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia…Op…, cit, p 223

(39) .Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia…Op…, cit, p 225

(40) .Hamm. Geoffrey. British intelligence and Turkish Arabia…Op…, cit, p 236

(41) Brillet. Yves. « L'action de la Grande-Bretagne dans la péninsule arabique…, .Op…, cit, p 3

(42) Brillet. Yves. « L'action de la Grande-Bretagne dans la péninsule arabique…, .Op…, cit, p 5

(43) Moustafa. Kamel. Conséquences de l'occupation de l'Egypte par l'Angleterre. .2eme édit : Paris 1899

(44) .10-Moustafa. Kamel. Conséquences de l'occupation…OP…, cit, p 9

(45) .Ibid. p 17

(46) حافظ، وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط 5، القاهرة 1967، ص 152.

(47) Al-Amr Saleh Muhammad. The Hijaz under ottoman rule…Op…, cit, p 174

(48) سيار، جميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، عمان، 2014، ص510.

(49) يحسن التذكير بأن السلطان عبد الحميد الثاني هو من قرر وضع الشريف حسين وأسرته الضيقة تحت الإقامة الجبرية في اسطنبول منذ سنة 1893 وحتى 1908م. وذلك لخشيته من دوره السياسي في الحجاز.

(50) حراز، رجب، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840-1909، القاهرة 1970، ص 123.

(51) حراز، رجب، الدولة العثمانية...، نفس المرجع، ص 121.

(52) يذكر الرحالة الدنماركي نيبهور (Neibhur) إثر رحلته لشبه الجزيرة العربية سن 1761م في هذا الصدد ما يلي: «ما كان عرب الحجاز ليتقاعسوا عن طرد الأتراك لولا المبلغ الذي يتسلمه كل مقيم في مكة المكرمة وذرية الرسول وأقاربه في الحجاز... وما كان يصل من سفن الأرز والقمح وغيره باسم السلطان من السويس والقصير إلى جدة وينبع ثم مكة المكرمة والمدينة المنورة في موسم الحج، ولولا ما كان يجود به المحمل الشامي والمحمل المصري على الأراضي المقدسة من خيرات وعلى الأخص في صورة هدايا تمنح للأعراب مقابل تأمين طريق الحج». أورده محمد رفعت رمضان، علي بك الكبير، القاهرة، 1955م، ص 134.

(53) الصواف، فائق بكر، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز (في الفترة ما بين 1293-1334هـ/1876-1916م)، مكة المكرمة 1978، ص 86.

(54) نصيف، حسين بن محمد، ماضي الحجاز وحاضره، جدة 1930، ص 17.

(55) صايغ أنيس، الهاشميون والثورة العربية الكبرى، ص 35.

(56) قاسمية، خيرية، الحكومة العربية في دمشق 1918-1920م، دار المعارف القاهرة، 1971م، ص 26.

(57) الصواف، فائق بكر، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز... نفس المرجع، ص 94.

(58) الصواف، فائق بكر، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز... نفس المرجع،

(59) Librairie Colbert. Paris 1924, p 15 .1916-Jung. Eugene. La révolte arabe 1906

(60) .Jung. Eugene. La révolte arabe …Op…, cit, p 17

(61) .Ibid. p 19

(62) .Ibid. p 31

(63) Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet of Hejaz at the beginning of the Twentieth Century", Uluslararasi Iliskiler, Vol. 17, no 67, 2020. Pp 21-40, p 22.

(64) شارك في شبابه في حملات الغزو الروسي على الأراضي التركية ثم ألحق بوزارة الخارجية، وقد توفي بعد أقل من سنة بعد تسميته قنصلا بجدة نتيجة إصابته بعدوى الكوليرا أثناء موسم الحج. ولا شك في أن هذا الحادث كان مؤثرا على السياسة الروسية في الحجاز وخاصة فيما تعلق بالأوضاع الصحية والأوبئة التي كانت تنتشر في مواسم الحج.

(65) Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p 23.

(66) Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p 23. Ibidem.

(67) Therme. Clement. La puissance russe au Moyen Orient : Retour ou Déclin inéluctable ? Paris 2014. P 16.

(68) Ibrahimov, 13 May 1891", Arkhiv vneshnei politiki Rossiiskoi imperii, Fund:" Turetskii stol [Archive of the Foreign Policy of the Russian Empire (AFPRI), Fund: The Turkish Table], 502-B – 3312, p. 11:

Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p 23

(69) قدم العون القنصلي الروسي بجدة نيكولسكي (Mkhail E. Nikolsky) في مراسلة له سنة 1905م صورة عن الوجود البريطاني في الحجاز بشكل أدبي شديد التعبير: «هل أن انجلترا متجذرة بعمق هنا(الحجاز) كما تزعم صحيفة نيو تايم؟ بالتأكيد نعم...البريطانيون غير مرئيين في الحجاز (أتحدث عن جدة كما لو كانت بعيدة جدا في الداخل حيث لا يمكنهم (البريطانيون) ولا أنا الوصول إليها)، ومع ذلك فالروح البريطانية تفوح منها بلا شك. أورد هذه الصورة عن الوجود البريطاني في الحجاز مقتطفة من مراسلة القنصل الروسي.

Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p26.

(70) Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p 27.

(71) Ibidem.

(72) Ibid. p 35.

(73) يقول الدبلوماسي الروسي نيكولسكي : « بمجرد أن يصبح الحجاز غير مهم بالنسبة لنا بينما ستسعى إنجلترا عاجلاً أو آجلاً إلى امتلاكه فلا بد من المساومة. والأفكار، وهي غالباً ما تكون الأكثر سخافة، هي جميع أنواع المبادلات الدبلوماسية «المقايضة» القديمة قدم الدبلوماسية نفسها.

نحن، كما في الحكاية، نقف عند ملتقى ثلاثة طرق: إذا ذهبت إلى اليسار، سأموت. إذا ذهبت إلى اليمين، سأموت وكذلك حصاني... أليس من الأفضل، إذا كان ضياع الحجاز حتمياً، أن أذهب إلى اليمين، ومن أجل عدم التدخل في شؤون إنجلترا في الجزيرة العربية أن أتلقى منها بالمعاهدة تنازلاً في مكان آخر؟

من الأرشيف السياسي الروسي سنة 1905م، ص 76-77، أورده، Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p 28.

(74) Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p 28

(75) من بين تلك التقديرات ما ذكره العون القنصلي الروسي عن بعض ممارسات الأتراك وسلوكهم مع العرب. «العرب يكرهون الأتراك، والأتراك مهملون وكسالى، والغرض الرئيسي من وجودهم مع العرب هو إرضاء جشعهم الذي لا يشبع». ونعلم من مصادر أخرى أن العداء للأتراك بين العرب كان موجودًا بالفعل، بل إنه كان يزداد تدريجيًا. وكان السكان المحليون ينتقدون أشرافهم العرب، أي الهاشميين.

(76) Vitaly. Naumkin. "A Russian Diplomat in the Vilayet…Op…, cit, p 38.

القياس بين البصريين والكوفيين

(دراسة تطبيقية في بعض القراءات القرآنية)

أ. حليمة محمد علي عثمان
طالبة دكتوراه
كلية الدراسات العليا - جامعة البحر الأحمر

د. صلاح رمضان عبد الله عبد البين
أستاذ مشارك
قسم اللغة العربية - جامعة البحر الأحمر

المستخلص:

تناولتْ هذه الدراسة أصلا مُهمًا من أصول النحو العربي، ورافدا من روافد تنمية اللغة العربية، لتؤدي وظيفتَها في متطلبات المجتمع لمواكبة التطوُّر. ويُعَدّ القياس الأصل الثاني الذي احتكم إليه النحاةُ. ابتدأت الدراسة بالمقدمة ثم تعريف القياس لغةً واصطلاحا تبعه موجز عن تاريخ نشأة القياس وتحديد أنواعه وأقسامه مدعوماً بنماذج من القرآن وقراءاته موضّحا فيه أثر القراءة في المسائل القياسية التي تحتكمُ إلى المنطق والعقل، تلاه القياس البصري والكوفي ثم تناولت المسائلَ الخلافيةَ بينهما وتوضيحُ طريقة الأخذ والتباين وخاصة أنّ البصريين مدرسةٌ مُحكمةٌ والكوفة التي عُرفت بأنّها مدرسةُ سماع ثم طرح المسائل بينهما واستخراج المعقول من المنقول. والهدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على القياس كأحد الأسس التي بنى عليها النحاةٌ قواعدهم والبحث عن الفصيح من الكلام وكانت هذه خطوة حسية، كذلك التعرّف على بعض المسائل الخلافية في تحكيم القياس. وتكمن أهمية الدراسة في أن القياس أصبح رافدا من روافد تنمية اللغة العربية، كذلك امكانية القياس على شئ لم يتكلموا بمصدره فلجاؤا إلى القياس. اتّبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي. وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج المهمة منها:إنّ القياسَ بدأ بصريا وانتهى بصريا، كذلك لايصحّ التعويل على القياس في معارضة السماع المستفيض ونموذج لذلك أنّ البصريين يرون بإنّ (إنّ) عاملة في المبتدأ والخبر عكس الكوفيين, فإنّهم يرونَها عاملةً في المبتدأ فتنصبه ويُرفع الخبُر كما كان يرفع به.

كلمات مفتاحية: القياس، البصرة، الكوفة ، القراءات

Analogy between the grammarians of Basra and Kufa

(An applied study on some readings of the Holy Qur'an)

Halima Mohammed Ali Osman

D.Salah Ramadan Abdullah Abdlbaien

Abstract:

The study dealt with an important origin of Arabic grammar and a tributary of the development of the Arabic language, which is analogy according to the Kufans and Basrans, and the issues of disagreement regarding it. The study began with an introduction, then defined measurement in language and terminology, and explained the origins, history, and types of measurement. The study aimed to shed light on analogy as one of the foundations on which grammarians built their rules. The importance of the study lies in that it shows that analogy is an important tributary of the development of the Arabic language. The researchers followed the descriptive analytical method in addition to the historical method. The study reached a number of results, the most important of which are: that analogy began and ended in the Basra School, and it is not valid to rely on analogy to oppose hearing, and an example of this is (In) the worker in Debutant and his news.

Keywords: Basra, Kufa, measurement, readings.

مقدمة:

الحمدُ لله ربّ العالمين وبه نستعينُ والصلاةُ والسلامُ على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإنّه لا مصادفةٌ في هذا الوجود وما من شيء إلا له من التفكّر والتدبّر والكشف عن ماهية الأشياء.

ولما كان لكل علم أسسٌ وأصولٌ تُشكّلُ بناءه ساهمت في تشكيل قواعدَه وضبطَها، كان القياسُ أحدُ هذه الأسسُ والأصول التي قامت بدورا كبيرا وأثرت اللغة العربية والنحو خاصة على ما

سُمع من كلام العرب، شغفَ به النحاةُ وأوْلوه عنايةً خاصةً, فقد ظهر أولا عند نحاة البصرة واهتموا به ومن علماء النحو, أبو الأسود الدؤلي ,عبد الله بن اسحق.. والخليل وسيبويه، وجعلوا من أهم مصادره القرآن وقراءاته حيث استشهدوا به في كثير من قواعدهم، فإنّه كلام الله المعجز المحفوظ في الصدور والقلوب، كذلك كان الكوفيون في أخذهم للقياس؛ لكنّهم توسعوا فيه عن العرب وأدّي هذا إلى توسعهم في القياس، ليشمل ما نطق به العرب المتحضرون.

ثم تطورت القواعد واستحدثت فيها ألفاظ وأحكام، ممّا أدّى إلى اختلاف المذهبان (البصرة والكوفة) كلٍ يدافع عن مذهبه حتى اشتد بينهما التنافس، ممّا نتج عن ذلك تلك المجالس والمناظرات والتي أثرت اللغة برافد من روافده.

أولاً: أهمية البحث:

1. توضيح الأصل الثاني من أصول النحو العربي.
2. إبرازُ أهمية القياس حيثُ أصبحَ رافدا من روافد تنمية اللغة العربية لتؤدي وظيفتها في تلبية متطلبات المجتمع والمواكبة
3. تنبعُ أهميةُ القياس من جمع بعض المسائل الخلافية بين المدرستين واستنباط القواعد وتأثيرها في النحو العربي كإضافة للسّماع.
4. كذلك تنبعُ أهمية القياس من إمكانية القياس على شيء لم يتكلموا بمصدره فلم يكن لهم مفرٌ هنا إلاّ بالقياس.
5. تكمنُ أهميةُ القياس، في البحث عن الفصيح من الكلام وكانت هذه خطوة حسيّة بعدها بدأت الخطوات التجريدية وكان استخراج المعقول من المنقول.

ثانياً: أهداف البحث:

1. تسليطُ الضوءُ على القياس كأحد الأسس التي بنى عليها النحاةُ قواعدهم وأثرت اللغة بتراكيب جديدة من خلال قياسها على ما سُمع من أقوال العرب.
2. إبرازُ وظيفة القياس في إثراء اللغة العربية والنحو خاصة.
3. التعرُّف على بعض المسائل الخلافية في القرآن وقراءاته والذي أوْلوه عناية بالغة ودارت حوله المسائل والخلافات.

ثالثاً: أسئلة البحث:

1. ماهية القياس وأهميته في إثراء اللغة ؟
2. كيف تناولت المدرستان الحُجج والبراهين القياسية في القراءات القرآنية ؟
3. هل أسهم الاختلاف بين المدرستين في تثبيث القاعدة النحوية ؟

القياس بين البصريين والكوفيين:

تعريف القياس لغةً:

القياس هو التقدير « يُقالُ: قاسَ الشيء يقيسه قيساً قياساً إذا قدّره على مثاله» [1]

تعريفه في الاصطلاح:

عرَّفه الرمّاني بقوله « الجمعُ بين أوَّل وثاني يقتضيه في صحة الأول صحة الثاني «

كذلك هو الجمعُ بين شيئين ممّا يوجبُ اجتماعهما في الحكم. [2]

وعرَّفه أبو البركات الأنباري , بعدة تعريفات من بينها , «هو حملُ فرعٍ على أصلٍ بعلة , وإجراء حكم الأصل على الفرع « كذلك هو « إلحاق الفرع بالأصل بجامع واعتبار الشيء بالشيء بجامع»[3]

ظهور القياسُ:

ظهر أولاً عند نحاة البصرة فقد سلكهُ قبلهم الفقهاءُ وذلّلوه فسارؤا فيه يحذون حذوهم.[4]

وفي ذلك صرّح ابن جني قائلاً: « تأثر النحاةُ بالفقهاء ينتزع أصحابنا منها العلَلُ , لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه يُجمعُ بعضها إلى بعضٍ بالملاطفة والرفق.[5]

ومن أوائل الذين اهتموا بالقياس: أبو الأسود الدُؤلي الذي أسّسَ العربية وفتح بابَها ونهجَ سبيلها ووضع قياسها.[6]

تلاه عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي الذي يعتبر أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل , كان معه أبو عمر بن العلاء وكان أبو اسحق أشدُّ تجرداً من أبي عمر بن العلاء ولكنه كان أوسع علماً وتلاهم يونس بن حبيب الذي كان له قياس في النحو ومذاهبٌ أنفرد بها. [7]

ومن مشاهير نحاة البصرة , الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان الغاية في القياس واستخراج مسائل النحو.[8] تلاه تلميذه سيبويه الذي ضمّ كتابه الكثير من مسائل القياس.

وقد برعا الخليل , وسيبويه في التمارين غير العملية فكان سيبويه يسلك مسلك أستاذه في تطبيق قاعدة على مثال لم يأت عن العرب , يقول سيبويه: « وسألته كيف ينبغي له أن يقول «أفعلتُ» من (اليوم) على من قال (أطولتْ) و (أجودتُ) فقال: (ايَّمنَّ) حيث تغلبُ (الواو) (ياء) كما فعلها في (أيام) تفعلها في كل موضع تصحُّ فيه (ياء) (أيقنتْ) [9] وقد أضحى القياسُ أصلاً من الأصول النحوية التي يعتمد عليها نحاة البصرة بعد الأجيال الأولى من نحاة البلدين ,يقولُ المازني « فيما نقله عن بن جني , ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب , الا ترى أنكَّ لم تسمعْ أنت ولا غيرك اسم كل فاعلُ ولا مفعول وإنَّما سمعت البعضَ فقستُ عليه غيره , فإذا سمعت (قام زيدٌ) أخذت (ظرُف بشر) (وكرُم خالد)[10].

ويقول ابن جني مؤكداً أهمية القياس بقوله:» مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس [11].

والناطقُ على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غير مخطئ [12].

« للإنسان أنْ يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس , ما لم يلو بنص أو ينتهك حرمة شرعٍ وقس على ما ترى[13].

أركان القياس هي:

4. الأصلُ ـــــــــــ المقيس عليه.
5. الفرعُ ـــــــــــ المقيس.
6. علةٌ جامعةٌ تجلبُ الحكم للمقيس.
7. حكمُ ثابت للمقيس عليه فيعطي للمقيس.

ذلك نحو أن تركّب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فنقول اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه فوجب أنْ يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل , فالأصلُ هو الفاعل والفرع هو ما لم يسم فاعله والعلة الجامعة هي الإسناد والحكم هو الرفع.[14]

الأصلُ الأول من أصول النحو في القياس هو:

1/ ما يقاسُ عليه:

الأصلُ أنْ يُقاس على النصوص الصحيحة المنقولة عن العربِ الذين يحتجُ بكلامهم سواءٌ أكان النقل سماعاً أو رواية مشافهة أم تدوين ليُبنى عليها حكم المقيس.[15]

أفضلُ ما يحتج به ويُقاسُ عليه القرآن الكريمُ , فإنّه نزل بلسان عربيٌ فصيحٌ مبينٌ , أُخذ بالقياس على ما وردت عليه كلمة أو آية من الآيات الكريمة من أحكام لفظية.[16].

يؤكّد الباحث: أنّه يُقاسُ على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة وخاصة فيما ثبُتَ عنه عليه الصلاة والسلام ثم على كلام العرب الفصحاء الذين يحتج بقولهم.ذلك أنّ المسموع عن العرب أو المنقول عنهم هو الأصلُ الذي يُقاس عليه.

قد ظهر في أوائل النحاة أنَّ التفاوت في الفصاحة هو السبب في تفضيل لغة على لغة. أمَّا حين تختلف اللغات في الاستعمال أو في القياس فلها مرتبة أخرى يقول « فأمَّا أن تقل أحداهما جداً وتكثر الأخرى جِداً فانك تأخذُ بأوسعها رواية وأقواها قياساً.

يقول ابن جني:»الا تراك ,لا تقولُ , مررتُ بك , ولا المالُ لك , قياساً على قول قضاعة , المال له.

هنا يضعُ معياراً في اختيار اللغة وهو القوة في الأمر المُعَّول عليها هكذا وعلى هذا فيجبُ أنْ يقل استعمالها , وأنْ يتخيّر ما هو أقوى وأشْيع منها إلا أنّ إتيان استعمالها لم يكنْ مخطئاً لكلام العرب لكنّه كان يكون مخطئاً لأجود اللقب «.[17]

أولاً: القياس على الشاذ:

اشترط النحاةُ على أنْ يكون الكلامُ الذي يُقاسُ عليه مطرداً مستمراً وألا يكون شاذاً خارجاً عن متن القياس.قال السيوطي «ألا يكون شاذاً فما كان كذلك فلا يجوز القياس عليه» [18]

يستعملُ في كثير من العلوم , ولو اعترض بالشاذ على القياس المطّرد لبطلَ أكثرُ العلوم فمتى وجدت حرفاً مخالفا لا شك في خلافه لهذه الأصول, فأعلم أنّه شاذ. [19]

يرى الباحث:هكذا كان النحاةُ لايقيسون إلاّ على ماسُمع من العرب مع الاطراد وأن تكون القبائل العربية فصيحة ,لذلك كانت فكرة الأصل والاطراد والشذوذ المعيار المحكّم إليه في قبول القياس أو رفضه فقد يقبل القياس انطلاقا من اطّراد المقيس عليه وكما يحكم بالرفض إذا كان شاذا.

قسّم ابن السراج ثلاث أضرب فقال: « والشاذُ على ثلاثة أضرب»

1. منه ما شذَّ عن بابه وقياسه ولم يشذُ في استعمال العرب نحو (استحوذ).

فإنّ بابَه وقياسَه أن يُعلَّ فقال (استحاذ) مثل(استقام) وجميع ما كان على هذا المثال ولكنه جاء على الأصل واستعملته العرب كذلك, ومنه قول الله تعالى:(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ)[20]

2. ومنه ما شذّ عن الاستعمال ولم يشذْ عن القياس نحو ماضي (يدع) فإنّ قياسَه وبابَه أنْ يُقالَ (دع) (يدع) (ودع) [21] ,استغنى عنه (بترك فصار فعلُ القائل الذي قال: ودعه شاذاً وهذه أشياء تُحفظُ.

3. ومنه ما شذّ عن القياس والاستعمال , فهذا الذي يطرح ولا يعرّج عليه نحو ما حكي من إدخال (ال) على (اليجدع) [22]

بيّن ابن جني أقسام الكلام المسموع عن العرب فقال « فجعل أهل العلم (العرب)ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطرداً وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه عن ذلك إلى غيره شاذاً [23] ومررت به.

حيث قسّم الكلام إلى أربعة أضرب: [24]

1. مُطّرد في القياس والاستعمال جميعاً: وهذه هي الغاية المطلوبة وذلك نحو قام زيدٌ وضربتُ.

2. مُطّرد في القياس شاذ في الاستعمال: وذلك نحو ماضي يزر ويدعُ.

3. المطّرد في الاستعمال الشاذ في القياس: نحو قولهم استحوذ.

4. الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً: كتتميم المفعول فيما عينه واوا نحو: صون – مصوون [25].

وفي ذلك يقول السيوطي:» قد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالفْ قياساً معروفاً , بل لو خالفته يُحتج بها في مثل هذا الحرف بعينه , وإنْ لم يجر القياس عليه كما يحتج المجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يُقاسُ عليه.[26]

ولو جاز القياس عليه لاضطربت القواعدُ اضطراباً شديداً وأصبح لكل من يخالفها مندوحة بقراءة تجيز ما خالف فيه ومن أمثلة ذلك أنَّ القياسَ أو القاعدةَ أن يتصفَ الفعل المضارع بعد (أنْ) بالمصدرية , قد ورد عن العرب قولهم:» تسَمْعُ بالمُقَيْويّ خيرٌ من أنْ تراه « [27].

وقد عاب الشيخ محمد الخضر قولهم هذا وقال: وجاء على نحو هذا قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا)[28]

يقتضي ارتفاع منزلة القرآن في الفصاحة وأخذه بأحسن طرق البيان أن يجري حذف أنْ) المصدرية كما ورد في الآية مجرى ما يصحُ القياسَ عليه وحذف (أنْ) مقصور على السّماع مطلقاً فلا يرفع ولا ينصبُ بعد الحذف إلاّ ما سُمع. [29]

ثانياً: القياس على القليل:

كـثرةُ الـورودِ عـن العـرب تخـرجُ الـكلام مـن حكـم الشـذوذ, ولكـن بعـض النحـاة لا يشـترطون هـذه الكـثرة في المقيـس عليـه, إذا لم يسـمع مـا يناقـضُ القليـل, يقـول السـيوطي:(ليس مـن شرط المقيـس عليـه الكـثرة , فقـد يُقـاس عـلى القليـل كموافقتـه للقيـاس, ويمنـعُ عـلى الكثـير لمخالفتـه لـه.[30]

فالقليـل هنـا كل مـا ورد عـن العـرب ولم يسـمعْ مـا يناقضـه , لذلـك يُقـاس عليـه , ويُرفـض القيـاسُ عـلى الكثـير إذا كان مخالفـاً.

ومثّـل ابـن جنـي للكثـير الـذي لا يقـاس عليـه بقولـه:» وأمَّـا مـا هـو أكـثر مـن بـاب (شـيء) ولا يجـوز القيـاس عـلى الكثـير إذا كان مخالفـاً , لأنّـه لم يكـن هـو عـلى قيـاس قولهـم في ثقيـف (ثقفـي), فإنّـه عنـد سـيبويه ضعيـف في القيـاس فـلا يجيـز عـلى هـذا في (سـعيد) (سَـعْدي).[31]

يقـولُ السـيوطي عـن اللفـظ الفـرد المسـموع الـذي لا نظـير لـه: «ولكـن العـرب أطبقـت عـلى النطـق بـه. « فهـذا يقبـلُ ويحتـجُ بـه ويُقـاسُ عليـه أجماعـا كـما قيـس عـلى قولهـم في (شـنوءة) (شـنئٌ) مـع أنّـه لم يسـمع غـيره لأنّـه لم يسـمع مـا يخالفـه, وقـد أطبقـوا عـلى النطـق بـه «.[32] .

أمَّـا إذا كان الـكلامُ قليـلاً في الاسـتعمال في مقابـل كثـير الاسـتعمال فـإنَّ النحـاةَ يرجّحـون كـثرة الاسـتعمال عـلى قلتـه عنـد القيـاس, لأنَّ القيـاس عـلى النـادر والقليـل قـد يـؤدّي إلى اضطـراب القواعـد , يقـول سـيبويه « فإنّمـا هـذا لأقـل نـوادر تحفـظ عـن العـرب ولا يقـاسُ عليهـا, لكـن الأكـثر يقـاس عليـه»[33]

تعددُ الأصول المقيس عليها:

أجـاز النحـاة أنْ تعـدّد الأصـول المقيـس عليهـا لفـرع واحـد, قـال السـيوطي:» اختلـفَ هـل يجـوز تعـدّدُ الأصـول المقيـس عليهـا لفـرع واحـد ؟ والأصـحُ نعـم, ومـن أمثلـة ذلـك (أيْ) في الاسـتفهام والـشرط فأنّهـا أعربـت حمـلاً عـلى نظيرتهـا (بعـض) وعـلى نقيضهـا (كلّ).[34]

يقـولُ الدكتـور تمـام حسـان: قـد يتعـدّدُ المقيـس عليـه مـع وحـدة الحكـم, وقـد يتعـدّدُ مـع اختـلاف الحكـم فتعـدده مـع اتفـاق الحكـم كقيـاس (أيْ) عـلى (بعـض) وهـى نظـير لهـا وعـلى (كلَّ) وهـى نقيضهـا والمعـروف في قواعدهـم أنّـه يحمـلُ الـشيء مـع ضـدَّه كـما يحمـل عـلى نظيره , أمَّـا مـع تعـدد الحكـم فذلـك مـا نـراه مـع اختـلاف التخريـج.

المسـألة الواحـدة , إذْ تتعـدد آراؤهـم واختباراتهـم بتعـدّد الأصـول التـي يقيسـون عليهـا والأمـر في النهايـة هـو أمـر اختيـار واحـد مـن الأصـول وكلهـا صالـح مـن الوجهـة النظريـة.[35]

عدم المساواة بين المقيس والمقيس عليه:

يـرَى أبـو الـبركات الأنبـاري: أنَّ المقيـس لا يجـب أن يكـون مسـاوياً للمقيـس عليـه مسـاواة تامـة ففـي مسـألة تقديـم خـبر (ليـس) عليهـا أجـاز البصريـون ذلـك وضعّفـه الكوفيـون ومـن حججهـم لمنـع قيـاس (ليـس) عـلى (مـا) وقـد أيّـد أبـو الـبركات مذهـبَ الكوفيـين وردَّ عـلى البصريـين بقولـه: « إنَّ (ليـس) تخالـف (مـا) لأنّـه لا يجـوز تقديـم خبر(ليـس) عـلى اسـمها بخـلاف (مـا) قلنـا (ليـس مـن شرط القيـاس أن يكـون المقيـس مسـاوياً للمقيـس عليـه في جميـع أحكامـه بـل لا بـد أنْ يكـون بينهـما مغايـرة في بعـض أحكامـه «.[36]

ثانياً: المقيس:

المقيس في اللغة من قاس أي قدَّر.

أمّا في الاصطلاح: هو ما شاع على ألسنة العرب حتى صار يُقاس على غيره.[37]

وهـل يُوصـف بأنّـه مـن كلام العـرب أم لا ؟ فالجـواب ظاهـر في قـول (المـازني) « مـا قيـس عـلى كلام العـرب فهـو مـن كلام العـرب «, وقـد قـال ابـن جنـى:» اللغـات عـلى اختلافهـا كلهـا حجـة والناطـقُ عـلى قيـاس لغـة مـن لغـات العـرب مصيـبٌ غـيرَ مخطـئ. [38]

المقيس ينقسم باعتبار آخر إلى قسمين:

1. الصيـغ والمفـردات غـير المنقولـة تُقـاسُ عـلى الصيـغ والمفـردات المنقولة.الاشـتقاقات غـير المسـموعة تُقـاسُ عـلى الاشـتقاقات المسـموعة. [39] وقـال ابـن الـسراج:» إنّ المقيـس نوعـان: مسـموع غـير مطّـرد.

2. غير مسموع عن العرب.

فـالأول مـا تكلمـت بـه العـرب وكان مشـكلاً فأحـوج إلى أن يبحـث عـن أصولـه وتقديراتـه نحـو قولهـم (مـا حيـت) والثـاني مـا قيـس عـلى كلام العـرب وليـس مـن كلامهـم «.

ثالثاً: الجامع:

إنَّ الصلـةَ بـين طـرفي القياس:المقيـس عليـه- المقيـس لا تتحقـقُ إلا بجملـة صفـات مشـتركة كـما يُطلـق عليها(الجامـع) وربمـا سُـمّيت العلـة, أو العلـة الجامعه[40]التـي هـي أحـد أركان القيـاس والجامـع أحـد ثلاثـة:

1. العلـة: ويسـميها الرمـاني العلـة القياسـية وهـى التـي يطّـرد الحكـم بهـا في النظائـر نحـو علـة الرفـع في الاسـم (كـذا) ذكـر الاسـم عـلى جهـة يعتمـد الـكلام فيهـا وعلـة النصـب فيـه ذكـره عـلى جهـة الفضلـة في الـكلام وعلـة الجـر ذكـره عـلى جهـة الإضافـة. [41]

وشرطها أن تكون هي الموجبة للحكم في المقيس عليه.[42]

2. الشبه: وهو وجود شبه بين المقيس عليه والمقيس غير العلة التي طبق عليها الحكم في الأصل.[43]

قد أوضح العلماء الفرق بين العلة والشبه , في أنّه إنْ كان الشّبه ناتجاً عن كون الحكمُ يثبتُ في الطرفين لسبب واحد وفي درجة واحدة كان علةً وإنْ لم يكن كذلك كان شبهاً.[44]

ومثاله: أن يدلَ على إعراب الفعل المضارع بأنّه يتخصص بعد شياعه , كما أنَّ الاسم يتخصص بعد شياعه.[45] أي أنّ إعراب المضارع – في رأي البصريين هو لمشابهته الاسم لفظاً ومعنى واستعمالًا. فاللفظ لموازنته له في الحركات والسكنات (الضارب) و (يضرب) –والمعنى- فلقول كل منهما الشيوع والخصوص , فالاسم عند تجرده من أداة التعريف يفيد الشيوع وعند دخولها عليه يتخصص كذلك المضارع عند تجرده عن حرف الاستقبال يحتمل الحال والاستقبال وعند دخول أحدٌ طرفي الاستقبال يتخصصُ.

والاستعمال: فلوقوع كل منهما صفة لنكرة ولدخول لام الابتداء عليها جاءني رجل ضارب أو يضرب.

وإنْ زيداً الضارب أو ليضرب.

فالشبه بين المضارع والاسم في اللفظ والمعنى والاستعمال (ليس شيء من هذه العلل – والعلة التي وجب لها الإعراب في الأصل الذي هو الاسم – إنّما هو لإزالة اللبس , لأنّ الاسم يكون فاعلاً ومفعولاً و مضاف إليه... وهذا هو الفرق بين القياس العلة وقياس الشّبه [46]

3.الطّرد: هو وجود الحكم مع فقدان الاخالة (المناسبة) في العلة [47] وكون الطّرد – وحده- جامعاً مذهب قوم من العلماء مستدلين على ذلك بأمور.[48] هي:

أ. إنّ الدليل على صحة العلة أطّرادها وسلامتها عن النقيض وهذا موجود في الطرد.

ب. إنّ عجز المعترض عليها دليل على صحتها.

ج. إنَّ الطّرد نوع من القياس فوجب أن يكون حجة كما لو كان فيه أخالة أو شبه.

رابعاً: الحكم:

تعريفه: لغةً , العلمُ والفقه وهى مصدر حكم يحكمُ , واصطلاحاً هو ما يجري على الفرع من أحكام الأصل صرفاً ونحواً وإعرابا.

في الحكم مسألتان: إنّما يُقاس على حكم ثبت استعماله عن الغير وهل يجوز أنْ يقاس على ما

ثبت بالقياس والاستنباط ؟

قال السيوطي: «ظاهر كلامه نعم.أو جواز على حكم ثبت بالقياس،إذ لا أصل أن يثبت بالسماع».[49]

هو إلحاق المقيس بالمقيس عليه يتضمن إعطاءه حكمه لذا فإنّ الحكمَ – عند النحاة ينقسم إلى عدّة أقسام

1. الواجب – كرفع الفاعل وتأخيره عن الفعل ونصب المفعول وجر المضاف,الممنوع – كامتداد ماذكر في الواجب.
2. الحسن – كرفع المضارع الواقع جزاء بعد شرط ماضي.
3. القبيح – كرفع المضارع الواقع جزاء بعد شرط مضارع.[50]

أقسام القياس:

بينما قسّم النحاةُ القياس ومن بينهم الأنبا ري – إلى ثلاثة أقسام:

1/ قياس العلة 2/ قياس الشّبه 3/ قياس الطرد

أولاً -قياس العلة:

يقصدُ بقياسُ العلة حملُ الفرع على الأصلُ لعلة جامعة بينهما.

ثانيا -قياس الشبه:

أمّا قياسُ الشبه ,فيحملُ الفرع على الأصل لضرب من الشّبه من إعراب الفعل المضارع, لأنّه يتخصصُ بعد شياعه كما أنَّ الاسم يتخصصُ بعد شياعه فأعطى حكم الاسم في الإعراب , فالعلة الجامعة بينهما الاختصاصُ بعد الشيوع.

ثالثا -قياسُ الطّرد:

ويقصدُ بقياس الطرد , أنَّ الطَّرد هو الذي يوجب الحكم واختلفوا في كونه حجة , لأنّ الطردَ لا يعتمد عليه الفعل.

وقد نظر النحاة إلى الكلام المسموع من حيث الكثرة والقلة , فقال فيه ابن هشام:»أعلم أنّهم يستعملون , غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً فالمطرد لا يختلفُ والغالب أكثر الأشياء ولكنّه يتخلف والكثير دونه والقليل دونه والنادر أقل من القليل...».[51]

وأغلبُ الظنّ أن المطَّرد والغالب والكثير والشائع بمعنى واحد بل أن الكثير هو المطّرد وذلك من

خلال ما تتبعه من استعمالها العبارات الآتية:

1. هذا في كلام العرب.
2. وممّا كثر في كلام العرب.
3. وهو أكثر في كلام العرب.
4. وذلك كثير في العربية.
5. ومثله كثيرٌ.

ما يُراد بالقياس المطّرد هو عموم القاعدة الضابطة في أي مسألة من مسائل النحو.

يجدر بنا أن نعتمد هذا النوع من القياس ونطرح غيره بما فيه من قرب اللغة وطبيعتها , ولا نرى من يذهب إلى أن قياسات النحو تتوقف ولا تطرد.[52]

ب/ القياسُ الشاذ « هو ما فارق عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك في غيره.[53]

أيْ أنَّ الشاذ هو الخارج عن القاعدة (الشاذ) لقد حدّد القدماء المقصود ب (الشاذ) فكل ما ذكروه عنه أنه مقابل للمطّرد [54]

فهم يستعملون ألفاظاً مختلفةً و كثيرة تقابل المطَّرد والغالب والكثير والوجه والأصل , فيذكرون القليل والنادر والشاذ والقبيح و الرديء والضعيفُ والفاسد والمحال [55]

وهذه كلها وإنْ كانت تختلف في معناها ودورانها عند النحاة تؤدى ما لم يجر على القاعدة , ويعبرون عن أمثلتها بأنّها تحفظُ ولا يُقاسُ عليها وهذا هو المقصودُ.

قال سيبويه: « وزعمَ ناسٌ أن (الياء) في لولاي وعساني في موضع رفع جعلوا لولاي موافقة (للجر) (ونى) موافقة للنصب , كما اتفق الجر والنصب في الهاء والكاف وهذا وجه ردئ. [56]

وقال الأخفش الأوسط: في قوله تعالى: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا) [57] الشاهد هنا(ربِّنا) ,قالوا منصوبة على الضمة وقال بعضهم (ربَّنا) منصوبة على يا (ربَّنا) وأمَّا (والله) لفظ الجلالة فجره على القسم ولو لم تكُن فيه الواو نُصبتْ فقُلتُ (الله) (ربَّنا) ومنهم من يجر بغير (واو) لكثرة استعمال هذا الاسم وهذا في القياس ردئ. [58]

ج/ القياسُ المتروك:يُسمى (المهجور) أيضاً ولم يُحدّده النُحاة وإنّما ذكروه وضربوا له الأمثلة , ويقصدون به الأصل الذي كان ينبغي أن يكون في الكلام،قال سيبويه:(وأما ثلاثمائة إلى تسعمائة فكان ينبغي أن تكون في القياس) (مئتين أو مئتان)[59]. وقال أبو علي الفارسي (رُبَّما جاء في الشعر

ثلاث مئات وأربع مئين ونحوهما مضاف إلى الجمع على القياس من قال:

ثلاث مئين للموت وفى بها *** ردائي وجعلت عن وجوه الأهاتم [60]

ثانياَ: ينقسم القياس بحسب العلة الجامعة إلى ثلاثة أضرب:

(أ) قياس العلة: وهو (أنْ يحملَ الفرع على الأصل , بالعلة التي علت عليها الحكم في الأصل) [61]

1/ قياس المساوي [62]: في حمل مالم يسم فاعله على الفاعل بعلة الإسناد.[63]

أو حمل نظير على نظير , أمَّا في اللفظ كزيادة إنْ) بعد (ما) المصدرية الظرفية والموصلة [64].

وأمّا في المعنى جواز (غير قائم الزيدان) حملاً على (ما قام الزيدان) [65]

أمّا فيهما (في اللفظ والمعنى) كحملهم اسم التفضيل على (أفعلُ التعجب) في الشروط التي يُصاغ منها.[66]

2/ قياس الأوْلى: وهو (حمل أصل على فرع) [67] أيْ أنَّ العلة في الفرع أقوى منها في الأصل , ومنه حملهم اسم الفاعل في إضافته إلى ما بعده وعمله الجر فيه وهو معرف (بال) على الصفة المشبهة , قال سيبويه هذا الضاربُ الرجلَ شبهوه ب(الحسنُ الوجَه) وإنْ كان ليس مثله في المعنى ولا في أحواله إلىأنّه اسم وقد يجر كما يجره وينصب أيضاً كما ينصب). [68].

ومنه أيضاً إلغاء (ليس) حملاً على (ما) وهى فرع عليها في العمل وقال قد زعم بعضهم أن (ليس) تجعل ك(ما)[69]

3/ قياس الأدْون: وهو(حمل ضد على ضد) [70] أيْ: العلة في الفرع أضعف منها في الأصل ومثاله.

(لم يضربْ الرجلَ: حمل الجزم على الجر)[71]

بذلك يؤكّد الباحث:بأنّ الخلاف بين البصريين والكوفيين لم يكن خلافا في الأصول بل كان خلافا حول الفروع والجزئيات أمّا الخلافُ في لأصول فكانت قليلةً.

لقد أدّى التنافس بين المذهبين إلى اختلاف التعامل مع الأدلة العقلية منها على اختلاف في وجهات النظر.

إنّ البصريين بيّنوا الشاذ من كلام العرب ووضعوه جانبا ولم يبنوا عليه قاعدة ولم يؤسسوا له قياسا لكّنهم عدّوه كلاما مسموعا عن العرب بينما الكوفيون قد خالفوا البصريين بأنّ جعلوه أصلا وقاسوا عليه باعتباره كلاما مسموعا عن العرب.

القياس البصري:

بدأ القياس ونشأ مع النحو ونما معه أيضاً منتقلاً إليه من علوم الفقه والشريعة , وقد دعتْ إليه الحاجةُ في الشريعة ثم أصبح منهجاً عاماً وطريقاً سائدا في كثير من فروع المعرفة.

ولم يكنْ من باب المصادفة أنْ تعاصرَ مدرسةُ القياس مدرسة أُخرى في الفقه هي مدرسة الرأي التي أرسى دعائمها أبو حنيفة كما قال البعض.[72]

يرى الباحث: أن للقياس صلةً وثيقةً بالنحو العربي ولمَّا كان للبصريين السبق في مجال النحو , هم أول من أخذ بمبدأ القياس,

يقول عفيف دمشقية: «قد اقترن ذكر القياس النحوي في نشأته الأولى بعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي الذي تعمقت على يده الأنظار النحوية , فلم تعدْ مجرد استقراء هدفه ضبط القراءة على أساس الحفظ والتواتر وإنّما غدت نوعاً من الإحصاء العلمي يسبق وضع القوانين والقواعد والأقيسة التي يجب أن يقاس عليها ما يُمكن أن يكون من ظواهر مماثلة للظاهرة المرصودة.[73]

ويتطورُ القياسُ أدلةً لبناء النحو وأصلاً من أصوله عند الخليل , حتى يبلغ ذروته عند الفارسي.

ما الأدلة الأدلة التي اعتمد عليها الفريقان؟

لا شك إنَّ أعلى مراتب الكلام العربي الفصيح القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ثم كلام العرب شعراً ونثراً.

يوضّح الباحثان ويبينان كيف اعتمد القياس على القرآن الكريم في بناء القاعدة النحوية ؟

إنَّ أهم باعث على وضع النحو ونشوئه هو الحرص على صون النَّص القرآني من شوائب اللحن.[74]

والمعروف إنَّ تعدّد القراءات واختلافها تيسير للناس في قراءة القرآن الكريم , فقد روى النبي عليه الصلاة والسلام قال: «(إنَّ هذا القرآن أنزلَ على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه) [75]

ولأنَّ كل قراءة متصلة السند بالرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ما بينها وبين الأخرى من تخالف.[76] فضلًا عن أن القراءة لا تخالف, لأنّ القراءة سنة.[77]

وإنَّ القرآنَ العظيمَ أقوى وأعربُ في الحجة من الشعر.

وقبل الخوض في القراءات, يجب أن نميّز بين الاحتجاج للغة القرآن والاحتجاج بها , فالأول تكون فيه لغة القراءة القرآنية غير متفقة مع قواعد النحو ,أو مخالفة للشائع من الظواهر أو مجافيه لقياس النحاة؛ لذلك يلتمس لها النحو الأعذار والنظائر , حتى يثبت أنّها مقبولة في النحو على قرار ما فعله على الفارسي في كتابه الحُجة.

أمَّا الثاني تكون فيه لغة القرآن هي المصححة للأصول والدالة على صحة الاستنباط والقياس.

لقد انفردت القراءات القرآنية بإثبات قاعدةأو تقرير أصل على الرغم من أن البصريين كانوا ينظرون إلى القراءات وكأنّها على درجات من اللغة.[78]

من نماذج قياس سيبويه على القراءة:

فمثلا – عدم جواز العطف على الضمير المرفوع في اختيار الكلام إلاّ بفضلة إمَّا بضمير منفصل أو غيره.[79]

كقوله تعالى: (فَاذْهَبْ أنتَ وَرَبُّكَ) [80] وقوله تعالى: (اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) [81]

يرى الباحث:اتّضحَ من خلال استدلالهم واعتمادهم على المصدر الأول القرآن الكريم , إنّ الشاهد القرآني نهضَ وحده – هو جديٌر بهذا – دليلاً من أدلة النقل ليقوم قياساً , ورأينا من النحاة على تفاوت آرائهم قد اعتمدوا على القرآن منفرداً في مؤلفاتهم

أولاً: قياس القرآن الكريم على الحديث النبوي الشريف:

مثلاً من معاني (عن) قال ابن هشام معاني (البدل) نحو:

قال تعالى:(وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شَيْئًا) [82]

قياساً على الحديث النبوي: قال صلى الله عليه وسلم: (صمي عن أمك) [83]

قد قرأ بعضهم قوله تعالى: (وَأَمَّاثمودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ) [84] الشاهد قراءة (ثمودَ)(ثمودُ)

ثم قاسوا عليه هذا البيت وقد قُرأ على وجهين على النصب والرفع ,

قال الشاعر بشير أبي حازم:

فأمَّا تميمُ بن مُرَّة ** فألقاهم القوم وربي يناماً

والشاهد في الآية الكريمة (ثمودُ) قياساً على (تميمُ) قُرئت بالرفع.

نماذجٌ أخرى للاستدلال بالقراءات قياساً على الشعر أو العكس بالأصح قياس الشاهد الشعري بالقرآن.

النموذج قال تعالى: (أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) [85]

الشاهد – لقد تركت العرب جواب الشيء المعروف , أيْ تركت جواب الشرط وهو شيء معروف قياساً على الآية الكريمة السابقة وعليه قال الشاعر:

فأقسم شيء أتانا رسوله *** سواك ولكن لم نجد لك مرقعا

الشاهد – هنا ترك جواب لو الشرطية.[86]

ويقول سيبويه في موقع آخر:

« مما جاء في الشعر على لفظ الواحد يُراد به الجمع »

كلوا في بعض تعفوا *** فان زمانكم زمن خميص [87]

قياساً على قوله تعالى: (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ). [88]

الطرق التي انتهجها البصريون في أخذهم للقياس:

يرى الباحثان:

1. أنّ من الملاحظ على استدلالهم بالقرآن وقراءاته, ليس في كثرة ما يسوقونه من الآيات ولكن يكمن في عدم وضوح طريقة ثابتة لهم في الاستدلال. فقد كان سيبويه والأخفش مثلاً لا يسلكون طريقاً محدداً في الاستدلال بلغة القرآن سبيلاً واحدة , على الرغم من أنّهم ينسبون إلى مذهب واحد وهو المذهب البصري المشهور, فإنّهم كانوا يستدلون بالقراءات الشاذة.[89]

وهذا مخالف لما أشيع عنهم , الحقُّ أنَّ النحاةَ في هذه المرحلة لم يكونوا يفرقون بين شاذ القراءات وشواهدها , لأنَّ القراءات لم تصنّف هذا التصنيف إلّا على يد أبي بكر بن مجاهد في بداية القرن الرابع للهجرة.[90]

2. إنّ القياس بدأ بصرياً وإنَّ كثيراً من الدارسين المحدثين والقدماء وصفوا القياس البصري بالاتساع وأضيق في الرواية , على أنَّ الاتساع في القياس البصري المبني على العلل الفعلية قد يمنع السائغ ويضيق عن المسموع.
3. لذلك قد نزع المتأخرون إلى مخالفتهم فارتضوا القراءات جميعاً واقتاسوا بها , واتخذوا منها موضعاً لاستقرائهم واستنباط أصولهم , شاعت لغتها أم لم تشع ولا ريبَ في أنّ صحة القياس على ما ترد به الآيات الكريمة ثراء لأساليب القول في اللغة فوق ثرائها , وإغناء لمذاهب الكلام فوق اتساعها وتشعبها واستيعابها , وآي القرآن بأي قراءة قُرئت محصنة , مرتفعة عن مقام المتعقب والمستدرك , وما دامت القراءات كلها على اختلافها كلام الله , فمن قرأ حرفاً من هذه الحروف فقد أصاب كلَّ الصواب, وإنَّ الوجوه التي أنزل الله بها القرآن تنتظم كل وجه قرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وأقرأه أصحابه.

القياس الكوفي:

بـدأ القيـاس ونشـأ مـع النحـو , ونمـا معـه أيضـاً منتقـلاً إليـه مـن علـوم الشريعـة , ولا يعنـى ذلـك الانتقـال أنَّـه اصطنـع أولاً في علـوم الشريعـة ثـم أصبـح منهجـاً عامـاً وطريقـا سـائدا في كثـير مـن فـروع المعرفـة, وليكـن مـن بـاب المصادفـة أن تعـاصر مدرسـة القيـاس مدرسـة أخـرى في الفقـه هـي مدرسـة الـرأي التـي أرسى دعائمهـا أبـو حنيفـة كـما قـال بعضهـم.[91]

يـرى الباحثـان، إنّـه قـد تشـبّع الجـو الفكـري العـام بهذا الاتجـاه وسـاعد على ذلك انتشـار المنطـق وبحوثه ودراسـاته, كـما سـبق توضيحـه, إنَّ أهـم باعـث عـلى وضـع النحـو ونشـوئه هـو الحـرصُ عـلى صـون النصِ القـرآني مـن شـوائب اللحـن , وقـد أثـارت قراءاتـه المشـهورة والشـاذة مواقـف متباينة عنـد النحاة.

يرى الأفغاني: « ليس هنالك خلافٌ كبيُر بين البصريين والكوفيين في احتجاجهم بالقراءات.[92]

لم يكـن هنالـك خـلافُ في أن القـرآن الكريـم أصـلٌ مـن أصـول الدراسـات اللغويـة بمختلـف فروعهـا وكان يجـب أن يُبنـى كثـير مـن قواعـد النحـو عـلى شـواهده بمختلـف وجـوه قراءاتـه المتواتـرة التـي صـحّ سـندها , بـدلاً مـن الاعتـذار بـأن القـراءة سـنة لا يجـوز التعـرض لهـا بنقـد أوتخطئـه , لذلـك انفـردت القـراءات القرآنيـة بإثبـات قاعـدة, أو تقريـر أصـل ولا خـلاف في ذلـك.[93]

الكوفيون والقرآن وقراءاته:

كان للكوفيـين موقـفٌ قـد اختلـف قليـلاً عـن موقـف البصريـين مـن القـراءات, حيـث أنّهـم قبلوهـا واحتجـوا بهـا وعقـدوا عـلى مـا جـاء فيهـا كثـيرا مـن أصولهـم وأحكامهـم.[94] ورجحـوا بعضـاً منهـا. وتحرجوا مـن مخالفـة الكتـاب.[95]

الطرق التي انتهجها الكوفيون لأخذهم القياس في القرآن الكريم وقراءاته:

1- لم يكـن للكوفيـين حِّـدة البصريـين , لأنّهـم تسـاهلوا في الأخـذ. وقـد قـال النحـاس نقـلاً عـن الكوفيـين تعقيبـاً لهـم عـلى قـراءة حمـزة في قولـه تعـالى: (هُـوَ الَّـذِي يُصَوِّرُكُـمْ فِي الْأَرْحَـامِ)[96] بالخفـض.

فقال: وأمَّا الكوفيون فقالوا: هو قبيحٌ ولم يزيدوا على هذا.[97] بل جوزوه في الشعر.[98]

بينما الفراء في قوله تعالى:(يَجْعَلُ الْمَوْتِ)[99]

الشـاهدُ – نصـب (حـذرَ) عـلى غـير وقـوع مـن الفعـل عليـه حيـث لم تـردْ (يجعلونهـا حـذراً) إنّمـا قولهـم قياسـاً عـلى قولـك: « أعطيتـك خوفـاً وفرقـاً « , فإنّـك لا تعطيـه وإنّمـا تعطيـه مـن أجـل الخـوف. فنصبـه عـلى التفسـير* [100] ليـس بالفعـل كقولـه جـلَّ وعـزَّ: (يَدْعُونَنَـا رَغَبًـا وَرَهَبًـا). [101]

قال تعالى: (كيف تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ) [102] الشاهد هنا (كيف)على وجه التعجب والتوبيخ , لا على وجه الاستفهام المحض أي ويحكم كيف تكفرون ؟ وهو كقوله تعالى: (فأينَ تَذْهَبُونَ) وقوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ) [103] المعنى وقد كنتمُ ولو إضمار (قد) لم يجرِ مثله في الكلام وذلك قياساً على الآية في قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ) [104] المعنى فقد كذبت. مثل قولك وأصبحت كثر مالك (لا يجوز إلا وأنت تريد قد كثر مالك؛ لأنّها جميعاً قد كانا أمّا الثاني فحال للأول – والحال لا يكون إلا بإضمار (قد) أو بإظهارها.*

وأشار إليها د. محي الدين توفيق في دراسته لأبن الأنباري في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف في هذه المسألة ليس في وقوع الماضي المجرّد من (قد) (حالا) وإنّما الخلاف في إضمار (قد) في اختيار الكلام , فالكوفيون يجيزونه أيْ إضمارها والبصريون لا يجوّزونه إلّا في الضرورة.أمّا الأنباري قال في جواز مجيء الماضي حالاً من غير (قد) ظاهرة كانت أو مضمرة.

ظلّت القراءات مصدراً من مصادر الدرس النحوي عند النحاة وهنالك نماذج لقياس القراءات على الحديث. ولقد سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال بعض الشواهد , (لتأخذوا مصافكم).[105] ويريد به (خذوا مصافكم).

لقد احتج الفراء بالحديث أكثر من سيبويه وجعله هنا حُجة له في إثبات ما أنكره شيخه الكسائي.

القراءات والشعر:

قال تعالى: (إِنَّ يومَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) [106]

قال الفراء – يريد بذلك في الآية الكريمة الأولين والآخرين ولو (نَصَبَ) (ميقاتهم) وكان صواباً حيث جعل اليوم (صفة).

قد استشهد في القياس بقول أحدهم:

لو كنت أعلم أنَّ آخر عهدكم *** يومَ الرحيل فعلت ما لم أفعل

الشاهد نصب (يومَ) على أنّه صفة [107]

2-ولم يكن الفراء كالكسائي , إلاّ أنّه كان مكملاً له , وكان لا يعدم نزعة تجتمع به للانفراد برأي أو منهج , فهما كانا يستدلان بما جارى القياس النحوي ويرفضان ما سواه ولا يفرقان بين ما جاء متواتراً أو شاذاً[108]

3-إنَّ البصريين والكوفيين استدلوا بلغة القرآن الكريم وقراءاته ما تواتر منها وما شذّ وهم سواءٌ في قبول القراءات وردها على أنّ الشيءَ الذي يذكر هو أنّ النحاةَ في الكوفة أو الكوفيين (استقرأوا) لغة القرآن واستدلوا بها أكثر ممّا فعل البصريون ولم يتحفظوا.[109]

والتقدير في العبارات , ممّا جرّهم في كثير من الأمر إلى صور مختلفة في التعقيد والبعد في التأويل.

من الأمثلة والأدلة الشاذة التي أدْلى بها الكسائي برأيه (إعراب الأسماء الخمسة: (أبوك وأخواتها) , حيث كان البصريون وسيبويه والجمهور يرون ,أنّها معربة بحركات مقدرة على ما قبل الحروف، بينما الكسائي وتبعه الفراء يذهبان إلى أنها معْربة من مكانيْين بالحروف والحركات السابقة لها معاً ,غير ملتفتين إلى أن علامات الإعراب , أمّا أن تكون بالحركات كما في المفردات وإمَّا أن تكون بالحروف كما في المثنى , أنّه كان ينبغي أن يختار لها إعرابا؛ إمّا بالحروف وأمّا بالحركات كما ذهب سيبويه.[110]

4-هكذا وضع الكسائي أسس المدرسة الكوفية , وهى أسسٌ قامت على الاتساع في الرواية والقياس على الشاذ والنادر والمخالف , سواء وجدت سنداً من الشواهد أم لم تجد , فهم توسعوا دون ضابط وشاهد أحياناً.

هشام بن معاوية الضرير: كان من أنبه تلاميذ الكسائي بعد الفراء وكان يتصدر تدريس الطلاب والإملاء عليهم ,وكان مدربا لأبناء الأثرياء وذوي الجاه توفى عام (209 هـ) وكان يعنى بالتصنيف في النحو ومن مؤلفاته (الحدود , المختصر , القياس).

ومن أرائه الغريبة , الجمع بين الفاعل والمفعول به في نعت واحد فلا يُقال (ضَربَ زيد عمراً الظريفان) جَّوز ذلك هشام مع اختيار الرفع. [111]

5-لعَّل الملاحظَ للمدرسة الكوفية وعلمائها، كثرة الاتساع في الرواية والقياس والخلاف مع البصريين والنفوذ إلى أراء جديدة , يداخلها كثيرٌ من البعد والإعراب.[112]

الفراء هو يحي [113] بن زياد بن عبد الله , فارسي الأصل من الديلمة ولد بالكوفة في العام 144ه ونشأ بها , وأخذ ينهل منذ صغره من حلقات الفقهاء ورواة الأشعار والأخبار والأيام , وخاصة حلقة أبي جعفر الرواسي , ثم رحل إلى البصرة ومنها إلى يونس بن حبيب ويحمل كثيراً عنه ممّا كان يرويه من لغات الأعراب وأشعارهم , ثم عاد إلى مسقط رأسه بعد أن حمل من العلم الكثير، وكانت شهرة الكسائ أنذاك تدوي الأسماع , فرحل إليه وأخذ كل ما لديه من علم.[114]

ولعلّه مضى على أثر أستاذه يكثر من الرواية عن الأعراب الذين نزلُوا بغداد,أمّا الأصولُ فقد خالف البصريين في مسائل أربع أساسية وخاصة الفراء.

المسألة الأولى:كما سبق في ترجمة الكسائي عدم تفرقته بين الألقاب والإعراب والبناء , وكان حرياً به أن يفصل بينهما كما فصلت المدرسة البصرية.

المسألة الثانية: هي , إنَّ المصدرَ مشتقٌ من الفعل , لا كما ذهب البصريون بأنّ الفعل هو المشتق والمصدر هو الأصل.

المسألة الثالثة:هي إعراب الأفعال وأنّه أصل فيها كما الأسماء لا أنّه أصل في الأسماء وفروع في الأفعال, لأن الاسم يتسمُ بخلاف الفعل, فانّ اختلاف صيغة في التركيب يؤمن من اللبس فيه, بينما ذهب الفراء بأن الإعراب أصل في الأمثال كالأسماء.[115]

والمسألة الرابعة: مسألة الأفعال وأقسامها , فالبصريون يقسّمون الفعل , إلى ماضي , مضارع وأمر, أمّا الفراء ومن تبعه من الكوفيين فيقسّمونه إلى ماضٍ ومضارع ودائم , (وهم يريدونه الأمر).[116]

والمسائل والشواهد التي خالف فيها البصريين كثيرة من بينها قال تعالى: (فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ).[117].

حيث ذهب الفراء على إنَّ (خيراً) مفعول مطلق إذ التقدير آمنوا إيمانا خيراً لكم , بينما خالفه الكسائي بقوله: إن (خيراً) منصوبة على إضمار يكُنْ فقال: الفراء إن كلامه يبطله القياس , كأنك تقول (اتق الله تكنْ محسناً , ولا يجوز أن تقول (اتق الله محسناً) وأنت تضمر [118]

ومن أرائه أيضاً , وقف بإزاء الآية الكريمة, قوله تعالى:(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ)[119]

علّقَّ قائلاً: إنَّ القُراء قرأوُها (تحسبنَّ) بالتاء وقرأها حمزة (يحسبنَّ) بالياء , ولم يلبث أن ضعّف القراءة قائلاً: وما أحبّها لشذوذها) [120]

لقد كان الفراء يرُدَّ القراءة أو يقبّحها أو يضعّفها ولا نعلم بصرياً جاء بعده وردَّ مثل هذا القدر من القراءات , وبذلك يسقط جُل ما نسبه صاحب الإنصاف إلى البصريين دون الكوفيين من إنكار بعض القراءات.[121]

يرى الباحث، أنّهم ما أرادوا الطعن والرَّد بعينه وإنّما أرادوا البحث والتحري , والدقة.

من المسائل الخلافية بين المدرستين في القياس:

1/ مسألة القول في (العطف على اسم إنَّ بالرفع قبل مجيء الخبر)

أولاً: رأي الكوفيين في المسألة:

ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوز العطف على اسم (إنَّ) بالرفع قبل مجيء الخبر مطلقاً , سواء تبيّن فيه عمل (إنَّ) أو لم يتبيّن نحو: إنَّ زيداً وعمرو قائمان « وإنّك وبكر منطلقان « [122]

وذهب الفراء إلى أنّه لا يجوز ذلك إلا فيما لا يتبيّن فيه عمل (إنَّ) حيث يقول في معانيه « ولا استحب « إنَّ عبد الله وزيد قائمان) لتبيين الإعراب في(عبد الله) وقد كان (الكسائي) يجيزه لضعف(إنَّ).[123]

الأدلة التي اعتمد عليها الكوفيون:

استدل الكوفيون على جواز العطف على اسم (إنَّ) بالرفع قبل مجيء الخبر قياساً على (لا) نحو قولنا: « لا رجلَ ولا امرأةَ أفضلُ منك « وكذلك الأمر مع (إنَّ) لأنها بمنزلتها , وإنْ كانت إنْ للإثبات و (لا) (للنفي حملت على ضدّها كما يحمل على النظير)[124]

فكما يجوز العطف بعد تمام الخبر يجوزُ كذلك قبل تمام[125]

وذهب الفراء إلى أنّ الصابئون في قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى) [126]

مرفوع على أنّه عطف على (الذين) حرف من جهة واحدة في رفعه وخفضه , فلمّا كان إعرابه واحداً كان نصب (إنَّ) نصباً ضعيفا.[127]

ثانياً: رأيُ البصريين في المسألة:

ذهب البصريون إلى:(أنّه لا يجوز العطف على موضع (إنَّ) قبل تمام الخبر).[128]

الأدلة التي أعتمد عليها البصريون:

يقول سيبويه في كتابه ,» فأمَّا ما حُمِّل على الابتداء فقولك «إنَّ زيداً ظريفٌ وعمرو» «وانَّ زيداً منطلقٌ وسعيدٌ»؛ فعمرُ وسعيد يُرفعان على وجهين: فأحدُ الوجهين: حسنٌ والأخر ضعيف , فالحسن أن يكون محمولاً على الابتداء (للآن) معنى (إنَّ) زيداً منطلقٌ: زيدٌ منطلقٌ (وإنّ دخلت توكيد) والوجه الآخر الضعيف أن يكون محمولاً على الاسم المضمر في المنطق , «والظريف» فإن أردت ذلك فأحسنهُ (منطلقٌ هو وعمرو)(وانَّ زيدٌ عمرو) [129] , يتضحُ من كلام سيبويه أنّه لا يجيز العطف إلَّا بعد تمام خبر (إنَّ).

ويقول:ابن السراج « وأعلم أنّك إذا عطفت اسماً على (إنَّ) (وما) عملت فيه من اسم وخبر ذلك أن تنصبه على الاشتراك بينه وبين ما عملت فيه (إنَّ) ولك أن ترفع فتحمله على الابتداء يعنى موضع- إنَّ – فنقول (إنَّ زيدٌ منطلق هو وعمرو).[130]

موضع الخلاف:

يرى الباحثان: يعودُ الخلاف بين البصريين والكوفيين في هذه المسألة إلى اختلافهم في عمل (إنّ).

فالبصريون يرونها عاملة في المبتدأ والخبر على عكس الكوفيين الذين يرون أنَّها تعمل في المبتدأ فتنصبه ويرفع الخبر بما كان يرتفع به قبل دخولها.

انطلاقاً من هذا حكم الكوفيون على جواز العطف على موضع إنَّ) قبل مجيء الخبر, لأنّ الخبر

لا يدخل عندهم تحت تأثير (إنَّ) لآن (إنَّ) إنَّما أعملت لمشابهتها الفعل وهى فرعٌ عليه , والفرع أبداً أضعف من الأصل.

وكما يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع (لا) قياساً عليها (لا رجلَأمرأته أفضلُ منك) فكذلك مع (إنَّ).

ردَّ البصريون على الكوفيين:» بأنّه لا يوجد في كلام العرب عامل يعمل في الأسماء النصب ولا يعمل الرفع , ولقد أوجدنا تقديم المنصوب على المرفوع لضعف هذه الحروف عن رتبة الفعل فما ذكرتموه يؤدي إلى ترك القياس ومخالفة الأصول هذا هو الرأي الراجح.

مسألة القول في تقديم معمول اسم الفعل عليه.

رأي الكوفيين في المسألة:

ذهب الكوفيون إلى (أنَّه يجوز تقديم معمول ألفاظ الإغراء عليها نحو قولك: (زيداً عليك» , وعمراً دونك , وبكراً عندك) [131]

أولاً: أدلة الكوفيين – استدلَ الكوفيون على جواز تقديم معمول ألفاظ الإغراء عليها بقياسها على الأفعال , فهم يرون (أنّها نائبة عن الفعل وتقوم مقامه فجاز أنْ تتقدم معمولاتها عليها كالأفعال إلحاقا للفرع بالأصل وهو الأقرب.[132]

الوجه الأول:إضافة إلى إنّ اسم الفاعل واسم المفعول لمّا نابا عن الفعل جاز تقديم معموليهما عليهما فكذلك هنا , هذا وجه.

الوجه الثاني:إنَّ هذه الأسماء واقعة موقع الأمر ومعمول الأمر تقدم عليه فجاز أن تتقدم معمولات هذه الأسماء عليها, فقولك: «زيداً « في معني (ألزم زيداً) ولو قلت (زيداً ألزم) جاز ذلك أيضاً.[133]

فلمّا كان التقديم جائزاً مع الفعل فكذلك قام مقامه إلا إنَّ الفراء له وجهة نظر تخالفُ وجهة نظر الكوفيين, حيث يقول[134]: في قوله تعالى: (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) [135]

كقولك (كتاباً من الله عليكم) وقد قال بعض أهل النحو:» عليكم كتابَ الله).

ثانياً: ما ذهب إليه الفراء مخالفا لمنهج الكوفيين في الاحتجاج بالقياس متأثراً بالبصريين. [136]

رأي البصريين في المسألة:

أولا:أدلة البصريون –ذهب البصريون على « أنّه لا يجوز تقديم معمول اسم الفعل عليه» [137]

جاء في الكتاب « لسيبويه»: « وأعلم أنّه يقبّحُ « زيداً عين « « وزيداً حزرك» , لأنّه في أمثلة الفعل،

فقُبّح أن يجري ما ليس من الأمثلة مجراها , إلّا أن يقول « زيداً فتنصب بإضمارك (الفعل) ثم تذكر (عليك) بعد ذلك , فليس يقوى هذا قوة الفعل؛ لأنّه ليس بفعل ولا يتصرف تصرف الفاعل الذي في معنى يفعل).[138]

ويرى المبردُ « أن هذه الأسماء وضُعت لتدلّ على الفعل فأجريت مجراه ما كانت في مواضعها, ولا يجوز فيها التقديم والتأخير , لأنّها لا تتصرف تصرف الفعل كما لم تتصرف (إنَّ) تصرف الفعل فألزمت موضعاً واحداً , وذلك كقولك (صه , مه) فهذا إنّما معناه (أسكت و اكفف).[139]

ممّا سبق يتضحُ أنّ علةَ المنع عند البصريين هو عدم تصرُّف هذه الأسماء وجمودها فهي على صورة واحدة فكيف تجري مجرى الفعل المتصرف في جواز تقديم معموله عليه ؟

«والشيء إنَّما يتصرف عمله كما يتصرفُ هو في نفسه، فإذا لزم طريقة واحدة , لزم ما يعمل طريقة واحدة» [140]

ويؤكد سيبويه قائلاً: « إنَّ هذه الحروف التي هي أسماء الفعل لا تظهر فيها علامة المضمر , وذلك لأنّها أسماء وليست على الأمثلة التي أخذت منها الأفعال فيما مضى , وفيما يستقبل ولكن المأمور والمنهي مضمران في النية».[141]

فإذا قلت «دونك « أو « عليك» فقد أضمرت فاعلاً في النية فيكون التقدير: «عليك أنت « والكاف للمخاطبة , ومن هنا رأى البصريون إنَّ هذه الأسماء شابهت الأفعال من جهة المعنى فقط.

موضع الخلاف:

في هذه المسألة , أنّ الكوفيين أجازوا أنْ يتقدم معمول اسم الفعل عليه قياساً على الفعل فالفعل يتقدم معموله عليه فكذلك هنا , أمّا البصريون فيرفضون هذا؛لأنّ هذه الأفعالُ فرعٌ في العمل , إنَّما أعملت عمل الفعل لقيامها مقامه , فينبغي ألاّ تتصرّف تصرّفه , إذا لو قلنا: أنّه يتصرف عملها أو يجوز تقديم معمولاتها عليها لأدّى ذلك إلى التسوية بين الفرع والأصل وذلك لا يجوز؛ لأنّ الفرع أقلُ درجة من الأصول.[142]

أراء العلماء – عبد القاهر الجرجاني: « أعلم أنّ هذه الأسماء يُؤتى بها لضرب من الاختصار (صه، مه) يقومان مقام (اسكت , اكفف) وهذه الأسماء فروع على الأفعال فلا تتصرف تصريفها ولا يجوز تقديم مفعولها عليها نحو قولك «زيداً عليك» « عمراً دونك» [143]

فلما كانت فروعاً لم تقو قوة الأصل في جواز تقديم معمولها عليها.

يرى الباحثان: مما تمّ استعراضه وسرده وتوضيحه لآراء المدرستين والعلماء , أنّه لا يجوز تقديم مفعوله عليها.

أولاً – إنّها لا تتصرف كما يتصرف الفعل وإنّ اسم الفعل شابه الفعل معناً لا لفظاً ولا يتصرف تصرفه , ثانيا -كما لا تتصل به ضمائر الرفع البارزة ولا نون التوكيد ولا نون الوقاية , ولا أداة من أدوات الفعل).

ثاثا - كذلك لا تصل إلى مفعولها بنفسها بل تستعين بحرف عادته إيصال الفعل اللازم إلى المنصوب أو المفعول به لذلك يُزاد الياء في مفعولاتها نحو « عليك به « كذلك نجد الأفعال متصرفة وهى جامدة عليه والرأي الراجح, أنّ منطق البصريين ورأيهم هو الأقرب إلى الصواب.ولله العلم من قبل و بعد .

الخاتمة:

الحمدُ لله أولا وأخيرا والصلاةُ والسلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضلُ الصلاة وأتمّ التسليم ,أن وهبنا لغة عجز الأولون والآخرون فهْم أغوارها بالرغم من تلك الجهود العظيمة التي بذلها علماء اللغة والنحو خاصة ,للحفاظ على كتاب الله من التحريف والتدليس وسهّل الله علينا بأنْ أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف, وجعلوا لها أصولا اعتمدت عليها في الترتيب والتنظيم وقواعد مُحْكمةٌ, أطلقوا عليه القياس, يعتبر الثاني من أصول النحو العربي.

من خلال دراسة الباحثان لهذه الورقة:القياس بين البصريين والكوفيين دراسة تطبيقية في بعض النماذج القرآنية وقراءاته.توصل الباحثان إلى النتائج الآتية:

1. إنّ القياس بدأ بصريا وقد وصُف بالأتّساع بالرغم من تحديد القبائل والزمان ولكن أضيق في الرواية بينما الكوفيون لم تكن لهم حدة البصريين.
2. اختلاف التعامل مع الأدلة العقلية منها والنقلية أدّى إلى الاختلاف في وجهات النظر.
3. استطاعت البصرة أن تصوغ علم النحو صياغة دقيقة وانتهجت الاستقراء الدقيق,جعلت لكل قاعدة أصلا مضبوطا تُقاس عليه الجزئيات ,بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك حتى منتصف القرن الثاني للهجرة.
4. لايصحُّ التعويل على القياس في معارضة السّماع المستفيض ولا يجوز الاحتجاج العقلي في معارضة النقل الصحيح غير القابل للتأويل ينبغي أن تكون دراسة النحو قائمة على المعنى؛لأنّ المقصود من الكلام الإفهام.كما في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموافي ربّهم.....) الحج الآية 19بعض المواضع لا يصحُّ حمل النطق على ظاهره لأنّه يفسد المعنى إذن الشاهد هنا(خصمان) مثنى والخبر لم يأتي مطابقا له حيث جاء مطابقا للجمع فكيف وفّق بين المعنى والإعراب؟

قالوا خصمان في الأصل مصدر فقد حملت على الأسماء والصفات واختصموا إنّما حملت على المعنى لأنّ كل خصم فريق فيه أشخاص.

5. المذهب البصري لم يكن في منأى عن القرآن والقراءات والاعتداد بهما ولم يبدأ الطعن إلا عند علماء القرن الثالث.وفي مواضع محدودة.

6. الكوفيون كانوا أكثر اعتمادا على القرآن وقراءاته ولم يكونوا بعيدين عن الطعن في بعض القراءات والدليل على ذلك طعنهم في قراءة حمزة قال تعالى:(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ) حيث قرأها حمزة بالكسر في الميم.قد جاءت مخالفة للقياس البصري كما الكوفي, وهي عدم جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة الخافض , لذلك تعرّض بعض البصريين إلى القراءة خاصة المبرد الذي قال:»لو صليت خلف إمام يقرأ قوله (.....والأرحام) بكسر الميم لأخذت نعلي ومضيت.

أمّا الكوفيون ومنهم الفراء فقد وصف هذه القراءة بالقبح.الفراء معاني القرآن,252/1.

الهوامش

(1) ابن منظور, لسان العرب, (ق, ي, س).

(2) الرماني , لأبي الحسن الرماني, الحدود , تحقيق , إبراهيم السامرائي , دار النشر , دار الفكر للنشر والتوزيع , عمان , (د , ت) , ص (66-85)

(3) ابن جني , أبو الفتح عثمان بن جني , الهمع في اللغة العربية , تحقيق حامد المؤمن , ط1 للعام 1982م ., ص 93.

(4) الحلواني،محمد فخر الحلواني , الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين , دار النشر , دار الكتاب العربي , بيروت , 1952م ص136.

(5) ابن جني, الخصائص, (د,ت),عالم الكتابة ولطباعة والنشر والتوزيع ,تاريخ النشر 2006م,مجلد2 162/1.

(6) محمد بن سلام الجمحي, طبقات فحول الشعراء,(د. محقق), دار النشر, دار الكتب العلمية , بيروت , 1933م , ص 12/1.

(7) الخصائص, 14/1.

(8) سيبويه , الكتاب ,تحقيق عبد السلام هارون ,القاهرة ط! ,ص 4 /374.

(9) سيبويه،الكتاب،374/4.

(10) ابن جني, الخصائص, 357/1.

(11) الخصائص، 88/2..

(12) نفسه 12/2.

(13) نفسه 189/1

(14) السيوطي , الاقتراح في علم أصول النحو , تصحيح عبد الرحمن اليماني (د. ت).

(15) على أبو المكارم , أصول التفكير النحوي(د.م) , مطابع دار القلم , بيروت. 1973م , ص 95.

(16) محمد عاشور السويح , لقياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة , دار النشر , الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع للعام 1986م , ط1 , ص 29.

(17) ابن جني, الخصائص, الخصائص ,10/2.

(18) السيوطي الاقتراح في علم أصول النحو,,د.محمود فجال,دار القلم ,دمشق ,ط1, 1989م ص 72.

(19) ابن السراج ,الأصول في النحو , تحقيق د. عبد الحسين الفتلي , مؤسسة الرسالة ,بيروت ,ط3 ,1988م ,ص 56/1.

(20) سورة المجادلة الآية 19.

(21) سيبويه , الكتاب , 71/4.

(22) ابن السراج، الأصول في النحو 57/1.

(23) ابن جني, الخصائص, 97/1.

(24) السابق وينظر إلى السيوطي، الاقتراح ص 46.

(25) يقول بن منظور , وليس يأتي مفعول من ذوات الثلاثة من يأت الواو بالتمام إلا حرفان , مَصْوُوْن فان هذين الحرفين جاءا نادرين وهما في تاج العروس مادة (ص و ن) وفى العرب من يقول: مسك مدوف... ويقالُ مدووفٌ جاء على الأصل وهى لغة تميمية).

(26) السيوطي،الاقتراح في علم أصول النحو. ص 36.

(27) للميداني , مجمعُ الأمثال , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , دار القلم , لبنان – بيروت , 129/1, ويروي لأن سمَع بالمقيوي خيٌر والمختار (أنْ تسمعَ).

(28) سورة الروم الآية 24. في تفسير الطبري 33/12.

(29) محمد الخضر حسين،القياس في اللغة العربية ,(د.م) دار التشر، المطبعة السلفية حسين،القاهرة،للعام،١٩٣٥ص 83.

(30) السيوطي،الاقتراح ص 73.

(31) ابن جنى, الخصائص, 115/1.

(32) السيوطي،الاقتراح , ص 49.

(33) (سيبويه) ,الكتاب ,4/8.

(34) السيوطي،الاقتراح في علم أصول النحو ص 79.

(35) تمام حسان, الأصول,(د,م) , دار النشر عالم الكتب ,للعام ,2006م ,ص 159

(36) أبو البركات الأنبا ري , الإنصاف في مسائل الخلاف ,تحقيق محمد بهجت البيطار ,مطبوعات المجمع العلمي العربي,دمشق ,سوريا 2015م ص, 164/1.

(37) عزيز فوال بايتي , المعجم المفصل في النحو العربي , ط 1 – ج 2 – بيروت –لبنان , دار الكتب العلمية للعام 1992م , ص 1039.

(38) سعيد الأفغاني , أصول النحو العربي , (د,ت), دار النشر المكتبة الإسلامية,للطباعة والنشر ,للعام 1987م ص 111.

(39) محمود أحمد نحلة , أصول النحو العربي , (د,م), دار النشر در العلوم العربية ,ط!, 1987م ص 123,124,.

(40) السيوطي , الاقتراح ص 69.

(41) الروماني , الحدود في النحو , إبراهيم السامرائي, دار النشر ودار الفكر التوزيع , عمان , ص 50 ضمن كتاب رسائل في النحو واللغة.

(42) السيوطي , الاقتراح , ص 124.

(43) الأنبارى , لمع الأدلة , ص 56.

(44) الأنبارى , لمع الأدلة , ص 56 , نفسه.

(45) نفسه, ص 57.

(46) الأنبا ري , لمع الأدلة ص 57.

(47) الأنبا ري،لمع الأدلة ,ص57

(48) نفسه ص 59.

(49) السيوطي , الاقتراح , ص 69. (مسال ذلك إنَّ اسم الفاعل محمول علي الفعل في العمل , لذلك كان أضعف منه , فإذا استطاع الفعل أن يحمل الضمير في مثل قولك (زيد أخواك زارهما) لم يستطع اسم الفاعل الأضعف تحمل الضمير لذلك وجب إظهاره فتقولُ (زيد أخواك زائر إياهما هـ) ولا يجوز استشاره لقصور اسم الفاعل في العمل عن الفعل.

(50) السيوطي , الاقتراح ص 39

(51) ابن جني, الخصائص 97/1.

(52) المبرد،الكامل , ص 185/1.

(53) ابن جني, الخصائص, 97/1.

(54) فتحي عبد الرجنى , ظاهرة الشذوذ في النحو العربي. دار النشر وكالة المطبوعات – الكويت , للعام 1974م , ص 185.

(55) خديجة الحديثي , الشاهد في أصول النحو,(د,م),دار النشر ,الكويت ,للعام 1974م

(56) سيبويه , الكتاب , 287/2.

(57) سورة الأنعام.الآية 23

(58) الفراء , معاني القرآن , ص 270/2.

(59) سيبويه الكتاب , 209/1.

(60) أبو على الفارسي , الإيضاح العضدي , تحقيق حسن شاذلى فرهود , جامعة الرياض للعام 2013/5/20م , ص 210/1.

الزمخشرى , يعيش بن على , الفصل, دار النشر مكتبة المتنبئ , ص 21/2.

(61) الأنبارى , لمع الأدلة , ص 54.

(62) السيوطي , الاقتراح , ص 101.

(63) الأنبارى , لمع الأدلة ص 54.

(64) لمع الأدلة ص 106.

(65) الأنباري ,لمع الأدلة , ص 106.

(66) سيبويه،الكتاب , 95/4-96.

(67) السيوطي،الاقتراح , ص 101.

(68) سيبويه، الكتاب , 182/1.

(69) سيبويه ,الكتاب, 147/1.

(70) السيوطي،الاقتراح , ص 101.

(71) نفسه ص 106.

(72) سعيد الأفغاني, أصول النحو , ص 84.

(73) عفيف دمشقيه , تجديد النحو العربي , دار انشر معهد الإنماء العربي , فرع لبنان , بيروت , ط 1 للعام 1973م , ص 123..

(74) د. سعيد جاسم الزبيدى , القياس في النحو العربي نشأته وتطوره , تحقيق أ.د. عبد الرضا على, دار النشر, دار الشروق للنشر والتوزيع عمان, الأردن, رام الله فلسطين, للعام 1997/12/19م, ص 81.

(75) صحيح البخاري, 185/6.

(76) عبد الفتاح شلبي , أبو على الفارسي , ص 12.

(77) سيبويه , الكتاب , 148/1.

(78) الفراء معاني القرآن , 14/1.

(79) سيبويه الكتاب، ج378/2، 379

(80) سورة المائدة، الآية 24.

(81) سورة الأعراف، الآية 19.

(82) سورة البقرة، الآية 48.

(83) ابن هشام مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ,دار الطلائع ,القاهرة ج1، 157.

(84) سورة فصلت، الآية 17.

(85) سورة الرعد، الآية 31.

(86) سعيد جاسم الزبيديي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، ص 93.

(87) القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، 94.

(88) سورة النساء، الآية 4.

(89) سيبويه , الكتاب , 95/1 , 290 , 106/2 , 137 , 138 ,393 , 13/2 ,143 , 242 , 81/4-82.

(90) خديجة الحديثى , الشاهد في أصول النحو ص 60.

(91) مهدي المخزومي,مدرسة الكوفة,ص341

(92) سعيد الأفغاني, أصول النحو , ص 84.

(93) عفاف محمد حسانين , أدلة النحو , (د,م) , دار النشر لمكتبة المصرية ص 27.

(94) مهدي المخزومي , مدرسة الكوفة , ص 341.

(95) نفسه،ص ٣٤١.

(96) سورة آل عمران الآية(6)

(97) النحاس ,إعراب لقرآن الكريم , تحقيق زهير غازي ,دار النشر ,عالم الكتب ,بيروت ,للعام 1988م 390/1,

(98) الفراء,معاني القرآن,32/1

(99) سورة البقرة الآية 19

(100) الفراء , معاني القرآن , ص 184/3 *مصطلح كوفي يراد به التمييز.

(101) سورة الأنبياء، الآية 90

(102) سورة البقرة,الآية 28

(103) سورة التكوير، الآية 26 من

(104) سورة يوسف، الآية 26.

(105) * وهي من المسائل الخلافية التي نسبت إلى الكوفيين , المسألة 32 هل يقع الفعل الماضي حالًا , الإنصاف 252/1.

(106) سورة الدخان، الآية 40

(107) الفراء , معاني القرآن , (499/1 470-).

(108) معاني القرآن, 18/1 , 223 , 241 , 252 , 314 , 357 , 389 , 22/2 , 75 , 145.

(109) عبد العال سالم , أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية , ص 57.

(110) السيوطي, جلال الدين, همع الهوامع,38/1, تحقيق عبد العال سالم مكرم, دار النشر- دار البحوث العلمية الكويت 1980م- ج1, ص38.

(111) الرضي , محمد بن الحسن الاستربادى , شرح الرضي , على كافية الحاجب , ت- عبد العال سالم مكرم , عالم الكتب , القاهرة , ط1 , ص 381, ص 716.

(112) شوقي ضيف , ص 191 .

(113) الزبيدى , ص 143 , وأبا الطيب اللغوي ص 86. (الزبيدي , عبد اللطيف المتوفى 802 هـ ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة البصرة والكوفة , ت- د. طارق الخيابى , عالم الكتب.

(114) الزجاجي , أبو القاسم عبد الرحمن ت 337هـ , مجالس العلماء , ت- عبد السلام هارون , مطبعة المدني للطباعة والنشر , ط1 , ص269 , للعام 1983م.

(115) نفسه ص 80.

(116) الفراء, معاني القرآن , ص 165/1.

(117) سورة النساء الآية ١٧٠

(118) الفراء , معاني القرآن ص 295/1.

(119) سورة الأنفال، الآية 59, نزلت فيمن أفلت يوم بدر يا محمد لا تحسبن , الذين كفروا , أي أنَّ

هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم إذا طلبهم وأراد تفديتهم وهلاكهم بأنفسهم فيفوهوه بها , تفسير بن كثير , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل , بن كثير , دار النشر مكتبة نور , ط ابن حزم , رقم الطبعة 1 , للعام 2000 م الجزء 285/2.

(120) الفراء , معاني القرآن , ص 373/1.

(121) شوقى ضيف , المدارس النحوية ,ص 223.

(122) أبو البركات عبد الرحمن بن سعيد الأنبارى , أسرار العربية , تحقيق محمد بهجت البيطار , مطبوعات المجمع العلمي العربي , دمشق , سوريا , د ط د ت , ص 152.

(123) الفراء , معاني القرآن , للعام 1983م , ج1 , ص 311.

(124) ابن الأنبارى , الإنصاف في مسائل الخلاف , المسألة (203) , ج1 , ص 167.

(125) العكبري , التبيين عن مذاهب النحويين , المسألة (52) , ص 71.

(126) سورة المائدة الآية 69.

(127) الفراء , معاني القرآن , ج1 , ص 311.رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادى , شرح الرضي على الكافية , تحقيق يوسف حسن عمر, جامعة فاز يونس , بنغازي – ليبيا , ط2 , ج2 , ص 354.

(128) رضي الدين محمد الاستربادي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف عمر، دار النشر قازيونس بنغازي،ط2،ج2، ص354

(129) سيبويه , الكتاب , تحقيق عبد السلام هارون , مكتبة الخانجى , القاهرة , مصر , ط3 للعام 1988م , ج2 , ص 145.

(130) أبوبكر محمد بن سهل بن السريع النحوي البغدادي , الأصول في النحو , تحقيق عبد الحسين الفتلى , مؤسسة الرسالة , بيروت , لبنان , ط3 , 1996م , ج1 , ص 240.

(131) ابن الأنبارى , الإنصاف في مسائل الخلاف , المسألة 27 , ص 200

(132) العكبرى , التبيين عن مذاهب النحويين , المسألة 59 , ص 375.

(133) المرجع السابق، ص 375.

(134) الفراء، معاني القران، ج1،260.

(135) سورة النساء، الآية 24.

(136) الفراء، آراء الفراء النحوية في خزانة الأدب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، على محمد عبد الله، قسم الدراسات العليا، جامعة ام القرى للعام 2011م، ص 250.

(137) ابن الانباري، مسالة رقم 270، ص200.

(138) سيبويه الكتاب، ج1، ص253.

(139) أبو العباس محمد بن زيد المبرد , المقتضب , تحقيق , محمد عبد الخالق عظيمة , دار النشر , لجنة إحياء التراث , القاهرة مصر , للعام 1994م , ط3 , ج1 , ص 202.

(140) المبرد, المقتضب, ص 142.

(141) سيبويه , الكتاب , ج1 , ص 242.

(142) الأنبا ري ,الإنصاف , المسألة 27 , ج1 , ص 201.

(143) عبد القاهر الجرجاني, المقتصد في شرح الإيضاح, تحقيق كاظم المرجان, دار الرشيد للنشر, بغداد, العراق, د.ط , للعام 1982م, م1 , ص 577.

المصادر والمراجع

(1) ابن منظور, لسان العرب, (ق, ي, س).

(2) 2.الرماني , لأبي الحسن الرماني, الحدود , تحقيق , إبراهيم السامرائي , دار النشر , دار الفكر للنشر والتوزيع , عمان , (د , ت) , ص (66-85)

(3) 3.ابن جني , أبو الفتح عثمان بن جني , الهمع في اللغة العربية , تحقيق حامد المؤمن , ط1 للعام 1982م ., ص 93.

(4) الحلواني،محمد فخر الحلواني , الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين , دار النشر , دار الكتاب العربي , بيروت , 1952م ض 136.

(5) ابن جني, الخصائص, (د,ت),عالم الكتابة ولطباعة والنشر والتوزيع ,تاريخ النشر 2006م,مجلد2 162/1.

(6) محمد بن سلام الجمحي, طبقات فحول الشعراء,(د. محقق), دار النشر, دار الكتب العلمية , بيروت , 1933م , ص 12/1.

(7) المرجع السابق, 14/1.

(8) سيبويه , الكتاب ,تحقيق عبد السلام هارون ,القاهرة ط! ,ص 4 /374.

(9) سيبويه،الكتاب،374/4.

(10) ابن جني, الخصائص, 357/1.

(11) المرجع السابق 88/2..

(12) نفسه 12/2.

(13) نفسه 189/1

(14) السيوطي , الاقتراح في علم أصول النحو , تصحيح عبد الرحمن اليماني (د. ت).

(15) على أبو المكارم , أصول التفكير النحوي(د.م) , مطابع دار القلم , بيروت. 1973م , ص 95.

(16) محمد عاشور السويح , لقياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة , دار النشر , الدار الجاهرية للنشر والتوزيع للعام 1986م , ط1 , ص 29.

(17) ابن جني, الخصائص ,10/2.

(18) السيوطي الاقتراح في علم أصول النحو,,د.محمود فجال,دار القلم ,دمشق ,ط1, 1989م ص 72.

(19) ابـن الـسراج ,الأصـول في النحـو , تحقيـق د. عبـد الحسـين الفتـلي , مؤسسـة الرسـالة ,بـيروت ,ط3 ,1988م ,ص 56/1.

(20) سورة المجادلة الآية 19.

(21) سيبويه , الكتاب , 71/4.

(22) ابن السراج، الأصول في النحو 57/1.

(23) ابن جني, الخصائص, 97/1.

(24) السابق وينظر إلى السيوطي، الاقتراح ص 46.

(25) يقـول بـن منظـور , وليـس يـأتي مفعـول مـن ذوات الثلاثـة مـن يـأت الـواو بالتـمام إلا حرفـان , مَصْـوُوْن فـان هذيـن الحرفـين جـاءا نادريـن وهـما في تـاج العـروس مـادة (ص و ن) وفى العـرب مـن يقـول: مسـك مـدوف... ويقـالُ مـدووفٌ جـاء عـلى الأصـل وهـى لغـة تميميـة).

(26) السيوطي،الاقتراح في علم أصول النحو. ص 36.

(27) للميـداني , مجمـعُ الأمثـال , تحقيـق محمـد محـي الديـن عبـد الحميـد , دار القلـم , لبنـان – بـيروت , 129/1, ويـروي لأن سـمَع بالمقيـوي خـيرٌ والمختـار (أنْ تسـمعَ).

(28) سورة الروم الآية 24. في تفسير الطبري 33/12.

(29) محمـد الخـضر حسـين،القياس في اللغـة العربيـة ,(د.م) دار التـشر، المطبعـة السـلفية حسـين،القاهرة،للعام،١٩٣٥ص 83.

(30) السيوطي،الاقتراح ص 73.

(31) ابن جنى, الخصائص, 115/1.

(32) السيوطي،الاقتراح , ص 49.

(33) (سيبويه) ,الكتاب ,4/8.

(34) السيوطي،الاقتراح في علم أصول النحو ص 79.

(35) تمام حسان, الأصول,(د,م) , دار النشر عالم الكتب ,للعام ,2006م ,ص 159

(36) أبـو الـبركات الأنبـا ري , الإنصـاف في مسـائل الخـلاف ,تحقيـق محمـد بهجـت البيطـار ,مطبوعـات المجمـع العلمي العربي,دمشـق ,سـوريا 2015م ص, 164/1.

(37) عزيـز فـوال بايتـي , المعجـم المفصـل في النحـو العـربي , ط 1 – ج 2 – بـيروت –لبنـان , دار الكتـب العلمية للعـام 1992م , ص 1039.

(38) سعيد الأفغاني , أصول النحو العربي , (د,ت), دار النشر المكتبة الإسلامية,للطباعة والنشر ,للعام 1987م ص 111.

(39) محمود أحمد نحلة , أصول النحو العربي , (د,م), دار النشر در العلوم العربية ,ط!, 1987م ص ,123,124.

(40) السيوطي , الاقتراح ص 69.

(41) الروماني , الحدود في النحو , إبراهيم السامرائي, دار النشر ودار الفكر التوزيع , عمان , ص 50 ضمن كتاب رسائل في النحو واللغة.

(42) السيوطي , الاقتراح , ص 124.

(43) الأنبارى , لمع الأدلة , ص 56.

(44) الأنبارى , لمع الأدلة , ص 56 , نفسه.

(45) نفسه, ص 57.

(46) الأنبا ري , لمع الأدلة ص 57.

(47) الأنبا ري،لمع الأدلة ,ص57

(48) نفسه ص 59.

(49) السيوطي , الاقتراح , ص 69. (مسألة ذلك إنَّ اسم الفاعل محمول علي الفعل في العمل , لذلك كان أضعف منه , فإذا استطاع الفعل أن يحمل الضمير في مثل قولك (زيد أخواك زارهما) لم يستطع اسم الفاعل الأضعف تحمل الضمير لذلك وجب إظهاره فتقولُ (زيد أخواك زائر إياهما هـ) ولا يجوز استشاره لقصور اسم الفاعل في العمل عن الفعل.

(50) السيوطي , الاقتراح ص 39

(51) ابن جني, الخصائص 97/1.

(52) المبرد،الكامل , ص 185/1.

(53) ابن جني, الخصائص, 97/1.

(54) فتحي عبد الرجنى , ظاهرة الشذوذ في النحو العربي. دار النشر وكالة المطبوعات – الكويت , للعام 1974م , ص 185.

(55) خديجة الحديثي , الشاهد في أصول النحو,(د,م),دار النشر ,الكويت ,للعام 1974م

(56) سيبويه , الكتاب , 287/2.

(57) سورة الأنعام.الآية 23

(58) الفراء , معاني القرآن , ص 270/2.

(59) سيبويه الكتاب , 209/1.

(60) أبـو عـلى الفـارسي , الإيضـاح العضـدي , تحقيـق حسـن شـاذلى فرهـود , جامعـة الريـاض للعـام 2013/5/20م , ص 210/1.

(61) الزمخشرى , يعيش بن على , الفصل, دار النشر مكتبة المتنبئ , ص 21/2.

(62) الأنبارى , لمع الأدلة , ص 54.

(63) السيوطي , الاقتراح , ص 101.

(64) الأنبارى , لمع الأدلة ص 54.

(65) المرجع السابق ص 106.

(66) الأنباري ,لمع الأدلة , ص 106.

(67) سيبويه،الكتاب , 95/4-96.

(68) السيوطي،الاقتراح , ص 101.

(69) سيبويه، الكتاب , 182/1.

(70) سيبويه ,الكتاب, 147/1.

(71) السيوطي،الاقتراح , ص 101.

(72) نفسه ص 106.

(73) سعيد الأفغاني, أصول النحو , ص 84.

(74) عفيـف دمشـقيه , تجديـد النحـو العـربي , دار انـشر معهـد الإنمـاء العـربي , فـرع لبنـان , بـيروت , ط 1 للعـام 1973م , ص 123..

(75) د. سـعيد جاسـم الزبيـدى , القيـاس في النحـو العـربي نشـأته وتطـوره , تحقيـق أ.د. عبـد الرضـا عـلى, دار النـشر, دار الـشروق للنـشر والتوزيـع عـمان, الأردن, رام اللـه فلسـطين, للعـام 1997/12/19م, ص 81.

(76) صحيح البخاري, 185/6.

(77) عبد الفتاح شلبي , أبو على الفارسي , ص 12.

(78) سيبويه , الكتاب , 148/1.

(79) الفراء معاني القرآن , 14/1.

(80) سيبويه الكتاب، ج378/2، 379

(81) سورة المائدة، الآية 24.

(82) سورة الأعراف، الآية 19.

(83) سورة البقرة، الآية 48.

(84) ابن هشام مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ,دار الطلائع ,القاهرة ج1، 157.

(85) سورة فصلت، الآية 17.

(86) سورة الرعد، الآية 31.

(87) د.سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، ص 93.

(88) نفسه، 94.

(89) سورة النساء، الآية 4.

(90) سيبويه , الكتاب , 95/1 , 290 , 106/2 , 137 , 138 ,393 , 13/2 ,143 , 242 , 81/4-82.

(91) خديجة الحديثى , الشاهد في أصول النحو ص 60.

(92) مهدي المخزومي,مدرسة الكوفة,ص341

(93) سعيد الأفغاني, أصول النحو , ص 84.

(94) عفاف محمد حسانين , أدلة النحو , (د,م) , دار النشر لمكتبة المصرية ص 27.

(95) مهدي المخزومي , مدرسة الكوفة , ص 341.

(96) نفسه،ص ٣٤١.

(97) سورة آل عمران الآية(6)

(98) النحاس ,إعراب لقرآن الكريم , تحقيق زهير غازي ,دار النشر ,عالم الكتب ,بيروت ,للعام 1988م ,390/1

(99) الفراء,معاني القرآن,32/1

(100) سورة البقرة الآية 19

(101) الفراء , معاني القرآن , ص 184/3 *مصطلح كوفي يراد به التمييز.

(102) سورة الأنبياء، الآية 90

(103) سورة البقرة,الآية 28

(104) سورة التكوير، الآية 26 من

(105) سورة يوسف، الآية 26.

(106) وهي من المسائل الخلافية التي نسبت إلى الكوفيين , المسألة 32 هل يقع الفعل الماضي حالاً , الإنصاف 252/1.

(107) سورة الدخان، الآية 40

(108) الفراء , معاني القرآن , (499/1 470-).

(109) نفسه, 18/1 , 223 , 241 , 252 , 314 , 357 , 389 , 22/2 , 75 , 145.

(110) عبد العال سالم , أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية , ص 57.

(111) السيوطي, جلال الدين, همع الهوامع,38/1, تحقيق عبد العال سالم مكرم, دار النشر- دار البحوث العلمية الكويت 1980م- ج1, ص38.

(112) الرضي , محمد بن الحسن الاستربادى , شرح الرضي , على كافية الحاجب , ت- عبد العال سالم مكرم , عالم الكتب , القاهرة , ط1 , ص 381, ص 716.

(113) شوقي ضيف , ص 191.

(114) الزبيدى , ص 143 , وأبا الطيب اللغوي ص 86. (الزبيدي , عبد اللطيف المتوفى 802 هـ ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة البصرة والكوفة , ت- د. طارق الخيابى , عالم الكتب.

(115) الزجاجي , أبو القاسم عبد الرحمن ت 337هـ , مجالس العلماء , ت- عبد السلام هارون , مطبعة المدني للطباعة والنشر , ط1 , ص269 , للعام 1983م.

(116) نفسه ص 80.

(117) الفراء, معاني القرآن , ص 165/1.

(118) سورة النساء الآية ١٧٠

(119) لفراء , معاني القرآن ص 295/1.

(120) سورة الأنفال، الآية 59, نزلت فيمن أفلت يوم بدر يا محمد لا تحسبن , الذين كفروا , أي أنَّ هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم إذا طلبهم وأراد تفديتهم وهلاكهم بأنفسهم فيفوهوه بها , تفسير بن كثير , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل , بن كثير , دار النشر مكتبة نور , ط ابن حزم , رقم الطبعة 1 , للعام 2000 م الجزء 285/2.

(121) الفراء , معاني القرآن , ص 373/1.

(122) شوقى ضيف , المدارس النحوية ,ص 223.

(123) أبو البركات عبد الرحمن بن سعيد الأنبارى , أسرار العربية , تحقيق محمد بهجت البيطار , مطبوعات المجمع العلمي العربي , دمشق , سوريا , د ط د ت , ص 152.

(124) الفراء , معاني القرآن , للعام 1983م , ج1 , ص 311.

(125) ابن الأنبارى , الإنصاف في مسائل الخلاف , المسألة (203) , ج1 , ص 167.

(126) العكبري , التبيين عن مذاهب النحويين , المسألة (52) , ص 71.

(127) سورة المائدة الآية 69.

(128) الفراء , معاني القرآن , ج1 , ص 311.رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادى , شرح الرضي على الكافية , تحقيق يوسف حسن عمر, جامعة فاز يونس , بنغازي – ليبيا , ط2 , ج2 , ص 354.

(129) رضي الدين محمد الاستربادي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف عمر، دار النشر قازيونس بنغازي،ط2،ج2، ص354

(130) سيبويه , الكتاب , تحقيق عبد السلام هارون , مكتبة الخانجى , القاهرة , مصر , ط3 للعام 1988م , ج2 , ص 145.

(131) أبوبكر محمد بن سهل بن السريع النحوي البغدادي , الأصول في النحو , تحقيق عبد الحسين الفتلى , مؤسسة الرسالة , بيروت , لبنان , ط3 , 1996م , ج1 , ص 240.

(132) ابن الأنبارى , الإنصاف في مسائل الخلاف , المسألة 27 , ص 200

(133) العكبرى , التبيين عن مذاهب النحويين , المسألة 59 , ص 375.

(134) المرجع السابق، ص 375.

(135) الفراء، معاني القران، ج260،1.

(136) سورة النساء، الآية 24.

(137) الفـراء، آراء الفـراء النحويـة في خزانـة الأدب، مذكـرة لنيـل شـهادة الماجسـتير، عـلى محمـد عبـد اللـه، قسـم الدراسـات العليـا، جامعـة ام القـرى للعـام 2011م، ص 250.

(138) ابن الانباري، مسالة رقم 270، ص200.

(139) سيبويه الكتاب، ج1، ص253.

(140) أبـو العبـاس محمـد بـن زيـد المـبرد , المقتضـب , تحقيـق , محمـد عبـد الخالـق عظيمـة , دار النـشر , لجنـة إحيـاء الـتراث , القاهـرة مـصر , للعـام 1994م , ط3 , ج1 , ص 202.

(141) المبرد, المقتضب, ص 142.

(142) سيبويه , الكتاب , ج1 , ص 242.

(143) الأنبا ري ,الإنصاف , المسألة 27 , ج1 , ص 201.

(144) عبـد القاهـر الجرجـاني, المقتصـد في شرح الإيضـاح, تحقيـق كاظـم المرجـان, دار الرشـيد للنـشر, بغـداد, العـراق, د.ط , للعـام 1982م, م1 , ص 577.

التدافع اللغوي في عصر العولمة

(اللغة العربية نموذجاً)

أ. إكرام عبد الرازق إبراهيم العيسابي
طالبة دكتوراه - كلية الدراسات العليا
جامعة البحر الأحمر

د. هناء محمد أبوزينب محمد
جامعة البحر الأحمر

المستخلص:

هذه ورقة بحثية بعنوان (التدافع اللغوي في عصر العولمة)، وتهدف إلى التعريف بالآفاق المستقبلية للغة العربية، والتحديات التي تواجهها. ومعرفة وزن اللغة العربية ومكانتها بين اللغات الأخرى. أفادت الباحثة في جمع المعلومات على عدد من الدراسات السابقة، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي، وتوصَّلت الورقة إلى عدة نتائج، أبرزها أن العربية فرضت نفسها منذ عهود، وما زالت، وحافظت على التراث الإنساني من الضياع، وأنها تعدُّ قسمًا خطيرًا من لغات العالم المعتمدة في الترجمة. وأن العولمة الثقافية لا يمكن أن تُواجه بالثقافة واللغة وحدها، بل ببناء مجتمع تقاني ثقافي. وقد أوصت الباحثة الباحثين بالاتجاه بدراساتهم نحو اللغة العربية، والتخلِّي عن كل ما يكتب باللهجات العامية مهما كان مستواه أو سببه. وكذلك العمل ـ من خلال بحوثهم ـ على محاربة أسباب التخلُّف والفساد.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، التدافع اللغوي، العولمة.

Linguistic rush in the era of globalization

(The Arabic language is a model)

- A.Ikram Abdel Razek Ibrahim El Esabi
- Dr. Hana Mohammed Abuzeinab Mohammed

Abstract:

This research paper entitled "*Linguistic rush in the era of globalization*" It aims to identify the future prospects of Arabic language and challenge that

face it. To find out the position of Arabic language among other languages. Previous studies have been used as a tool for data collection.The researcher used descriptive analytical method to conduct the study. The study reached to some findings among which are; Arabic language compels since years ago. It maintains the Islamic heritage from death. It isone of theconsidered language in the field of translation.The researcher recommends the following to carry out more studies about Arabic language.

Key words: Arabic language, globalization, Linguistic rush

المقدمة:

تناولت الباحثة السعي إلى اتخاذ سياسات لغوية ملزمة لإعلاء شأن العربية توجيهاً وتمويلاً لإعادة الاعتبار إليها، ومن المعلوم والواضح أن العربية ثرية جداً، بل هي أثرى لغة عرفت في الأرض، واللغة العربية هي اللغة الأم، وفي ظل ثورة العلم والتكنولوجيا وفي صراع الحضارات والعولمة التي تؤثر في مناحي الحياة، تبقى صيغة مرنة وحاضنة لشتى أنواع المتغيرات والمؤتمرات لأنها لغة القرآن فلا خوف عليها من التبدل والتغير، فتستمر غنية قادرة على التفاعل واحتواء هذه المتغيرات بثراء وغنى معرفي ولغوي دقيق.

مشكلة البحث:

1. دعوات مخيفة تتحدث عن انتحار العربية، وأنها غير قادرة على مسايرة العصر ومواكبة عالم التكنولوجيا والتطور الحاصل جراء الثورة لمعلوماتية.
2. ناقوس الخطر بدق منذ زمن بعيد ويدق بين حين وآخر حيث تأتي العولمة والتي ماهية إلا هيمنة أمريكية في ثوب غشيب جماله يزهو العقول ويغلب الالباب وبريقه يعمي الابصار وأن مصير العرب في شدق القول الذي يفترس وقاتنا ويتحول الى سلحفاة تتربع على الأدمغة وأحياناً اي حلزون دبق فوق الالسنة ذلك القول المارد ذو الرؤوس المتعددة الذي يهدد كياننا ووحدتنا.

الأهداف:

1/ تهدف الدراسة إلى بحث واقع اللغة العربية اليوم في ظل ما تشهده من حوار للحضارات في عصر تسيطر عليه علمانية متطرفة وطوفان جارف للعولمة اللغوية والثقافية.

2/ بحث سبل النهوض بالعربية لمواكبة تلك التيارات الجارفة وتحديها.

أهمية البحث:

- انتشرت العولمة بمظهرها التقاني (الحواسيب، الشبكات والفضائيات) فعلا التكبير وضج الصراخ مما يتوهمون على آثارها المدمرة على العقيدة والثقافة واللغة.
- استفحال الالفاظ الاجنبية في الخطاب العربي مما ادى الى بروز استعمال لغوى ملّوث.
- لقد تفرقت أمتنا في اللسان واللهجات، وتفرقت كل لهجة دارجات حتى أصبحت بكل شعب عربي لهجات ودارجات.
- إن مصير الامة لا لغة تجمعه لغة يتحدث بها الجميع ويقرؤها الجميع إننا أمة غنية بالعاميات مفتقرة الى لسان جامع.

الدراسات السابقة:

دعوة العرب والعولمة بدعوة من مركز دراسات الوحدة العربية (1997م)، بيروت، اللغة العربية في عصر المعلوماتية، المجمع الخامس للعربية بدمشق، 2006م.

ويلات العولمة على الدين والثقافة واللغة، دار النقاش، بيروت، 2006م.

مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة، المجلس العلمي للغة العربية بيروت 2005م

-ندوة مرصد اللغة العربية من ابحاث الندوة دمشق 2010م.

ومن هذه المؤتمرات والندوات التي ذكرت على سبيل المثال لا الحصر إن هنالك مشكلة احدثت تدافع لغوياً –التدافع اللغوي في عصر العولمة –لقد استفادت الباحثة من هذه المؤتمرات والندوات وبذلت قصارى جهدها ساعية للمزيد لحل هذه المشكلة وتوصلت الباحثة الى أن العولمة واقع ليس ت للرفض أو القبول أنها نظام فكري واقتصادي وسياسي لابد من تفكيكه والتعامل معه بما يلزم من أدوات معرفية، ويجب الانخراط في العولمة دون تردد لأنها ظاهرة حضارية عالمية لا يمكن التقدم خارجها..

منهجية البحث:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

وقد جاء الحديث عن مرجع الخلاف بين وجهتي نظر الباحثين، فمنهم من رأى انتحار العربية أو شارفت على موتها، ومنهم من يرى العربية بخير وعافية فلا داعي لإبداء القلق المبالغ فيه، مع اعترافها بوجود عدد من التحديات والعراقيل التي لا تؤثر في مجملها تأثيراً كبيراً على الوضع العام للغتنا.

والحقيقة أن مرجع الخلاف بين وجهتي النظرهاتين قد يمكن نوعية المعايير التي يستعملها كل منهما، وفي زاوية النظر، قد ينطلق منها هذا الطرف أو ذاك، وفي أحيان كثيرة لا تكون ضد بعض من يخوضون في الموضوع أية معايير أو مقاييس موضوعية، إنما هناك مجرد انطباعات عامة تتكون لديهم نتيجة ملاحظات سريعة وعابرة أو نتيجة ميل وعاطفة فتكون الأحكام ذاتية محضة.

يحاول هذا البحث أن يشق طريقه في هدوء بين هذين التيارين من المتفائلين جداً والمتشائمين جداً، ليقول كلمته حول وضع العربية في هذا العصر الذي يسمى عادة (عصر العولمة[1]) والتحديات لكل اللغات العالمية الكبرى والصغرى وليس للعربية وحدها، والصدق الذي جعلناه نصب أعيننا هو أن نحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة وهي:

- هل اللغة العربية في أزمة حقيقية؟ وإذا كانت هنالك أزمة، فهل هي أزمة لغة أم أزمة مجتمع؟
- أين تتجلى مظاهر هذه الأزمة إن وجدت؟ وهل هي أزمة داخلية ناتجة عن طبيعة اللغة العربية وخاصيتها اللصيقة بها والمميزة لها؟ أم هي أزمة خارجية لا مسؤولية لمفتعليها؟ ثم ما هي مخاطر هذه الأزمة ونتائجها وانعكاساتها وأسبابها وعواملها؟
- ما هي الآفاق المستقبلية للغة العربية في ظل التحديات التي تواجهها؟ هل هناك أزمة؟ يلجأ علماء اللسانيات الاجتماعية عادة إلى جملة مؤشرات قياسية للجواب على مثل هذا السؤال معرفة وزن [2] لغة وقتلها في فترة معينة واستخلاص ما يدل على قوتها أو ضعفها وأهميتها بين اللغات الأخرى وما يتوقع لها في المستقبل من ازدهار أو اضمحلال وانحدار.

قد ازدادت الحاجة إلى استعمال مثل هذه القياسات الموضوعية نسبياً وكثر الحديث عنها بمناسبة اللغط الشديد الذي صار حول ما سمي بالخطر الذي يهدد أغلبية لغات العالم لا سيما الصغرى والمحلية ولغات الأقليات، مما استدعى صدور عدد من النداءات عن منظمات دولية (كمنظمة اليونسكو) وحقوقية إنسانية وتجمعات دولية مثل (الاتحاد الأوروبي) عدد هذه المؤشرات التي يستعملونها القياس وضع اللغات قد يصل إلى العشرات أحياناً لكنها غير موحدة بين جميع الباحثين المختصين وإنما تختلف باختلاف زاوية النظر التي ينطلون منها أو الهدف الذي يريدون الوصول إليه أو طبيعة البحث في الموضوع الذي هم بصدده، ورغم ما قلناه ؛ هنالك من المقاييس والمعايير ما يكاد يكون الإجماع واقعاً حوله مثل: عدد الناطقين باللغة ومستخدميها، التوزيع الجغرافي للغة، عدد الدول التي تجعل من هذه اللغة أو تلك لغتها الرسمية، معيار النمو السكاني ونسبة الخصوبة في المجتمع المستخدم للغة، الترجمة من اللغة وإليها، حركة اللغة وديناميتها، (استعمالها في السياحة والأعمال والتجارة والخدمات والمقاولات والبنوك والشركات).

المعيار الاقتصادي ويدخل تحت معدل الدخل الفردي والدخل القومي الخام للمجتمع المستخدم للغة، مؤشر التنمية البشرية، المؤشر الثقافي والعلمي، عدد الكتب والمكتبات والمطبوعات، الدورات العلمية، مراكز البحوث،،، إلخ.

المواقع الإلكترونية، شبكة التواصل الاجتماعي، نسبة التمدرس ومحو الأمية باللغة المدروسة، العامل اللساني (معبر عنه كلغة وتنميطها وكتابتها) نسبة حضور اللغة في وسائل الإعلام، سلوك الدولة وأفراد المجتمع تجاه اللغة (التخطيط اللغوي والتدخل لصالح لغة أو ضدها، ترسيمها، تقويتها أو تهميشها، الاعتزاز بها أو التفريط فيها).

وهناك مؤشر الهيمنة العسكرية وما يتبعها وينتج عنها لما له من دور ملموس في انتشار لغة معينة وتوسعها أو تراجعها وانحسارها[3] إلى غير ذلك من المؤشرات الأخرى، وقد انتفى تقرير الخبراء الصادر عن منظمة اليونسكو عام 2003م حول حيوية اللغات واندثارها حيث أورد في التقرير تسعة معايير من جملة ما هو متناول بين المتخصصين لقياس حيوية لغة من اللغات ومقدار قربها أو بعدها من خطر الانقراض، وبجانب هذه المعايير والمؤشرات التي يستخدمها علماء اللسانيات الاجتماعية، هناك معايير أخرى استبعدوها من مجالات الدراسة العلمية وهي التي يمكن إدراجها جميعاً تحت عنوان (القيمة الذاتية أو العاطفية) كالقول بعروبة لغة أو سهولتها مقارنة مع غيرها أو وضوح لغة ودقتها في التعبير أكثر من غيرها، أو جمالية هذه اللغة وامتلاكها لصفات فطرية لصيقة بها لا تمتلكها الأخرى، فما هو من قبيل هذه المعايير لا يصلح أن يستخدم لمقارنة وضع لغة أو وزنها بوضع لغة أخرى.

الآن إذا رجعنا إلى سؤالنا الأساسي: هل اللغة العربية في أزمة؟ واحتكما إلى جملة هذه المعايير والمؤشرات التي أشرنا إليها، وركزنا بصفة خاصة على المقاييس والمعايير الكَميَّة لتشخيص حالتها في مرحلتنا الراهنة، لوجدنا أن أغلبها أو ـ الأهم منها على الأقل ـ يزهر بكل جلاء أن العربية في حيوية ونشاط ملحوظين: الدماء تجري في عروقها بشكل عادي ونبضها طبيعي وسجيتها لا تنبئ عما هو خطير، وكذا وجود الكشوف والصور الخارجية أيضاً لا تدل على وجود علة قاتلة، إذ أنها بصفة إجمالية ـ في صحة وعافية ولاسيما عند مقارنتها مع آلاف اللغات الأخرى[4].

لو قمنا باستخدام ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في قياس وزن العربية، لوجدنا عدد الناطقين بها بكل تأكيد في الصف الأمامي ضمن كوكبة العشرة الأوائل من اللغات الكبرى التي تهيمن على باقي لغات الكون البالغ عددها سبعة آلاف لغة.

فكثرة استعمال العربية ـ مثلا ـ وكونها تحتل اليوم تلك المرتبة المتقدمة بين اللغات العشرة الأولى في العالم، لهما دليل واضح على حيويتها ومرونتها وقدرتها المستمرة على المقاومة والمنافسة بل والتكيف مع الواقع، رغم كل الصعوبات والتحديات التي تواجهها، ومؤشر لا يمكن تجاهله على

أنها ما تزال تتمتع بقوة جذب هائلة، وتلك مزايا لا تتوفر إلا لعدد قليل من لغات العالم، ولولا ذلك لأصبحت في جملة اللغات المهددة بالموت والانقراض[4].

وضع العربية في مناخ التعددية اللسانية والثنائية غير المتكافئة:

الغزو اللغوي الأجنبي لبلدان العالم العربي والإسلامي بدأ مع الاكتساح الاستعماري لهذه البلدان، في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، استمر في تصاعد إلى منتصف القرن الماضي، ثم تجدد في صيغة أخرى مع التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية التي خضع لها العالم العربي طيلة مرحلة ما بعد الاستقلال[5].

فالاستعمار الاستيطاني فرض لغته بالقهر والقوة واللغة العربية بعد الاستقلال احتضنت هذه التحركات اللغوية والثقافية الأجنبية وتولتها بالرعاية تحت الضغوط الأجنبية القائمة على المساومات وتبادل المصالح[6].

وتشير الباحثة إلى أن الازدواجية (فصحى، عامية، مكتوبة، محكية أو منطوقة) لا تكاد تخلو منها لغة من اللغات الإنسانية الطبيعية لا سيما تلك التي وثق لها تاريخاً طويلاً وحضارة عريقة، وامتدت على مساحات شاسعة وإنها من حيث المبدأ تبدو شيئاً طبيعياً وعادياً جداً، فإن الأمر يصبح مزعجاً حيث تتسع الفجوة بين المستويين المتقابلين في اللسان الواحد، أي المستوى المكتوب في مقابل المنطوق المحكي والفصيح الأدبي في مقابل العامي (الدارج)، واللغة العربية من اللغات التي تعددت لهجاتها بشكل كبير ليس بين الدول العربية فحسب، بل داخل كل دولة أيضاً، وعملت أسباب كثيرة قديمة وحديثة على اتساع هذه الهوة بين مستعربيها حتى صارت مبعث قلق جدي، ولا سيما بعد ما ظهرت تيارات داخل العالم العربي ومن خارجه تدعو إلى استقلال اللهجات عن الفصحى وترسيمها والاعتراف بها في الدساتير وكل مجالات الاستخدامات الرسمية من إدارة وتعليم وغيرهما، وتعاظمت في مؤازرة ذلك أصوات كثيرة تهاجم الفصحى وتدعو إلى التخلص منها باعتبار أنها أصبحت في نظرها لغة جامدة أو قاصرة أو ميتة، والذي يزيد الطين بِلة هو تغاضي المسئولين في بلدنا عن التطور العشوائي للغتنا وصمتهم القاتل إزاء ما يحدث وتقاعسهم أو عدم اهتمامهم بالموضوع أصلاً، فهي ليست من أولويات سياستهم الثقافية وبالتالي لا يضعون شيئاً من التدابير والتخطيطات[7] التي تحد من ظاهرة ابتعاد اللهجات عن الفصحى وانفصالها عنها، ولا يخفى أن ما يكتنف هذا الانفصال من مخاطر على أمتنا العربية والإسلامية، فقد تتطور المسألة وتتحول إلى مجرد (ثنائية تعددية) أي مجرد اختلاف وتفاوت في درجة استعمال لسان من الألسنة وتتنوع في أساليبه وأشكاله إلى (تعددية لسانية) حقيقية تتكون من ألسنة ذات خصائص وأنظمة مختلفة ومتمايزة ولكل لسان خريطته القومية وجغرافيته المستقلة مما يزيد في صلابة الجدران الفاصلة بين كل بلد عربي وآخر، ونحن الآن نعتبر ـ على مستوى الوعي الشعبي والتاريخي والحضاري أن الحدود الجغرافية الموروثة عن الاستعمار حدود وهمية ومصطنعة، لأنها تغلب منطق التاريخ على منطق الجغرافيا.

بتعبير «المسدي» في كتابه (العرب والانتحار اللغوي) لكن حين تتحول المسألة إلى «ثنائية» إلى «تعددية»، فإن الأمر سيؤدي لا محالة إلى أن تصبح الحدود حدود حقيقية جدرانها شاهقة فولاذية، تعمق نزعة الانقسام والتجزئة أكثر مما هو واقع وحادث بالفعل، بل إن تفاحش أمر اللهجات والتغافل عنه إلى الحد الذي يصل إلى ما ذكرناه في زل تقاعس المؤسسات الحكومية وعجز تلك المؤسسات سيما الأهلية والهيئات العلمية والبحثية ورجال الثقافة والفكر من المهتمين بوحدة الأمة ومصير مستقبلها ولغتها العربية، سيقودان العربية الفصحى إلى المصير المحتوم وهو الموت والفناء، وهذان الخطران الكبيران: تمزيق أواصر الأمة والقضاء النهائي على الفصحى باعتبارها اللغة الجامعة الموحدة هما اللذان يدفعان بكثير من كتابنا وعلمائنا وباحثينا إلى أن يدقوا ناقوس الخطر بين الفترة والأخرى، والحديث عن مستقبل العربية بنبرة فيها الكثير من التشاؤم[7].

(ما بداخل هذين القوسين؟) كما تشير الباحثة إلى اللغة والهوية قائلة: ((إن الغاية بلا شك هي اللغة العربية وهي لغة العرب والمسلمين أو المنتمين إلى الحضارة العربية والإسلامية، والغاية أيضاً هي الهوية العربية الإسلامية التي تجمع الشمل وتوحد الصف، إذاً ثمة وقفة مع العربية بوصفها هوية، وما تحمله في داخلها من عناصر قوة مما يحفزنا على الإيمان بها من ناحية والتمسك بها من ناحية أخرى)).

إن ارتباط العربية بالوحي وخلاصته الأخيرة القرآن الكريم، هي أشبه بالعملة الورقية المسكوكة برصيد من الذهب، وهذه نعمة جليلة على العروبة يجب أداء شكرها لأن نسيانها والجهم لها، إنما هو جريمة تقتضي القصاص في العاجلة قبل الآجلة، واللغة كما نقول دائماً يقتلها الإهمال ويحييها الاستخدام، أما الأسباب المؤدية إلى لهذا الوضع كثيرة ولكن يمكن ردها إلى جميعها إلى هذه الكلمة المأثورة عن أحد أسلافنا العلماء حين قال:

«اللغة يسقط أكثرها بسقوط همة أهلها إلى تلك الجملة الحكيمة لا تنتصر لغة إذا هزم أهلها» والباحثة تضيف: لا تهزم لغة إذا انتصر أهلها لها، فهي في العمق أزمة مجتمع، لا أزمة لغة.

وتشير الباحثة إلى أهل اللغة بقولها: «ما دام أهل لغتنا في ضعف وهوان وهزيمة نفسية وسياسية وعسكرية، بل وتخلف اقتصادي وتبعية ثقافية وعلمية ولغوية، وهي لم تزل في صراع وتنازع لا ينتهيان، فلا تنتظر من لغتهم أن تكون في وضع أحسن مما هم فيه، واختصاراً لما سبق، نقول أن من أهم الأسباب تعزى إلى الغزو اللغوي الخارجي والثنائية اللغوية المفروضة، وتعجم التعليم والإدارة والاقتصاد وكل المرافق الأساسية في المجتمع إضافة إلى الاستلاب الثقافي وعقدة الأجنبي المتقلب والهرولة خلف محاكاته والسير على خطاه وعقدة الشعور بالنقص والدونية أمام هذا الأجنبي المتفوق في جانب الحضارة المادية، وعقدة الهزيمة الكامنة في لا وعي كل لأبناء الأمة العربية والإسلامية التي هزمت من ساستها وأحزابها وزعمائها وكل الأيديولوجيات الفاشلة والشعارات الجوفاء الفارغة التي تنتج سوى العقم والضعف والهوان والفقر والجهل والحياة البائسة المزرية

وهناك سلسلة طويلة من الهزائم والانتكاسات التي حطت كل آمال الشعوب في النهوض والرقي والانتصار وقتلت في نفوس أبنائها كل إحساس بالعزة والشموخ ولم تولّد سوى النفور والاشمئزاز من الواقع المرير الذي يعيشونه في ألم وحسرة وانتظار يائس، بالإضافة إلى أسباب أخرى تاريخية وثقافية عامة واقتصادية واجتماعية انعكست آثارها على اللغة فأصبحت في هذه الأوضاع لغةً قد لا يحس مستخدمها بأنها تشرفه أو تليق به، أو حتى ترفع من مقامه أو تضمن له عيشاً كريماً ومكانة اجتماعية محترمة، فهي لم تعد لغة قادرة على المنافسة في سوق المخاطبات والرسميات والأدبيات، لأنه حتى داخل بلده يطلب منه إجادة اللغة الأجنبية وليست العربية للحصول على الوظيفة المناسبة، هذا فضلاً عن تخلي الدولة عن حمايتها وترك خبلها على القارب ليعيثوا بها كما شاءوا وعدم بذل الأموال السخية لنشرها وتعليمها ورعاية مراكز البحوث المتخصصة في تطويرها وإنمائها وتنفيذ المشروعات الكثيرة التي من شأنها أن تقوي مركزها وتيسر استخدامها، أما كيف نواجه هذه الحالة ونتغلب عليها؟ وكيف السبيل إلى عودة أهل اللغة إلى لغتهم واحتضانها والاعتزاز بها؟ فذلك يحتاج إلى بحث مستفيض وخاص إضافة إلى كلام طويل لا يتسع المجال في هذه العجالة لذكره.

ونقول إجمالاً بضرورة وضع هذه المشكلة نصب أعيننا دائماً، ونحن نفكر ونخطط للنصوص بالعربية ومعالجة أحوالها والتفكير في مستقبلها».

وقد جاء الحديث عن علمنة اللغة: وماذا نقصد بعلمنة اللغة؟

ما دامت العلمانية ـ تعني فصل الدين عن الدنيا، أو إبقاء تشريعات الدين بعيدة عن تنظيم أمور الدنيا، فمفهوم علمنة اللغة ليس ببعيد عن عنه، ومعناه: إبعاد الدين عن صياغة التصورات والمفاهيم والمصطلحات الدارجة واستخدامها في عمليات التوصل في كل الميادين بما فيها الميدان الديني ذاته، وبكلمات أوضح: حصر استخدام المصطلحات ذات المدلولات الدينية في الحقل الديني بعد إعادة صياغته أو فصلها عن هذا الأصل وربطها بمفاهيم علمانية حتى لا تعارض الشؤون الدنيوية ولا تفرض حمولتها الدلالية على مستخدميها، وخطورة علمنة اللغة تتجلى في التأسيس لعلمنة المجتمع بنعومة فلا ينتبه المجتمع لجنوحه للعلمانية إلا وقد أصّلَها وتقبل نسخة منها، بل وربما يدافع عنها، وهذه العملية تسهل على المنتظرين للعلمانية نشر تصوراتهم[8].

آراء المستشرقين في اللغة العربية:

- المستشرق الألماني (يوهين فك) قال: «إن اللغة العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساساً بهذه الحقيقة الثابتة، وهي أيضاً قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية الفصحى».

- وقال (جرو نبياوم): «عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنزلها قرآناً عربياً؟، والله يقول لنبيه: {**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا**}سورة مريم، الآية (97)»، وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في رفعتها وشرفها».

- يقول الألماني (مرجليوت الأستاذ بجامعة أكسفورد: «اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية، وهي واحدة من ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليه غيرها».

- وقال (بارتلمي هربلو): «في اللغة العربية أعظم اللغات أدباً»، ووصفها بالبلاغة والفصاحة.

- وقال الأسباني (فيلا سياز): «اللغة العربية من أغنى لغات العالم، بل هي أرقى من لغات أوروبا لأنها تتضمن كل أدوات التعبير في أصولها، في حين الإنجليزية والفرنسية والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة، وإني لأعجب لفئة كثيرة من أبناء الشرق العربي يتظاهر أفرادها بتفهم الثقافات الغربية ويخدعون أنفسهم ليقال عنهم أنهم متمدنون».

- ثم ذكر (جون فرن): «أن مستقبل الأدب في العالم العربي هو اللغة الفصحى وهي وحدها الزاخرة بالثروة والغنى والتراث وليست اللهجات العامية بلغة كيانية، بل هي تحريف وتقوية للفصحى، ولن تستطيع هذه اللهجات إطلاقاً من اجتياز جدار التراث والفصحى»[9].

- ثم جاء الحديث عن معجزة اللغة العربية:

- تنفرد اللغة العربية بمعجزات يمكن أن نوجز البعض منها في النقاط التالية:

- إن مركز النطق للغات يتمركز في الجانب الأيسر من الدماغ، إلا أن الأبحاث العلمية أثبتت أن اللغة العربية تتواجد في الجانب الأيمن من المخ دون سائر اللغات الباقية.

- تتميز اللغة العربية بمفرداتها المتعددة والكثيرة والمتنوعة، تتجاوز هذه المفردات (12 مليون) مفردة، بالمقابل إن أقرب اللغات لها لا تتجاوز الـ(75 ألف) كلمة أو مفردة وهي اللغة الإنجليزية.

- نلتمس أولوية اللغة العربية في تاريخ البشرية، بحيث اسم آدم عليه السلام وهو اسم عربي ومشتق من الأدمة التي تعني السُّمرة، فهي أقدم اللغات العامية التي لم يتبقى منها إلا اللغتين العربية والعبرانية، حيث إن اللغة العبرانية الحديثة اختلفت اختلاف كلي عن العبرانية القديمة.

- اللغة العربية نسبت إلى اللسان، فيقول الله تعالى: {**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**} **سورة** الشعراء، الآية (196) فهي الوضوح وغاية التواصل، فكل من نطق بها غدا عربياً دون النظر إلى لون أو عرق أو حتى الدين.

- تتميز لغتنا العربية بأصوات لها مخارج في امتدادها من الحلق إلى الأنف، حيث مداها يصل 27 سنتمترا، وإذا قارنا اللغة العربية بأقرب اللغات لها، نلاحظ بأن اللغة العربية منها لا تمتد مخارج حروفها أكثر من 6 سنتمترات مما يُخَّول الإنسان العربي أن يتقن كافة اللغات، فلنفخر جميعاً بلغتنا العربية التي تمثل معجزة وبها العز تجلى وبها العلم تباهى، وفي الوقت نفسه نتعلم كافة اللغات ونعمل على إتقانها ويغر في قلوبنا إننا أصحاب معجزة اللغة العربية[11].

وخلاصة القول مما سبق: يجدر بنا أن نشير إلى ما وصلنا إليه من نتائج وتوصيات:

إشكالات اللغة العربية على الشبكة وغيرها من تقانات العولمة جزء من إشكاليات اللغة العربية عامة، فما نراه على الشبكة وأشرطة المراسيل والرسائل النصية، ليس مرده فقط إلى تقانات العولمة، بل إن عوامل أخرى كشفت العولمة ما كان مستوراً منها، فلا يمكن حل إشكالية العربية غير المعيارية على الشبكة وغيرها إلا بحل إشكالية العربية عامة وبحزمة من الوسائل.

النتائج:

1. اللغة العربية صورة من المجتمع، فمن المحال خلق لغة قوية متقدمة في مجتمع ضعيف متخلف، وضعفنا اللغوي صورة من ضعفنا الاقتصادي والعسكري والسياسي.

2. إن العمل على تسيُّد اللغة وتعزيز الثقة بها والغيرة عليها، من أخطر المهام وأولاها، لأن فقدان الثقة باللغة كفقدان الثقة بالنقود يهز المجتمع من أساسه.

3. العولمة الثقافية لا يمكن أن تواجه بالثقافة واللغة وحدها، بل ببناء مجتمع علمي ثقافي صناعي لا سبيل إليه إلا بخلق ثقافة جيدة أركانها التربية على قيم المواطنة والحرية والديمقراطية والجماعية والعمق النوعي.

4. قد استطاعت اللغة العربية أن تولد من جذورها اللغوية ومن كلماتها ما يصلح للتعبير عن هذه المرحلة الحضارية وعلومها.

5. اللغة العربية فرضت نفسها منذ عهود وما زالت تفرض نفسها لن يغيرها قول قائل أو تقطع قاطع، ويكفيها سموقاً إنها حافظت على التراث الإنساني من الضياع، كما إنها تشكل قوة ضاربة فيالأعماق وتعد منافساً خطيراً لجميع لغات العالم واعتمادها كلغة أثناء عملية الترجمة.

6. ستظل اللغة العربية محفوظة إلى أن تقوم الساعة مصداقاً لقوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }سورة الحجر الآية (9)، ولعلفضيلة لم تحظ بها لغة من لغات العالم بأثره مما يزيدها استشراقاً وإشراقاً في المستقبل.

7. اللغة العربية لغة المستقبل كما قال المستشرق الأمريكي (جاك بيرك).

التوصيات:

1. إبـراز إيجابيـات الإسـلام وعالميتـه وحضارتـه وعدالتـه وتاريخـه وثقافتـه للمسـلمين قبـل غيرهـم ليسـتلهموا أماجدهـم ويعتـزوا بهويتهـم.
2. العمـل عـلى نهـوض الأمـة في شـتى الميادين دينيـاً وثقافيـاً وسياسـياً وعسـكرياً واقتصاديـاً وتقنيـاً ومحاربـة أسـباب التخلـف والفسـاد.
3. تقريـب الفجـوة بـين الفصيحـة والعاميـات بتسـهيل تدريـس الفصيحـة واسـتخدامها بصـورة سـليمة مـع التنبيـه بعـدم الخـروج عـلى قواعدهـا الأساسـية وبتفصيـح العاميـات وتهذيبهـا ورفـع مسـتوى ألفاظهـا وتراكيبهـا المحرفـة.
4. عدم السماح بنشر كل ما يكتب باللهجات العامية مهما كان مستواه أو سببه ومقاومته.
5. مراجعـة مـا يؤلـف ويكتـب وتصويبـه اللغـوي قبـل الإذن بنـشره، ويمكـن أن يتـم هـذا عـن طريـق مدقـق لغـوي يكـون في دوائـر المطبوعـات والنـشر.
6. لـكل ثقافـة كرامـة وقيمـة يجـب احترامهـا والمحافظـة عليهـا، ومـن حـق كل أمـة ومـن واجبهـا أن تنمـي ثقافتهـا.
7. الاهتمام برفع مستوى لغة وسائل الإعلام والإعلاميين.
8. الاهتمام بمستوى المعلمين اللغويين في مراحل التعليم العام.

المصادر والمراجع

(1) اللساني المدون: عبد السلام المسدى، في كتابه العرب والانتحار اللغوي، الذي يقدر العمر المتبقي أمام العربية قبل انقراضها في حالة استمرار الوضع على ما هو عليه بثلاثة أجيال فقط، يقول «إن غياب الوضع بالمعضلة العربية لدى أصحاب القرار في وطننا العربي إذا استمر على ما هو عليه، فإن العربية ستكف عن أن تكون لغة حية كما هي الآن، وذلك بعد ثلاثة أجيال على أقصى تقدير، أعني بعد قرن واحد من الآن ص 181، 182 ومنهم الطبيب النفسي أحمد عكاشة الذي حذر في مؤتمر عقدته الجامعة العربية بالقاهرة في شهر فبراير 2007م حول لغة الطفل العربي في عصر العولمة من موت العربية بعد نصف قرن إذا ما استمر وضع لغتنا وإهمالها والتفريط فيها على ما هي عليه».

(2) أنظر حول مصطلح «وزن»في اللسانيات الاجتماعية الحديثة، عدد من المقالات والمضمنة في كتاب (وزن اللغات)».

(3) استشهد جاك لوكورد: أهمية هذا العصر بقولة المارشال (1854 – 1934م) الحاكم الاستعماري الفرنسي السابق في المغرب، اللغة ليست سوى لهجة أصبحت تمتلك جيشاً عسكرياً وبحريةً وطيراناً.

(4) هناك معايير أخرى يستخدمها بعض اللغويين، وقد يكون الصرف منها غير علمي أو موضوعي كمعيار عدد جوائز نوبل للآداب المتحصل عليها بلغة معينة، وهي من المعايير التي استخدمها الأخوان لوي جان كالغي وآلان كالغي (2009م)، ويبدو أن المقصود من إقحام هذا المقياس هو الرفع من مرتبة اللغة الفرنسية بين اللغات الأخرى، فهي من حيث عدد ما حصلت عليه من جوائز الآداب (24) جائزة، تأتي في المرتبة الثانية بعد الإنجليزية (32) جائزة وتأتي العربية في المرتبة السابعة عشر (جائزة واحدة)، ويمكن أن نضيف إلى ذلك أيضاً معيار عدد النصوص أو المقالات المنشورة في ويكيبيديا الحرة ((وهو من معايير لوي كالفي العشرة))، فلماذا اختار هذه الموسوعة دون غيرها رغم اعتراضنا بأنها أكبر الموسوعات الموجودة على الشبكة؟ لكن هناك محرك البحث (غوغل Google) ـ مثلاً ـ الذي يشكل في الحقيقة أكبر موسوعة معلومات على وجه الأرض.

(5) أنظر حول هذه الإحصاءات ورتبة العربية بين اللغات العالمية الكبرى: لوي كالغي (2002م و 2010م) والأخوان كالغي (2009م) وكاثرين ميلر (2009م) وجاك لوكيرك (2011م).

(6) أبود غيري: اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، مجلة اللسان عام 67 إصدار سنة 2011م.

(7) من الأمثلة البسيطة لهذه الضغوط أن فرنسا اضطرت مرة إلى إلغاء (16 مليار) فرنك من الدّين على الدول الأفريقية مقابل أن تستمر هذه الدول في ضمان الدور المتفوق للغة الفرنسية في الحكومة والتعليم، أنظر د. عمر عبد الهادي عتيق: اللغة العربية والعولمة.

(8) الأستاذ محمد الشارخ رئيس مجموعة صخر العالمية: الذي صرح لصحيفة عربية بالقول: «إن العربية اليوم بدون أب، بمعنى أنه لا توجد حكومة عربية تعتبر نفسها مسؤولة عن مستقبل اللغة العربية والحفاظ عليها أو تدبر الأدوات اللازمة لنموها وحيويتها»، نقل هذا الكلام للكاتب المشهور فهمي هويدي في مقالة له نشرت في جريدة الخليج، راجع لغتنا العربية في خطر، منشورات جمعية حماية اللغة العربية في الشارقة، ص 530.

(9) علم التخطيط اللغوي، نشأ في الغرب علماً أو فرعاً من علم في ظل تزايد المخاوف حول المصير الذي ينتظر عدداً من الألسنة الأوروبية وغيرها، لكن قبل أن يصبح التخطيط اللغوي علماً أو فرعاً من علم، كانت الدولة الإسلامية منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) قد لجأت إليه الجامعة العربية من التلوث والتغير السريع، فعمدت إلى تقصير اللغة وتبسيطها وجمع معجمها ووضع قواعدها النحوية والصرفية لتعليمها.

(10) عبد الرؤوف فصل الله: اللغة العربية وعاء الوجدان القومي والركيزة التوحيدية.

(11) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الثقافة العربية المجلس الأعلى للغة العربية، نوفمبر 2000م، الجزائر، ص 315.

(12) مرجع سبق ذكره.

An overview of the assessment of earthquake events in Sudan

Dafalla Wadi

Department of Engineering Geology, college of Petroleum Geology and Minerals, University of Bahri,

Randa Ali

Department of Geology, Faculty of Petroleum and Minerals, Al-Neelain University

Mohammed Abdallsamed

Department of Geology, Faculty of Science, University of Kordofan,

Ibrahim Malik

Department of Geology, Faculty of Petroleum and Minerals, Al-Neelain University

Abdelmottaleb Aldoud

Faculty of Earth Sciences, Red Sea University

Abstract:

This article deals with earthquakes in Sudan and the need to implement strategies to control shaking to reduce its impact in the country in the country. The review showed that almost every area of the country is at risk of some ground-shaking event. Earthquakes in Sudan are associated with the East African Rift System, Central African Rift System, Red Sea Rift System, Central Sudan Intraplate, Volcanic origin seismicity, and seismicity caused by Lake Nasir in southern Egypt. The severity and magnitude of these seismic events have resulted in devastating damage, including loss of life, collapse of buildings and civil structures, economic loss, psychological trauma, displacement of people, and great fear. The available data indicate

that much of the damage was caused by earthquakes due to the collapse of buildings. Therefore, it is necessary to discuss objective, implementable, and sustainable measures to control the threat of seismic events in Sudan. The paper is expected to raise awareness of the emerging earthquakes in Sudan and draw the authorities' attention to the need for timely and practical mitigation strategies to avoid earthquake-related disasters.

Keywords: Seismicity, Rift systems, seismic hazard, Civil structures, Sudan

نظرة عامة على تقييم الأحداث الزلزالية في السودان

- **دفع الله صديق دفع الله وادي** – قسم الجيولوجيا الهندسية – كلية الجيولوجيا البترول والمعادن – جامعة بحري
- **رندا جمعة علي مرجان** – قسم الجيولوجيا –كلية النفط والمعادن - جامعة النيلين
- **محمد إسحق عبدالصمد** – قسم الجيولوجيا – كلية العلوم – جامعة كردفان
- **إبراهيم عبدالقادر مالك** – قسم الجيولوجيا – كلية النفط- والمعادن - جامعة النيلين
- **عبدالمطلب عبده عبدالله** – كلية علوم الأرض – جامعة البحر الأحمر

المستخلص:

تتناول هذه المقالة الزلازل في السودان، والحاجة إلى تنفيذ إستراتيجيات للسيطرة عليها، والحد من تأثيرها على البلاد. وقد أظهرت المراجعة، أن كل منطقة تقريبًا في البلاد، معرضة لخطر حدوث بعض أحداث الهزات الأرضية. ترتبط الزلازل في السودان بأنظمة الصدوع في شرق إفريقيا، وأنظمة الصدوع في وسط إفريقيا، وأنظمة الصدوع في البحر الأحمر، والزلازل الداخلية في وسط السودان، والزلازل ذات الأصل البركاني، والزلازل الناجمة عن بحيرة ناصر في جنوب مصر. وقد أدت شدة وحجم هذه الأحداث الزلزالية إلى أضرار مدمرة، بما في ذلك فقدان الأرواح، وانهيار المباني والمنشئات المدنية، والخسائر الاقتصادية، والصدمات النفسية، ونزوح الناس، والخوف الشديد. تشير البيانات المتاحة إلى أن الكثير من الأضرار كانت ناجمة عن الزلازل بسبب انهيار المباني. لذلك، من الضروري مناقشة التدابير الموضوعية

والقابلة للتنفيذ والمستدامة للسيطرة على خطر الأحداث الزلزالية في السودان. ومن المتوقع أن تعمل الورقة على زيادة الوعي بالزلازل الناشئة في السودان ولفت انتباه السلطات إلى الحاجة إلى استراتيجيات تخفيف عملية وفي الوقت المناسب لتجنب الكوارث المرتبطة بالزلازل.

الكلمات المفتاحية: الزلازل، أنظمة الصدع، الخطر الزلزالي، المنشئات المدنية، السودان

Introduction:

Earthquakes are one of the main disasters that have catastrophic consequences in today's world (Kanamori, 1978; Geller et al., 1997; Kanamori & Brodsky, 2004; Obara & Kato, 2016). Since the end of the twentieth century, more than 50 catastrophic earthquakes have occurred worldwide, claiming an estimated million lives (Guo, 2010; Alaneme & Okotete, 2018; 2022; Över et al., 2023; Kolivand et al., 2023; Jiang et al., 2023; Hussain et al., 2023) and affect millions of people every year (Ritchie & Rosado, 2022).

In 1992, the United Nations (UN) launched the Global Seismic Hazards Assessment Programme (GSHAP) project (Giardini, 1999; Kossobokov & Nekrasova, 2012) after recognizing that natural disasters were a significant cause of loss of life and development (Giardini, 1999). This project was designed from 1990 to 1999. The main objectives of the project were to raise global awareness and reduce the risks of natural disasters. The GSHAP was completed in 1999, and probabilistic seismic hazard assessment maps and digital analogs were published (Giardini et al., 1999; Shedlock et al., 2000; Kossobokov & Nekrasova, 2012). The project results are the most accurate maps of global seismic activity to date. Although the project was completed in 1999, the data collected are still accessible, including maps of the most active earthquake zones worldwide (Silva et al., 2014). Fig. 1 shows the seismic hazard map for Africa produced by the GSHAP.

Africa is relatively far from the margins of the plates and has fewer earthquake zones than other continents (Hartnady, 2002). Nevertheless, sporadic

activities have occurred (Fairhead & Gridler, 1971; Wadi et al., 2021). These activities occur mainly in the northern part (Fig. 1), where the Arabian Plate collides with the Eurasian and African Plates (Poggi et al., 2020). The eastern part (Fig. 1) is home to one of the strongest African earthquakes (Foster & Jackson, 1998; Mulwa et al., 2014; Poggi et al., 2017).

Sudan and its surroundings have diverse geological and tectonic structures (Almond, 1986). The earthquake sources affecting most of the country are located in and around (1) the eastern part from the East African Rift System (EARS), (2) the central part from several rifts and volcanic, (3) the Red Sea coast near the Afro-Arabian border, and (4) Lake Nasir in the far north (Khattab, 1975; Ali & Whitely 1981; Flege, 1982; Browne & Fairhead, 1983; Bermingham et al., 1983; Browne et al., 1985; Clark & Browne, 1987). Earthquakes of varying intensities and magnitudes have occurred in all parts of the country mentioned above. Fairhead and Stuart (1982) reported that earthquakes have been recorded in Sudan and neighboring countries since 700 (BC). However, this instrument was used to record events that began in 2001 (Alhassan et al., 2007). The source in central Sudan has recently become more active (El Tahir & Midzi, 2019). In addition, there has been a marked increase in seismic activity in the Nile Basin and surrounding areas, which justifies an assessment of the seismic hazard of the country and the region (Clark & Browne, 1987; Abdalla et al., 2001; Ezzelarab et al., 2021).

This study aims to provide detailed insight into the reality of seismic activity in Sudan. It aims to raise awareness of Sudan's seismic activity in a language easily understood by everyone and to influence government engagement and policy regarding seismic hazards as geoscientists. A more comprehensive literature on seismicity in Sudan must be compiled to match the scope of the current study.

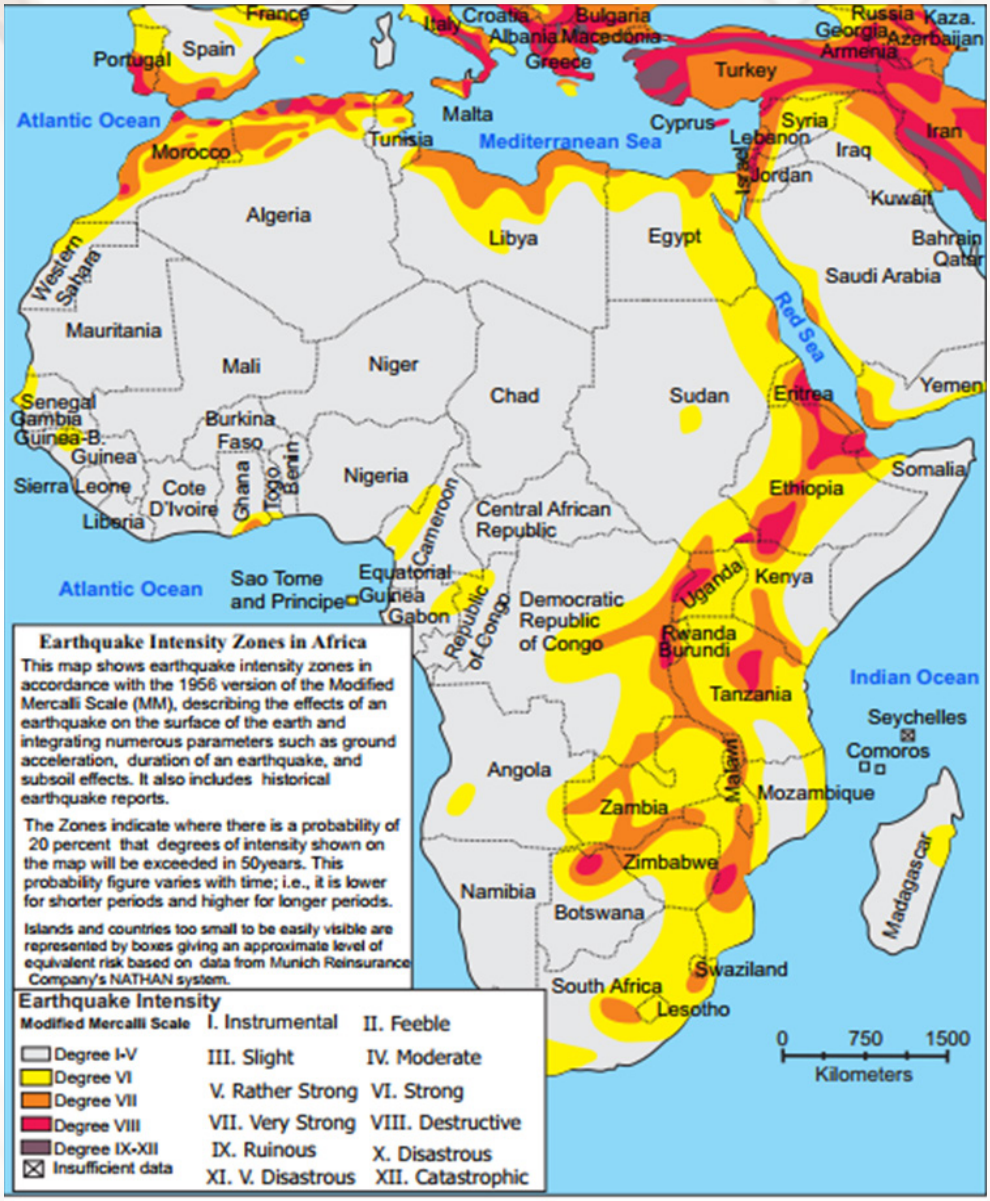

Fig. 1. Global seismic hazard map created by GSHAP after Giardini et al. (1999).

Terms and concepts:

In the earth sciences, various terms describe the nature and magnitude of earthquake effects. These terms make it easier for technical and non-technical experts to understand earthquakes. The two terms most commonly used in earthquake research are magnitude and intensity.

Earthquake magnitude has been proposed as the basis for geophysical and engineering analyses of earthquakes (Båth, 1981; Kanamori, 1983). It can be defined as a quantitative measure used to compare the strength of earthquakes worldwide, regardless of geological and geographical conditions (Borman, 2021). Therefore, earthquake magnitude is a logarithmic measure of the energy released by an earthquake (Hammed et al., 2016). Richter (1935) derived the earthquake magnitude scale from the maximum amplitude measured at various epicenter distances from the point of rupture in the Earth's crust. This scale is known as the Richter scale and is the first approach to assessing the magnitude of earthquakes (Boore, 1989).

The Richter magnitude also called the local magnitude ML, is, therefore, a numerical value that characterizes an earthquake and is independent of the location of the recording station (Rundle, 1989). Body wave magnitude (mB) is proposed to overcome local magnitude limitations. The magnitude of the body wave is calculated from the amplitude and period of the seismic body (Das et al., 2011). According to Kanamori (1983), the main advantage of mB is that it can be applied to both shallow and deep seismic events. Liu et al. (2007) pointed out that mB represents the magnitude of long-period body waves, and mb represents the magnitude of periodic body waves. Furthermore, shallow and distant earthquakes' surface wave magnitude (Ms) is derived (Di Giacomo & Storchak, 2022). Additionally, a relatively new scale, the moment magnitude (MW) scale, was introduced (Hanks & Canadian, 1979). This scale has the advantage that it can be used to measure more significant earthquakes (Baruah et al., 2012; Das et al., 2019).

Intensity is a term that describes the impact of an earthquake on the earth's surface (Dowrick, 1996; Grünthal & Musson, 2020). It is a qualitative measure of the actual shaking at a location during an earthquake (Hammed et al., 2016). Terms are shown in uppercase Roman letters. This scale was initially developed to extract observational data from seismic events. Masson et al. (2010) stated that the first detection scale was the Rossi-Forel scale, where he used 10 degrees to define the impact of an earthquake at a location. The intensity scale includes a range of specific severe reactions, such as moving furniture, damaging chimneys, and waking people up. There were several intensity scales according to the Rossi-Forel scale. After several revisions, the Mercalli scale (Eiby, 1996) became the modified Mercalli Intensity Scale (MMI), which now plays a vital role among geoscientists (Worden et al., 2012).

Table 1 provides a brief description of the 12 levels of the latest version of Mercalli strength. Additionally, other scales are used after the MMI scale in some parts of the world. They are the Medvedev-Sponheuer-Kalnik (MSK) scale (Hinzen & Oemisch, 2001) and the European Macroscopic Scale (EMS), a modified version for European buildings (Gruenthal, 1998; Musson et al., 2010).

The peak ground acceleration (PGA) equals the maximum ground acceleration at a particular location during an earthquake (Wald et al., 1999). The maximum ground acceleration corresponds to the maximum absolute acceleration amplitude recorded at an area during a particular earthquake (Douglas, 2003). Earthquake shaking generally occurs in all three directions (Çağnan et al., 2017). Therefore, PGA is often divided into horizontal and vertical components (Bozorgnia & Campbell, 2016).

Table 1 Modified Mercalli Intensity Scale (Eiby, 1966)

Level	Description
I	Not felt except by a very few under especially favorable conditions.
II	Felt only by a few persons at rest, especially on the upper floors of buildings. Delicately suspended objects may swing.
III	Felt quite noticeable by persons indoors, especially on the upper floors of buildings. Many people do not recognize it as an earthquake. Standing motor cars may rock slightly. Vibration is similar to the passing of a truck. Duration estimated
IV	Felt indoors by many and outdoors by few during the day. At night, some awakened. Dishes, windows, and doors are disturbed; walls make cracking sounds—a sensation like a heavy truck striking a building. Standing motor cars rocked noticeably.
V	Felt by nearly everyone; many awakened. Some dishes and windows were broken. Unstable objects overturned. Pendulum clocks may stop.
VI	Felt by all, many frightened. Some heavy furniture moved; a few instances of fallen plaster. Damage slight.
VII	Damage is negligible in buildings of good design and construction, slight to moderate in well-built ordinary structures, and considerable damage in poorly built or badly designed structures; some chimneys were broken.
VIII	Damage is slight in specially designed structures; considerable damage in ordinary substantial buildings with partial collapse. Damage is great in poorly built structures. Fall of chimneys, factory stacks, columns, monuments, and walls. Heavy furniture overturned.
IX	Damage is considerable in specially designed structures; well-designed frame structures are thrown out of plumb. Damage is significant in substantial buildings, with partial collapse and buildings shifted off foundations.
X	Some well-built wooden structures were destroyed; most masonry and frame structures were destroyed with foundations. Rail bent.
XI	Few, if any (masonry) structures remain standing. Bridges destroyed. Rails bent greatly.
XII	Damage total. Lines of sight and level are distorted. Objects are thrown into the air.

Geology of Sudan:

Sudan is one of the largest countries in the northeastern part of the African plate (Fig. 1, Fig. 2, and Fig. 3). It is generally underlain by Precambrian rocks, especially in the southwest, northeast, and center, which were roughly reactivated during the Neoproterozoic Pan-African tectono-thermal event (Ezzelarab et al., 2021).

Large parts of northern Sudan are covered by continental clastic sequences of mostly Mesozoic Nubian sandstones (Schlüter, 2008). Many geoscientists have described Sudan's geology (e.g., Reischman and Kröner (1994), Almond (1978), and Vail (1982, 1987). According to these scholars, the most important stratigraphic units of Sudan (Fig. 2) are (1) the basement complex, (2) Phanerozoic sediments, and (3) Cenozoic volcanic rocks.

The basement complex covers approximately 52% of Sudan, extending from the Archaean through the Early to Middle Proterozoic to the Pan-African (Schandelmeier & Darbyshire, 1984). Granitic and metamorphic rocks dominate the basement complex, which can be observed across all provinces of Sudan (Abdelsalam & Stern, 1993). These rocks have experienced regional metamorphism, ranging from greenschist to low amphibolite grade, and have undergone folding, shearing, and thrust faulting on a regional scale.

The Phanerozoic sediments encompass a wide range of ages from the early Palaeozoic, Mesozoic, and Cenozoic strata overlying the Precambrian rocks (Wycisk, 1991). Cenozoic volcanic activity extended from the Late Cretaceous to the Quaternary to the Paleogene (Almond et al., 1978).

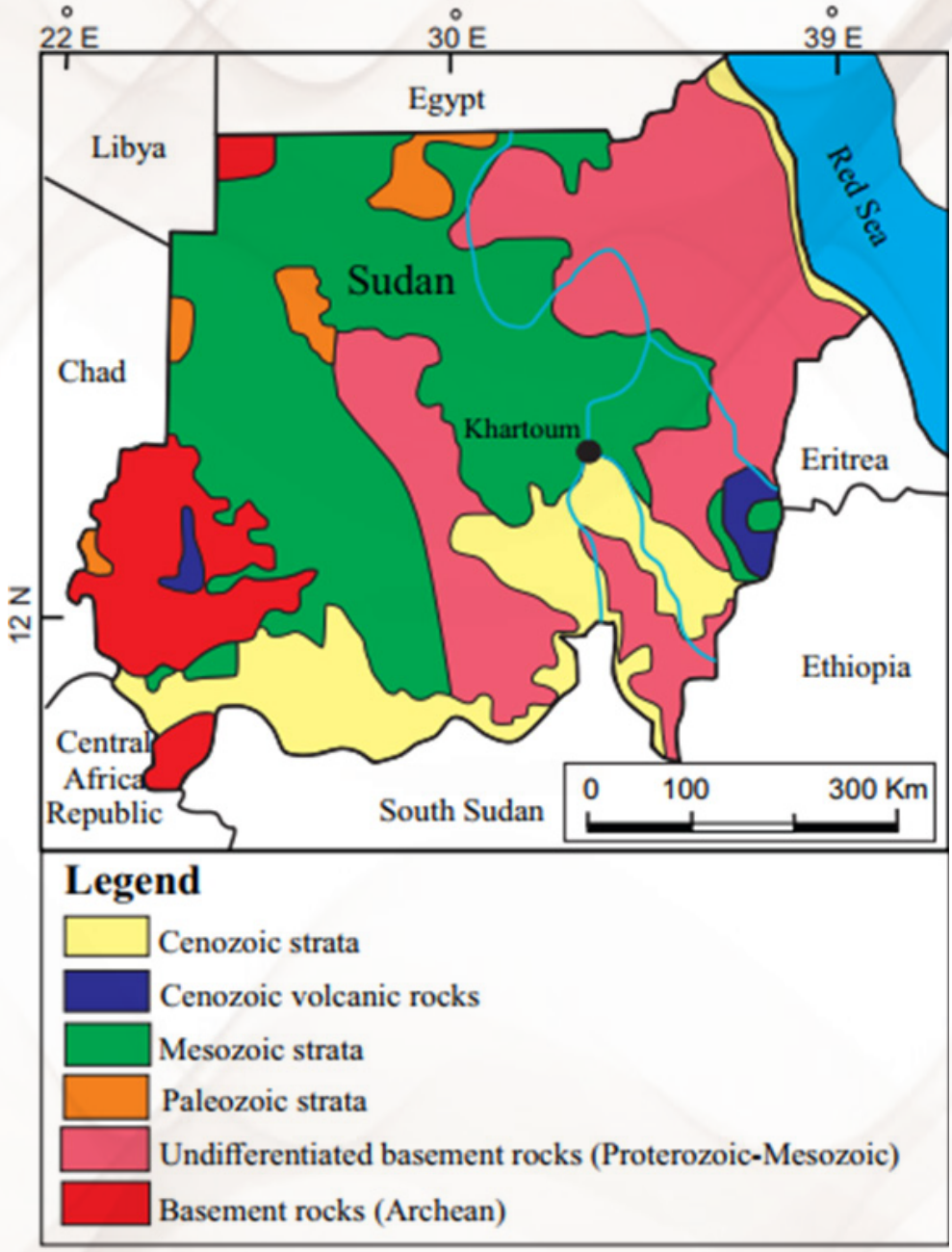

Fig. 2. Geological map of the study area, modified after GRAS (2004)

Tectonics features and earthquake history in Sudan:

Sudan is one of the countries considered to have low-to-moderate seismic activity (Mohamedzein et al., 2006). However, in the last 60 years, moderate to large earthquakes have occurred in various parts of the country (Clark & Sadig, 1967; Clark & Browne, 1985; Gaulon et al., 1992; Abdalla et al., 2001; Alhassan et al., 2007; El Tahir & Midzi, 2019). These earthquakes included May 20, 1990, with a magnitude of 7.4 Mw in the southern region (Giardini & Beranzoli, 1992; Gaulon et al., 1992), August 1, 1993, and November 15, 1993, in the northern part with magnitudes of 5.5 and 4.3 Mw respectively (Girdler & McConnell, 1994). In addition to these two areas, many parts of the country are considered active, especially the Red Sea area, which is constantly seismically shaken (Khan, 1975; Daggett et al., 1986; Youssef, 2015; Mitchell & Stewart, 2018). Fig. (3) provides Sudan's seismotectonics and seismicity (historical and current).

Sudan is located in the intraplate region of Northeast Africa. It is bounded by two active tectonic structures: the East African Rift System in the south and southeast and the Red Sea Rift Valley in the northeast. It is crossed by many rift systems (Clark & Browne, 1987). Some of these rifts are major rifts that span the African continent and beyond (Abdalla et al., 2001). Most faults associated with rifts have experienced several earthquakes of varying magnitudes (Ambraseys & Adams, 1986; Fairhead & Girdler, 1971). Fig. 3 shows the major rift system in Sudan and its surroundings.

The Afro-Arabian Rift System (AARS) runs from southeast to northeast and stretches over 6500 kilometers (Girdler, 1991). The East African Rift System (EARS) and the Red Sea Rift System (RSRS) are part of the Afro-Arabian Rift System (Fairhead & Stuart, 1982) and are considered to be very active (Browne & Fairhead, 1983; Browne et al., 1985; McKenzie et al.,

1970). The East African rift systems (Fig. 3) consist of two branches: (1) a western branch that extends from the Mozambique coastal plain in the south to Lake Mobutu in the north (McKenzie et al., 1970; Ebinger, 1989; Girdler & McConnell, 1994) and (2) an eastern branch that runs from Tanzania in the south to the Ethiopian Afar Depression in the north (Chorowicz, 2005).

The Central African Rift System (CARS) extends from southwest to northeast across the African continent (Fig. 3) over a length of approximately 2000 km (Fairhead & Stuart, 1982; Bermingham et al., 1983; Fairhead, 1988; El Tahir et al., 2013). The CARS is part of the West African Rift System and extends from the Gulf of Guinea to the northeast of Sudan (Jorgensen & Bosworth, 1989; Ibrahim et al., 1996). The CARS are orthogonally connected to the Atbara, Blue Nile, White Nile, and South Sudan Rift Systems (Abdalla et al., 2001).

The South Sudan Rift System (SSRS), White Nile Rift System (WNRS), Blue Nile Rift System (BNRS), and Atbara River Rift System (ARRS) have similar tectonic features (Medani & Vail, 1974; Browne et al., 1985; Salama, 1997; Gani et al., 2009). The four rift systems run in a NW-SE direction and terminate in a line at the north-western end (Fig. 3). The SSRS extends in a northwest-southeast direction from western Sudan across southern Sudan and northern Kenya to the Indian Ocean (Bosworth, 1992). The SSRS overlaps with the CARS at its north-western end (King et al., 2013). According to Abdalla et al. (2001), the Bahr ElArab earthquake of February 26, 1947, was attributed to the SSRS. In contrast, the Jebel Dumbeir earthquake in 1966 and the Bara earthquake in 1974 were triggered by the WNRS (Qureshi & Sadig, 1967).

The intraplate zone in central Sudan shows scattered and low seismic activity (Fairhead, 1988; Schandelmeier et al., 1990). The volcanically induced seismicity of Jebel Marra and Lake Nassir (Fig. 3) also shows low

seismic activity; its effects are limited to the Darfur region in the west and Khartoum (Bermingham et al., 1983).

Although geoscientists have paid little attention to the study of seismicity in Sudan, some studies have described earthquake events in the country. Qureshi and Sadig (1967) and Clark and Browne (1987) studied earthquakes and related faults in central Sudan, including a series of earthquakes that began on October 9, 1966, and continued until April 1967. They hypothesized that these seismic events were associated with the western branch of East Africa and the Red Sea Rift System (EARS).

The study conducted by Ambraseys and Adams (1986) revealed that the majority of Sudan's activities are situated near the East African Rift System (EARS). Nevertheless, the northeastern area of Sudan is susceptible to earthquakes originating from the Red Sea, and there have been instances of earthquakes in the central intraplate region that could potentially result in damage.

Two significant earthquakes occurred in southern Sudan in May and July 1990. The primary earthquake, which occurred on May 20th of that year, was one of the most substantial events ever recorded in Africa and had a magnitude of 7.4 on the MS scale (Girdler & McConnell, 1994). Its focal mechanism revealed a left-lateral strike-slip fault oriented parallel to the Aswa fault zone (Gaulon et al., 1992). This fault zone is a critical Proterozoic tectonic feature (Baker & Wohlenberg, 1971).

Abdalla et al. (2001) created a probabilistic seismic hazard map for the region depending on the number of seismic zones. Their results showed that the maximum peak ground acceleration (PGA) occurs in the Red Sea region, where the PGA reached 607 cm/sec2 for 250 years, whereas other regions have a relatively low PGA. Table 2 summarizes the eight regions of Sudan and their surroundings for different periods.

According to El-Nadi et al. (2005), most local events occurring near Khartoum were linked to faults believed to have been responsible for the Khartoum earthquakes in August 1993. Similarly, Mohamedzein et al. (2006) discovered that the active rifts and faults in central Sudan can potentially cause damaging earthquakes in the generally low-hazard area of Khartoum, the capital of Sudan.

El Tahir and Midzi (2019) utilized seismic data from various sources, including the Eastern and Southern Africa Catalogue, International Seismology Centre (ISC), and National Oceanic and Atmospheric Administration (NOAA), to create regional hazard maps for different return periods and exceedance probabilities. Specifically, they produced maps with 50-year, 100-year, and 10% exceedance probability return periods. Their analysis revealed a high seismic hazard in South Sudan, whereas other parts exhibited slightly lower values.

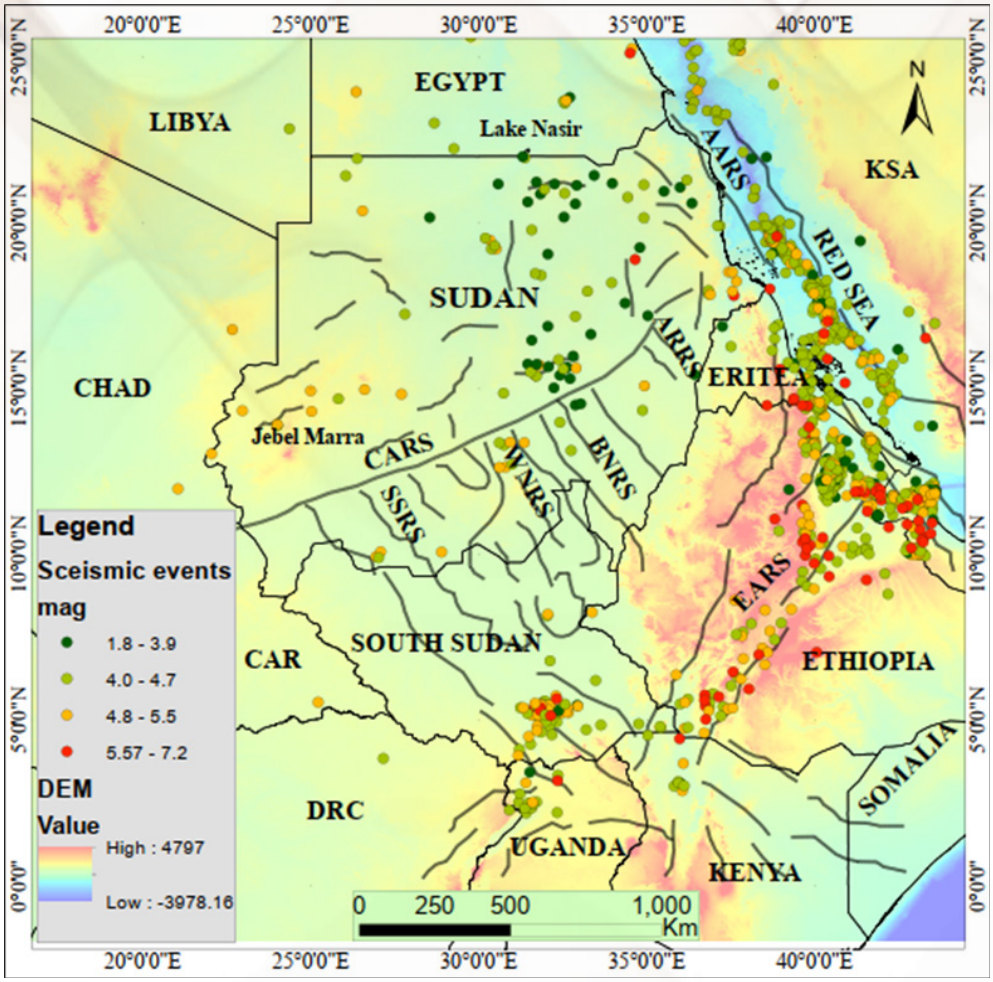

Fig. 3. Seismotectonics and seismicity (historical and current) of Sudan and its surroundings, data from Sudan Seismic Network (SSN), United States Geological Survey (USGS), Abdalla, et al. 2001, Giardini et al. (1999), Ezzelarab et al., 2021)

Table 2 Seismic source region of Sudan and its vicinity (Abdalla et al., 2001)

Source region No.	Source Name	Source Boundaries Coordinates	Maximum Instrumental Earthquake
I	Northern Sudan	(20.1 E, 19.3 N), (36.2 E, 16.0 N) (30.7 E, 23.5 N), (36.2 E, 20.4 N)	5.8
II	Central Sudan	(29.6 E, 13.0 N), (33.9 E, 10.7 N) (32.0 E, 17.0 N), (36.1 E, 15.0 N)	6.4
III	Southwestern Sudan	(26.3 E, 09.4 N), (32.7 E, 06.6 N) (27.2 E, 10.9 N), (10.7 E, 08.9 N)	6.8
IV	Southern Sudan	(30.9 E, 03.6 N), (33.5 E, 03.6 N) (31.7 E, 06.5 N), (34.4 E, 06.5 N)	7.2
V	Equatorial Uganda	(28.8 E, 00.0 N), (33.5 E, 00.0 N) (08.9 E, 03.1 N), (33.5 E, 03.1 N)	7.5
VI	Central Ethiopia	(34.0 E, 02.0 N), (36.5 E, 00.0 N) (38.0 E, 13.3 N), (40.7 E, 10.7 N)	7.7
VII	Afar and the Gulf of Aden	(36.2 E, 16.0 N), (42.5 E, 09.0 N) (40.7 E, 18.7 N), (44.9 E, 13.8 N)	7.5
VIII	Red Sea	(37.4 E, 18.7 N), (40.0 E, 18.7 N). (37.4 E, 22.4 N), (40.0 E, 20.0 N)	7.2

Sudan Seismic Network:

The Sudan Seismic Network (SSN) was established in 2001 by the Sudan Geological Survey (GRAS) to monitor seismic activity in Sudan and abroad (Alhassan et al., 2007). SSN is located in Khartoum state and consists of three long-term stations. These stations are distributed around Silatiat (SLAT), Melkhyat (MRKH), and Jebel Auliya (JAWL) in Khartoum (capital) and are 32 km, 23 km, and 42 km from Khartoum's central station, respectively. Recently, new stations were added to the network to cover a wider country area. The stations are (1) Arkawwit (ARKT) in the east, (2) Muhammad Qool

(MQOL), (3) Kasala (KSLA) in the east, (4) Marawi (MRWI), and (5) Abu Hamad (HMAD) in the north, (6) Jabalia (JBLN) in the south, and (7) Al-Obeid (OBID) in the west. SSN is currently a full member of the International Seismological Center (ISC) and regularly sends data to the ISC. Figure 4 shows the distribution of SSN stations.

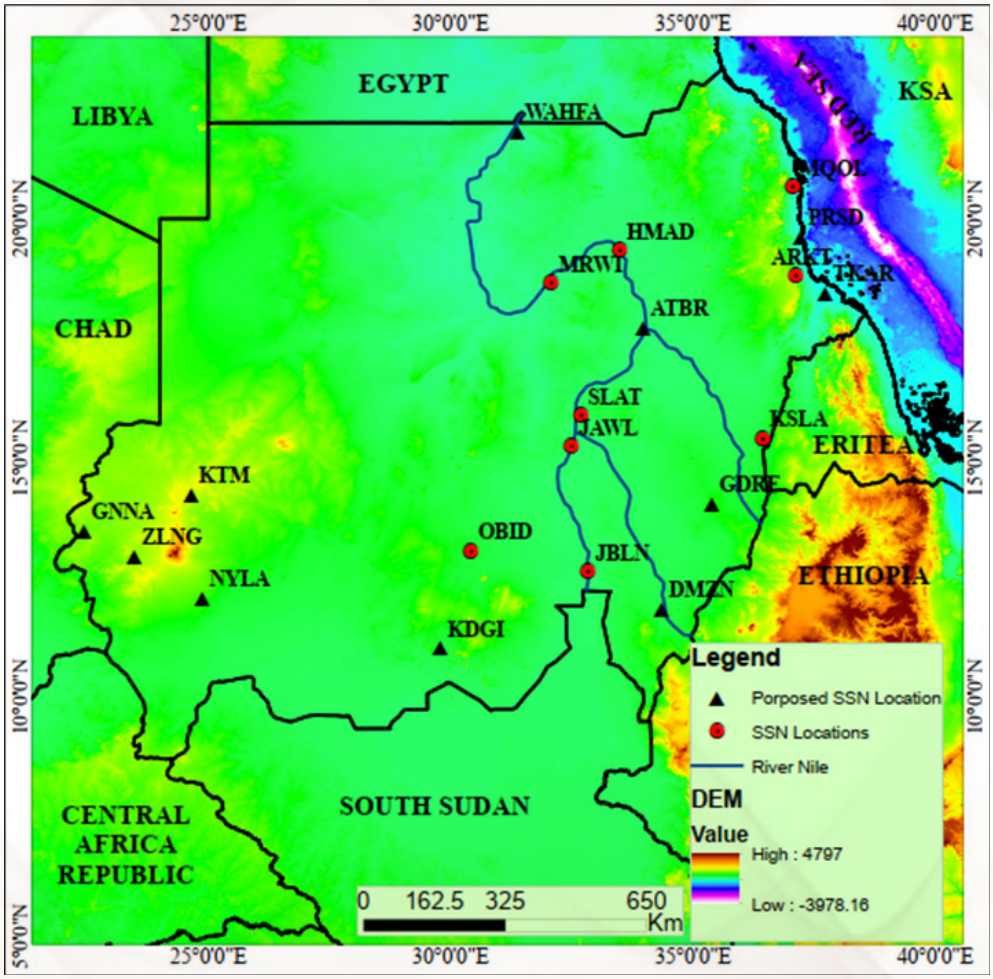

Fig. 4 Distribution of the locations of the SSN stations and the stations proposed in this work

Results and discussion:

Sudan's seismicity map shows that many regions of the country, particularly around the Red Sea and Central African Rift Valley (CARS), are vulnerable to seismic activity of varying magnitudes. These seismic activities can cause severe property damage, reduce quality of life, and even lead to economic instability in some affected areas. Magnitude information can be subjective because it comes from residents of the area where the event occurred. However, it does indicate the extent of damage and impact for each event.

Reports indicate that the intensity of earthquakes in Sudan varies between I and VIII, which means that earthquakes in northeast Africa have minimal or no impact to slight damage to well-constructed buildings (e.g., Sadig 1967; Sykes, 1970; Browne et al., 1985; Shudofsky, 1985; Ambreseys & Adams, 1986; Clark & Browne, 1987; Gaulon et al.,1992; Mohamedzein et al., 2006; Alhassan et al., 2007; El et al., 2019; Ezzalarab et al., 2021). However, the damage has not been very severe, and there is a need to develop earthquake mitigation methods as Sudan is known to be affected by intra-plate earthquakes, which increase the frequency of earthquake occurrence.

Earthquakes in Sudan are associated with the following features: (1) East African Rift System, (2) Central African Rift System, (3) Red Sea Rift System, (4) Central Sudan Intraplate, (5) Volcanic origin seismicity and (6) seismicity caused by Lake Nasir in southern Egypt.

The central and Red Sea coasts are the country's most seismically active regions. Seismic activity can cause significant structural damage to large buildings and critical systems. As Sudan does not have seismic codes, it is highly recommended that such codes be introduced and that engineers be provided with seismic construction guidelines and regulations.

The tectonic and seismic conditions of the African countries in Table 3 are similar to Sudan's. The Sudanese government still needs to introduce an earthquake risk reduction strategy through norms or regulations.

Table 3 Seismic Code and Standards in African Countries that are prone to seismic activities (Modified after Alaneme and Okotete 2018)

S/N	Country	Code/Standard	Seismic Code?
1	Egypt	Egyptian Code 201 2008-draft (ECP201, 2008-draft) (Serror et al., 2010).	Yes
2	Algeria	RPA99/Version 2003 (CGS, 2003) (Zermout et al., 2008).	Yes
3	Cameroon	None	No
4	Democratic Republic of Congo	None Exists	No
5	Ethiopia	Ethiopia Building Code Standard (EBCS) (1995). Volume 8 Seismic (Lubkowski et al., 2014).	Yes
6	Sudan	None	No
7	South Sudan	None	No
8	Uganda	US 319:2003, Ugandan Ministry of Lands, Housing and Urban (Zajac & Davies, 2015).	Yes
9	Rwanda	Building Regulations Manual (2009) from the Rwanda Ministry of Infrastructure (MININFRA) (Lubkowski et al., 2014).	Yes
10	Burundi	Not Known	No
11	Kenya	Kenyan Code (1973) (Worku 2014).	Yes
12	Tanzania	Not known.	No
13	Malawi	Various Malawi Standards include building materials and construction practices (Lubkowski et al., 2014).	No
14	Djibouti	Not known	No
15	Mozambique	A version of the Portuguese Code from the colonial era (Bommer, 2010).	No
16	South Africa	The South African Code – SANS 10160–4:2011 (Roth & Gebremeskel, 2017).	No
17	Ghana	The Ghanaian Code – 1990 (Worku, 2014)	Yes
18	Nigeria	Nigeria National Building Code (NBC, 2006) (Ogunbiyi, 2014).	No

Many studies have highlighted the ineffectiveness of earthquake regulations in Africa for various reasons (Alaneme & Okotete 2018). The ineffectiveness of African norms is believed to be due to the lack of legal instruments to enforce existing norms (Kinde et al., 2011; Worku, 2014). Moreover, the adoption of narrower-scope codes is limited to government institutions such as schools, hospitals, and other public institutions (Bendimerad, 2004; Meslem et al., 2012). Similarly, it has been noted that existing regulations in African countries do not include specific seismic requirements (Worku, 2013), which certainly affects the response of civil structures to ground movements (Kassegne, 2014).

Conclusion:

This paper focuses on Sudan's often underestimated seismic activity and highlights the need to apply shaking mitigation strategies. This article shows that virtually all regions of Sudan are at risk from some seismic event, whose size and intensity can result in widespread damage. The review emphasizes the need for proactive measures in Sudan to mitigate earthquake risks, particularly in regions with seismic activity. It also suggests new measures to reduce earthquakes and seismic hazards.

Recommendations:

The current Sudan Seismic Network (SSN) should be expanded to cover a wider area transformed by the rift valley. Potential locations or cities for additional SSN stations are Atbara (ATBR), Wadi Halfa (WAHFA), Gedarif (GDRF), Tokar (TKAR), Port Sudan (PRSD), El Damazin (DMZN), Kadugli (KDGI)), Nyala (NYLA), Kutum (KTM), Zaringei (ZLNG), and EL-Geneina (GNNA). Figure 4 shows the location of the proposed new station.

Sudan's architects, civil engineers, geoscientists, and the government should implement effective seismic regulations in response to the increasing vulnerability to earthquakes in many parts of the country.

Funding:

This research received no specific grant from funding agencies in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Authorship contribution statement:

Dafalla Wadi: Writing – review & editing, Software, Investigation, Formal analysis, original draft, Conceptualization. Randa Juma: Conceptualization, Writing –Visualization. Mohammed Abdallsamed: Writing –review & editing. Ibrahim Malik: review and editing. Abdelmottaleb Aldoud: Writing –review & editing.

Declaration of Competing Interest:

The authors declare that they have no known competing financial interests or personal relationships that could have appeared to influence the work reported in this paper.

Data availability:

All data used during the study are available from the corresponding author by request.

References

(1) Abdalla, J.A., Mohamedzein, Y.E., Wahab, A. A., 2001. Probabilistic seismic hazard assessment of Sudan and its vicinity. Earthquake Spectra, 17(3), 399-415. https://doi.org/10.1193/1.1586181

(2) Abdelsalam, M.G., Stern, R.J., 1993. Tectonic evolution of the Nakasib suture, Red Sea Hills, Sudan: evidence for a late Precambrian Wilson cycle. Journal of the Geological Society, 150(2), 393-404. https://doi.org/10.1144/gsjgs.150.2.0393

(3) Alaneme K., A. Okotete E.A., 2018. Critical evaluation of seismic activities in Africa and curtailment policies – a review. Geoenvironmental Disasters, (2018) 5:24, https://doi.org/10.1186/s40677-018-0116-2

(4) Alhassan, A.A.I., Belail, A.E., Elbashir, H.S.H., Mohamed, I.A.R., Mohammed, M.B., Eltahir, N.B., Havskov, J., (2007). The Sudanese seismic network. Seismological Research Letters, pp. 78, 498–501. https://doi.org/10.1785/gssrl.78.5.498

(5) Ali, H.D., Whitely, R.J., (1981). Gravity exploration for groundwater in the Bara basin, Sudan. Geoexploration 19, 127–141. https://doi.org/10.1016/0016-7142(81)90025-9

(6) Almond, D.C., (1978). New ideas on the geological history of the basement complex of north-east Sudan. Sudan Notes and Records, pp. 59, 107–136. AfricaBib | New Ideas on the Geological History of the Basement Complex of North-East Sudan

(7) Almond, D.C., (1986). Geological evolution of the Afro-Arabian dome. Tectonophysics, 131(3-4), pp. 301–332. https://doi.org/10.1016/0040-1951(86)90180-0

(8) Almond, D.C., Kheir, O.M., Poole, S., (1984). Alkaline basalt volcanism in northeastern Sudan: a comparison of the Bayuda and Gedaref areas. Journal of African Earth Sciences (1983), 2(3), 233–245. https://doi.org/10.1016/S0731-7247(84)80018-X

(9) Ambraseys, N.N., Adams, R.D., 1986. Seismicity of the Sudan, Bulletin of the Seismological Society of America, 76, 483-493. https://doi.org/10.1785/BSSA0760020483

(10) Baker, B.T., Wohlenberg, J., 1971. Structure and evolution of the Kenya Rift Valley. Nature, 229(5286), 538-542. https://doi.org/10.1038/229538a0

(11) Baruah, S., Baruah, A., Kalita, R., Biswas, N., Gogoi, J.L., Gautam, M., Sanoujam, Kayal. J.R., (2012). Moment magnitude – local magnitude relationship for the earthquakes of the Shillong-Mikir plateau, northeastern India region: a new perspective. Geomatics, Natural Hazards and Risk 3 (4): 365–375. https://doi.org/10.1080/19475705.2011.596577

(12) Båth, M., (1981). Earthquake magnitude—recent research and current trends. Earth-Science Reviews, 17(4), 315–398. https://doi.org/10.1016/0012-8252(81)90014-3

(13) Bendimerad F., (2004). The 21 May 2003 Boumerdes earthquake lessons were learned, and recommendations were made at the 13th World Conference on Earthquake Engineering. Vancouver (2004) Paper No. 9001. https://www.iitk.ac.in/nicee/wcee/article/13_9001.pdf

(14) Bermingham, P.M., Fairhead, J.D., Stuart, G.W., (1983). Gravity study of central African Rift System: A Model of continental disruption 2. The Darfur Domal uplift and associated Cianozoic Volcanism, Development in Tectonophysics, pp. 94, 205–222. https://doi.org/10.1016/B978-0-444-42198-2.50019-5

(15) Bommer, J.J., Douglas, J., Scherbaum, F., Cotton, F., Bungum, H., Fah, D., 2010. On the selection of ground-motion prediction equations for seismic hazard analysis. Seismological Research Letters, 81(5), 783-793. https://doi.org/10.1785/gssrl.81.5.783

(16) Boore, D.M., (1989). The Richter scale: its development and use for determining earthquake source parameters. Tectonophysics, 166(1-3), pp. 1–14. https://doi.org/10.1016/0040-1951(89)90200-X

(17) Borman, P., (2021). Earthquake, magnitude. In Encyclopedia of Solid Earth Geophysics (pp. 243–254). Cham: Springer International Publishing. https://doi.org/10.1007/978-3-030-58631-7_3

(18) Bosworth, W., (1992). Mesozoic and early Tertiary rift tectonics in East Africa. Tectonophysics, 209(1-4), pp. 115–137. https://doi.org/10.1016/0040-1951(92)90014-W

(19) Bozorgnia, Y., Campbell, K.W., 2016. Ground motion model for the vertical-to-horizontal (V/H) ratios of PGA, PGV, and response spectra. Earthquake Spectra, 32(2), 951-978. https://doi.org/10.1193/100614eqs151m

(20) Browne, S.E., Fairhead, J.D., (1983). Gravity study of the Central African Rift system: A model of continental disruption: 1. The Ngaoundere and Abu Gabra Rifts. In Developments in Geotectonics (Vol. 19, pp. 187–203). Elsevier.. https://doi.org/10.1016/B978-0-444-42198-2.50018-3

(21) Browne, S.E., Fairhead, J.D., Mohammed, I.I., (1985). Gravity study of the White Nile Rift, Sudan, and its regional tectonic setting. Tectonophysics. 113, 123–137. https://doi.org/10.1016/0040-1951(85)90113-1

(22) Çağnan, Z., Akkar, S., Kale, Ö., Sandıkkaya, A., 2017. A model for predicting vertical component peak ground acceleration (PGA), peak ground velocity (PGV), and 5% damped pseudospectral acceleration (PSA) for Europe and the Middle East. Bulletin of Earthquake Engineering, 15, 2617-2643. https://doi.org/10.1007/s10518-016-0063-9

(23) Chorowicz, J., (2005). The East African rift system. Journal of African Earth Sciences, 43(1-3), 379–410. https://doi.org/10.1016/j.jafrearsci.2005.07.019

(24) Clark, R.A., Browne S.E., (1987). The Kordofan earthquakes, central Sudan. Journal of African Earth Sciences, Vol. 6, No. 4, pp. 573–58. https://doi.org/10.1016/0899-5362(87)90097-2

(25) Daggett, P.H., Morgan, P., Boulos, F.K., Hennin, S.F., El-Sherif, A.A., El-Sayed, A.A., Basta, N.Z., Melek, Y.S., (1986). Seismicity and active tectonics of the Egyptian Red Sea margin and the northern Red Sea. Tectonophysics, 125(4), 313–324. https://doi.org/10.1016/0040-1951(86)90168-X

(26) Das, R., Sharma, M.L., Wason, H.R., Choudhury, D., Gonzalez, G. (2019). A seismic moment magnitude scale. Bulletin of the Seismological Society of America, 109(4), 1542–1555. https://doi.org/10.1785/0120180338

(27) Das, R., Wason, H.R., & Sharma, M.L., (2011). Global regression relations for conversion of surface wave and body wave magnitudes to moment magnitude. Natural hazards, pp. 59, 801–810. https://doi.org/10.1007/s11069-011-9796-6

(28) Di Giacomo, D., Storchak, D.A., 2022. One hundred plus years of recomputed surface wave magnitude of shallow global earthquakes. Earth System Science Data, 14(2), 393-409. https://doi.org/10.5194/essd-14-393-2022, 2022

(29) Douglas, J., (2003). Earthquake ground motion estimation using strong-motion records: a review of equations for estimating peak ground acceleration and response spectral ordinates. Earth-Science Reviews, 61(1-2), 43-104 https://doi.org/10.1016/S0012-8252(02)00112-5

(30) Dowrick, D.J., (1996). The Modified Mercalli earthquake intensity scale: Revisions arising from recent studies of New Zealand earthquakes. Bulletin of the New Zealand Society for Earthquake Engineering, 29(2), 92–106. https://doi.org/10.5459/bnzsee.29.2.92-106

(31) Ebinger, C.J., (1989). Tectonic development of the western branch of the East African rift system. Geological Society of America Bulletin, 101(7), 885–903. https://doi.org/10.1130/0016-7606(1989)101<0885:TDOTWB>2.3.CO;2

(32) Eiby, G.A., (1966). The modified Mercalli scale of earthquake intensity and its use in New Zealand. New Zealand Journal of Geology and Geophysics 9 (1–2): pp. 122–129. https://doi.org/10.1080/00288306.1966.10420201

(33) El Tahir, N., Midzi, V., 2019. An Overview of the Seismic Hazard in Sudan. In Conference of the Arabian Journal of Geosciences (pp. 53-56). Cham: Springer International Publishing. https://doi.org/10.1007/978-3-030-73026-0_14

(34) El Tahir, N., Nyblade A., Jordi Julià J., Durrheim R., 2013. Crustal structure of the Khartoum Basin, Sudan. Tectonophysics 593, 151–160. https://doi.org/10.1016/j.tecto.2013.02.032

(35) El-Nadi, A.H., Elzein, Babiker, E.A., L.A., El Khidir S.O., Et Toam G.A., 2005. Discovery of a youthful fracture zone, possibly related to central Sudan earthquakes: Implications for rejuvenating lithospheric extension in Proceedings of the Fourth International Conference on the Geology of Africa, Assiut, Egypt 2, 875–877.

(36) Ezzelarab M., Ibrahim K.Y., Mohamed A.A., 2021. Earthquake magnitude regression relationships for Sudan territory. Journal of African Earth Sciences 183, 104326. https://doi.org/10.1016/j.jafrearsci.2021.104326

(37) Fairhead, J.D., (1988). Mesozoic plate tectonic reconstructions of the central South Atlantic Ocean: The West and Central African rift system's role. Tectonophysics, 155(1-4), pp. 181–191. https://doi.org/10.1016/0040-1951(88)90265-X

(38) Fairhead, J.D., and Girdler, R.W., (1971). The seismicity of Africa. Geophysical Journal International, 24(3), 271–301. https://doi.org/10.1111/j.1365-246X.1971.tb02178.x

(39) Fairhead, J.D., Stuart, G.W., (1982). The seismicity of the East African rift system and comparison with other continental rifts. Continental and Oceanic Rifts, pp. 8, 41–61. https://doi.org/10.1029/GD008p0041

(40) Flege, R.F., (1982). Regional gravity and magnetics in the Sudan. Application to petroleum exploration. (Abstract). 52nd Annual Int. SEG Meeting, Dallas, Texas. https://doi.org/10.1190/1.1826978

(41) Foster, A.N., Jackson, J.A., (1998). Source parameters of large African earthquakes: implications for crustal rheology and regional kinematics. Geophysical Journal International, 134(2), 422–448. https://doi.org/10.1046/j.1365-246x.1998.00568.x

(42) Gani, N.D., Abdelsalam, M.G., Gera, S., Gani, M.R., 2009. Stratigraphic and structural evolution of the Blue Nile Basin, northwestern Ethiopian plateau. Geological Journal, 44(1), 30-56. https://doi.org/10.1002/gj.1127

(43) Gaulon, R., Chorowicz, J., Vidal, G., Romanowicz, B., Rouit, G., 1992. Regional geodynamic implications of the May–July 1990 earthquake sequence in southern Sudan. Tectonophysics, 209(1-4), 87-103. https://doi.org/10.1016/0040-1951(92)90012-U

(44) Geller, R.J., Jackson, D.D., Kagan, Y.Y., Mulargia, F., 1997. Earthquakes cannot be predicted. Science, 275(5306), 1616-1616. DOI: 10.1126/science.275.5306.1616

(45) Giardini, D., (1999). The Global Seismic Hazard Assessment Program (GSHAP)-1992/1999. Annals of Geophysics, 42(6). http://hdl.handle.net/2122/1391

(46) Giardini, D., Beranzoli, L., 1992. Waveform modelling of the May 20, 1990, Sudan earthquake. Tectonophysics, 209(1-4), 105-114. https://doi.org/10.1016/0040-1951(92)90013-V

(47) Giardini, D., Grünthal, G., Shedlock, K.M., Zhang, P., 1999. The GSHAP global seismic hazard map. Annals of Geophysics, 42(6). http://hdl.handle.net/2122/1396

(48) Girdler, R.W., (1991). The Afro-Arabian rift system—an overview. Tectonophysics, 197(2-4), 139-153. https://doi.org/10.1016/0040-1951(91)90038-T

(49) Girdler, R.W., McConnell, D.A., (1994). The 1990 to 1991 Sudan earthquake sequence and the extent of the East African Rift SystemScience264(5155), 67–70. DOI: 10.1126/science.264.5155.67

(50) GRAS, (2004). Geological Map of the Sudan. Geological Research Authority of the Sudan, Ministry of Oil, Gas and Minerals, Khartoum –Sudan.

(51) Grünthal, G., (1998). European macroseismic scale 1998. European Seismological Commission (ESC).

(52) Grünthal, G., Musson, R.M., 2020. Earthquakes, Intensity. In: Gupta, H. (eds) Encyclopedia of Solid Earth Geophysics. Encyclopedia of Earth Sciences Series. Springer, Cham., 1-7. https://doi.org/10.1007/978-3-030-10475-7_23-1

(53) Guo, H., (2010). Understanding global natural disasters and the role of earth observation. International Journal of Digital Earth, 3(3), 221–230. https://doi.org/10.1080/17538947.2010.499662

(54) Hammed, O.S., Awoyemi, M.O., Badmus, G.O., Sanni, O.O., 2016. Interdependence and variations of earthquake parameters on African lithospheric plate using Gutenberg and Richter relations. Journal of Geography, Environment, and Earth Science International 4 (4): 1–12. DOI: 10.9734/JGEESI/2016/20050

(55) Hanks, T.C., Kanamori, H., (1979). A moment magnitude scale. Journal of Geophysical Research: Solid Earth, 84(B5), pp. 2348–2350. https://doi.org/10.1029/JB084iB05p02348

(56) Hartnady, C.J.H., 2002. Earthquake hazard in Africa: perspectives on the Nubia-Somalia boundary: news and view. South African journal of science, 98(9), 425-428. https://hdl.handle.net/10520/EJC97553

(57) Hinzen, K.G., Oemisch, M., 2001. Location and magnitude from seismic intensity data of recent and historic earthquakes in the northern Rhine area, Central Europe. Bulletin of the Seismological Society of America, 91(1), 40-56. https://doi.org/10.1785/0120000036

(58) Hussain, E., Kalaycıoğlu, S., Milliner, C.W., Çakir, Z., 2023. Preconditioning the 2023 Kahramanmaraş (Türkiye) earthquake disaster. Nature Reviews Earth & Environment, 1-3. https://doi.org/10.1038/s43017-023-00411-2

(59) Ibrahim, A.E., Ebinger, C.J., Fairhead, J.D., (1996). Lithospheric extension northwest of the Central African Shear Zone in Sudan from potential field studies. Tectonophysics, 255(1-2), pp. 79–97. https://doi.org/10.1016/0040-1951(95)00080-1

(60) Jiang, X., Song, X., Li, T., Wu, K., 2023. Moment magnitudes of two large Turkish earthquakes on February 6, 2023, from long-period coda. Earthquake Science, 36(2), 169-174. DOI: 10.1016/j.eqs.2023.02.008

(61) Jorgensen, G.J., Bosworth, W., 1989. Gravity modeling in the Central African Rift System, Sudan: Rift geometries and tectonic significance. Journal of African Earth Sciences (and the Middle East), 8(2-4), 283-306. https://doi.org/10.1016/S0899-5362(89)80029-6

(62) Kanamori, H., (1978). Quantification of earthquakes. Nature, 271(5644), 411–414. https://doi.org/10.1038/271411a0

(63) Kanamori, H., (1983). Magnitude scale and quantification of earthquakes. Tectonophysics 93: 185–199. https://doi.org/10.1016/0040-1951(83)90273-1

(64) Kanamori, H., Brodsky, E.E., 2004. The physics of earthquakes. Reports on progress in physics, 67(8), 1429. DOI 10.1088/0034-4885/67/8/R03

(65) Kassegne, S.K., 2014. Proposed Considerations for Revision of EBCS-8:1995 for Conservative Seismic Zoning and Stringent Requirements for Torsionally Irregular Buildings. https://digitaladdis.com/sk/SK_Zede_EthioSeismicCode_Reconsiderations_TorsionalAnalysis.pdf

(66) Khan, M.A., (1975). The Afro-Arabian rift system. Science Progress (1933-), 62(246), 207–236. http://www.jstor.org/stable/43420300

(67) Khattab, M.M., (1975). Sedimentary basins in northeast Kordofan, Sudan, indicated by a gravity survey. Egypt J. Geol. 19, 77–85. http://pascal-francis.inist.fr/vibad/index.php?action=getRecordDetail&idt=PASCALGEODEBRGM8220143782

(68) Kinde, S., Engeda, S., Kebede, A., Tessema, E., 2011. Technical Notes: Notes and Proposed Guidelines on Updated Seismic Codes in Ethiopia-Implication for Large-Scale Infrastructures. Zede journal, 28, 91-110.. https://www.ajol.info/index.php/zj/article/view/77254

(69) King, J., Fairhead, J.D., Salem, A., East, P.J., Green, C.M., (2013). Structure of the South Sudan rift basins based on gravity and magnetic studies. In SEG International Exposition and Annual Meeting (pp. SEG-2013). SEG. http://dx.doi.org/10.1190/segam2013-0069.1

(70) Kolivand, P., Kivi, H.K., Hasheminezhad, S.F., Saberian, P., Shamspour, N., (2023). The Presence of International Relief Teams in the 2023 Turkish Earthquake: Challenges, Strengths, and Lessons Learned. Prehospital and Disaster Medicine, pp. 1–2. https://doi.org/10.1017/S1049023X23000456

(71) Kossobokov, V.G., Nekrasova, A.K., 2012. Global seismic hazard assessment program maps are erroneous. Seismic instruments, 48(2), 162-170. https://doi.org/10.3103/S0747923912020065

(72) Liu, R., Chen, Y., Ren, X., Xu, Z., Sun, L., Yang, H., Liang, J., Ren. K., (2007). Comparison between different earthquake magnitudes determined by China seismograph network. Acta Seismologica Sinica 20 (5): 497–506. https://doi.org/10.1007/s11589-007-0497-x

(73) Lubkowski, Z., Coates, K., Villani, M., Jirouskova, N., Willis. M., (2014). Seismic design considerations for East Africa. In Second European Conference on Earthquake, pp. 1–12. Istanbul: Engineering and Seismology.

(74) McKenzie, D. P., Davies, D., Molnar, P., 1970. Plate tectonics of the Red Sea and East Africa. Nature, 226(5242), 243. https://doi.org/10.1038/226243a0

(75) Medani, A.H., Vail, J.R. 1974. Post-Cretaceous faulting in Sudan and its relationship to the East African rift system. Nature, 248(5444), 133-135. https://doi.org/10.1038/248133a0

(76) Meslem, A., Yamazaki, F., Maruyama, Y., Benouar, D., Kibboua, A., Mehani. Y., (2012). The effects of building characteristics and site conditions on the damage distribution in Boumerde's after the 2003 Algeria earthquake. Earthquake Spectra 28 (1): 185–216. https://doi.org/10.1193/1.3675581

(77) Mitchell, N.C., Stewart, I.C., (2018). The modest seismicity of the northern Red Sea rift. Geophysical Journal International, 214(3), 1507–1523. https://doi.org/10.1093/gji/ggy176

(78) Mohamedzein, Y.E., Abdalla, J.A., Abdelwahab, A., 2006. Site response and earthquake design spectra for central Khartoum, Sudan. Bulletin of Earthquake Engineering, 4, 277-293. https://doi.org/10.1007/s10518-006-0002-2

(79) Mulwa, J.K., Kimata, F., Suzuki, S., Kuria, Z.N., 2014. The seismicity in Kenya (East Africa) for the period 1906–2010: A review. Journal of African Earth Sciences, 89, 72-78. https://doi.org/10.1016/j.jafrearsci.2013.10.008Get rights and content

(80) Musson, R.M.W., Grünthal, G., Stucchi, M., 2010. The comparison of macroseismic intensity scales. Journal of Seismology 14: 413–428. https://doi.org/10.1007/s10950-009-9172-0

(81) Obara, K., Kato, A., 2016. Connecting slow earthquakes to huge earthquakes. Science, 353(6296), 253-257. DOI: 10.1126/science.aaf1512

(82) Ogunbiyi, M.A., 2014. The national building code and the construction industry professionals in Nigeria. International Journal of Social Sciences and Entrepreneurship 1 (12): 937–948.

(83) Över, S., Demirci, A., Özden, S., 2023. Tectonic implications of the February 2023 Earthquakes (Mw7. 7, 7.6 and 6.3) in south-eastern Türkiye. Tectonophysics, 866, 230058. https://doi.org/10.1016/j.tecto.2023.230058

(84) Poggi, V., Durrheim, R., Tuluka, G. M., Weatherill, G., Gee, R., Pagani, M., Andrew, N., Delvaux, D., 2017. Assessing seismic hazard of the East African Rift: a pilot study from GEM and AfricaArray. Bulletin of Earthquake Engineering, 15, 4499-4529. https://doi.org/10.1007/s10518-017-0152-4

(85) Poggi, V., Garcia-Peláez, J., Styron, R., Pagani, M., Gee, R., 2020. A probabilistic seismic hazard model for North Africa. Bulletin of Earthquake Engineering, 18, 2917-2951. https://doi.org/10.1007/s10518-020-00820-4

(86) Qureshi, I.R., Sadig, A.A., (1967). Earthquakes and associated faulting in central Sudan. Nature, 215(5098), 263–265. https://doi.org/10.1038/215263a0

(87) Reischmann, T., Kröner, A., 1994. Late Proterozoic island arc volcanics from Gebeit, Red Sea Hills, north-east Sudan. Geologische Rundschau, 83, 547-563. https://doi.org/10.1007/BF01083227

(88) Richter, C., (1935). An instrumental earthquake magnitude scale. Bulletin of the Seismological Society of America 25 (1): 1–31. https://doi.org/10.1785/BSSA0250010001

(89) Ritchie H., and Rosado P., (2022). Natural Disasters, Published online at OurWorldInData.org. Retrieved from: https://ourworldindata.org/natural-disasters [Online Resource]

(90) Roth, C.P., Gebremeskel, A., 2017. Updated provisions of SANS 10160-4 for steel structures. Journal of the South African Institution of Civil Engineering, 59(1), 45-47. http://dx.doi.org/10.17159/2309-8775/2017/v59n1a6

(91) Rundle, J.B., (1989). Derivation of the complete Gutenberg-Richter magnitude-frequency relation using the principle of scale invariance. Journal of Geophysical Research: Solid Earth, 94(B9), 12337–12342. https://doi.org/10.1029/JB094iB09p12337

(92) Salama, R.B., (1997). Rift basins of the Sudan. In Sedimentary Basins of the World (Vol. 3, pp. 105–149). https://doi.org/10.1016/S1874-5997(97)80009-3

(93) Schandelmeier, H., 1990. The Central-African fault zone in Sudan possible continental transform fault. Berliner Geowiss. Abh., A, 120, 31-44. DOI: 1570009750543927680

(94) Schandelmeier, H., Darbyshire, F., (1984). Metamorphic and magmatic events in the Uweinat—Bir Safsaf Uplift (Western Desert/ Egypt). Geologische Rundschau, 73(2), 819-831. https://doi.org/10.1007/BF01824984

(95) Schlüter, T., (2008). Geological Atlas of Africa (Vol. 307). Springer-Verlag, Berlin. https://doi.org/10.1007/3-540-29145-8_53.

(96) Serror, M.H., Hassan, M.M., Mourad, S.A., 2010. Towards a boundary between special and ordinary steel moment resisting frames in the Egyptian code. In Proceedings of 14th European Conference on Earthquake Engineering (Vol. 197).

(97) Shedlock, K.M., Giardini, D., Grunthal, G., Zhang, P., (2000). The GSHAP global seismic hazard map. Seismological Research Letters, 71(6), 679–686. https://doi.org/10.1785/gssrl.71.6.679

(98) Shudofsky, G.N., 1985. Source mechanisms and focal depths of East African earthquakes using Rayleigh-wave inversion and body-wave modelling. Geophysical Journal International, 83(3), 563-614. https://doi.org/10.1111/j.1365-246X.1985.tb04328.x

(99) Silva, V., Crowley, H., Pagani, M., Monelli, D., Pinho, R., (2014). Development of the OpenQuake engine, the Global Earthquake Model's open-source software for seismic risk assessment. Natural Hazards, p. 72, 1409–1427. https://doi.org/10.1007/s11069-013-0618-x

(100) Sykes, L.R., (1970). Seismicity of the Indian Ocean and a possible nascent island arc between Ceylon and Australia. Journal of Geophysical Research, 75(26), 5041–5055. https://doi.org/10.1029/JB075i026p05041

(101) Vail, J., (1982). Distribution and tectonic setting of post-kinematic igneous complexes in the Red Sea Hills of Sudan and the Arabian—Nubian shield. Precambrian Research, 16(4), A41-A41. 10.1016/0301-9268(82)90127-9

(102) Vail, J.R., (1987). Late Proterozoic tectonic terranes in the Arabian-Nubian Shield and their characteristic mineralization. Geological Journal,22(S2), pp. 161–174. https://doi.org/10.1002/gj.3350220613

(103) Wadi, D., Wu, W., Malik, I., Ahmed, H.A., Makki, A., 2021. Assessment of soil liquefaction potential based on standard penetration test for the upper Benue region in Nigeria. Environmental Earth Sciences, 80, 1-11. https://doi.org/10.1007/s12665-021-09565-y

(104) Wald, D.J., Quitoriano, V., Heaton, T.H., Kanamori, H., 1999. Relationships between peak ground acceleration, peak ground velocity, and modified Mercalli intensity in California. Earthquake Spectra, 15(3), 557-564. https://doi.org/10.1193/1.1586058

(105) Worden, C.B., Gerstenberger, M.C., Rhoades, D.A., Wald, D.J., 2012. Probabilistic relationships between ground-motion parameters and modified Mercalli intensity in California. Bulletin of the Seismological Society of America, 102(1), 204-221. https://doi.org/10.1785/0120110156

(106) Worku, A., 2013. Seismic soil-structure interaction as a potential tool for economical seismic design of building structures. Journal of EEA 30: 55–66. https://www.ajol.info/index.php/zj/article/view/104354

(107) Worku, A., 2014. The status of basic design ground motion provisions in seismic design codes of sub-Saharan African countries critical review. Journal of the South African Institution of Civil Engineering 56 (1): 40–53 Paper 977. https://hdl.handle.net/10520/EJC154140

(108) Wycisk, P., 1991. Stratigraphic update of the nonmarine Cretaceous from SW Egypt and NW Sudan. Cretaceous research, 12(2), 185-200. https://doi.org/10.1016/S0195-6671(05)80024-2

(109) Youssef, S.E.H., 2015. Seismicity and seismotectonic setting of the Red Sea and adjacent areas. In The Red Sea: the formation, morphology, oceanography, and environment of a young ocean basin (pp. 151-159). Berlin, Heidelberg: Springer Berlin Heidelberg. https://doi.org/10.1007/978-3-662-45201-1_8

(110) Zajac, C., Davis, T., 2015. A comparative analysis for base shear calculations between six countries with moderate seismic activity. In AEI 2015 (pp. 775-787). https://doi.org/10.1061/9780784479070.067

(111) Zermout, S., Bakhti, F., Mehani, Y., Inukai, M., Azuhata, T., Saito, T., 2014. Seismic vulnerability of a strategic building designed by Algerian seismic code RPA 99, using the capacity Spectrum method, the 14th World Conference on earthquake engineering October 12-17, 2008, Beijing, China. Journal of Geology 4: 542–550. https://www.iitk.ac.in/nicee/wcee/article/14_11-0183.PDF

Studying some Physical Properties of Water by using Magnetic Resonance

Dr. Mohammedain Adam Allhgabo Belal

Physics Department, Faculty of Science, University of Kordofan,

Dr.Ali Salih Ali Salih

Physics Department, Faculty of Education, University of Kordofan,

A.Marwa Abdelrhem Eldow Noraldeen

Physics Department, Faculty of Science, University of Kordofan.

Abstract:

This study examined some physical properties (frequency, wavelength and magnetic intensity) of water and their relationship to absorption and chemical displacement via magnetic resonance. The study aimed to identify the physical properties of water by using magnetic resonance technology. A sample of water was prepared, then magnetic resonance spectroscopy was used to review the spectrum of this sample. The relationship of frequency and wavelength with the absorption spectrum and the relationship of magnetic intensity with chemical displacement were determined, and graphical relationships were drawn between absorption and both wavelength and frequency, and a graphical relationship was also drawn between magnetic intensity and chemical displacement. The data for this study were analyzed using the (Origin 8.6) program, version 6. The results showed that there are experimental relationships for both wavelength and frequency with absorption, and there is also an experimental relationship between magnetic intensity and chemical displacement, and this is consistent with the theoretical relationship .The absorption spectrum of water gives information about the

electronic transitions allowed when visible light is shined on it. It has also been observed that the magnetic field causes a change in chemical energy. These results recommend studying the absorption and chemical displacement spectra resulting from applying the magnetic field to more compounds that are consistent with theoretical relationships to explain the chemical displacement phenomenon.

Keywords: magnetic resonance, water, chemical displacement, frequency, wavelength and magnetic intensity.

دراسة بعض الخصائص الفيزيائية للماء باستخدام الرنين المغنطيسي

- **د. محمدين آدم الله جابو** - أستاذ مشارك - كلية العلوم - جامعة كردفان
- **د. علي صالح علي صالح** - أستاذ مشارك - كلية التربية - جامعة كردفان
- **أ. مروة عبد الرحيم الضو نور الدين** - محاضر (متعاون) - كلية العلوم - جامعة كردفان.

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة بعض الخصائص الفيزيائية (التردد، الطول الموجي والشدة المغنطيسية) للماء وعلاقتها بالامتصاص والإزاحة الكيميائية عن طريق الرنين المغنطيسي. هدفت الدراسة إلى التعرف على الخواص الفيزيائية للماء وذلك باستخدام تقنية الرنين المغنطيسي، حُضرت عينة من الماء، ثم أُستخدم مطياف الرنين المغنطيسي لاستعراض طيف هذه العينة. حُددت علاقة التردد والطول الموجي مع طيف الامتصاص وعلاقة الشدة المغنطيسية مع الإزاحة الكيميائية، ورُسمت علاقات بيانية بين الامتصاص وكل من الطول الموجي والتردد وأيضاً رُسمت علاقة بيانية بين الشدة المغنطيسية والإزاحة الكيميائية. وحُللت بيانات هذه الدراسة باستخدام برنامج (Origin 8.6) النسخة 6. وأوضحت النتائج أن هناك علاقات تجريبية لكل من الطول الموجي والتردد مع الامتصاص وأيضاً هناك علاقة تجريبية بين الشدة المغنطيسية والإزاحة الكيميائية وهذا يتسق مع العلاقة النظرية وأن طيف الامتصاص للماء يعطي معلومات عن الانتقالات الإلكترونية المسموح بها عند تسليط ضوء مرئي عليها. كما لوحظ أن المجال المغنطيسي يحدث تغيراً في الطاقة الكيميائية. تُوصى هذه النتائج بدراسة طيف الامتصاص والإزاحة

الكيميائيـة الناتجـة عـن تسـليط المجـال المغنطيـسي عـلى المزيـد مـن المركبـات التـي تتسـق مـع العلاقـات النظريـة لتفسـير ظاهـرة الإزاحـة الكيميائية.

الكلـمات المفتاحيـة: الرنـين المغناطيـسي، المـاء، الإزاحـة الكيميائيـة، الـتردد، الطـول الموجـي والشـدة المغنطيسـية.

Introduction:

Scientists discovered magnets a long time ago, and their well-known properties, such as attracting iron and generating electricity, were identified through numerous experiments conducted by scientists. When theories of the atom came into existence, scientists were able to explain the emergence of the magnetic field. Scientists attributed the generation of the magnetic field of the atom to the movement of the charged electron in its orbit around the nucleus [1]. The development of atomic theory led to the development of magnetic field theories significantly. The result of this was the classification of magnetic materials into three types: The first type generates the magnetic field and is called the ferromagnetic material. The second type strengthens the magnetic field and is called the paramagnetic material. The third type opposes the magnetic field and weakens it and is called the antimagnetic material [2]. This led to the expansion of the technical applications of magnetism to include, in addition to generating electricity, the manufacture of high-speed trains and the manufacture of high-capacity medical diagnostic devices. The magnetic field was also used in treatment [3]. The magnetic properties of the material have many advantages that make it included in various vital applications. Magnetic resonance depends on these magnetic properties and is widely used in diagnosis and is considered one of the most accurate diagnostic methods for soft tissues. The magnetic field inside the atom is generated by the rotation of negative electrons and positive protons around themselves and around the center of the nucleus or any other axis. The rotation of these charges generates an electric current, which generates a magnetic field [4]. The magnetic moment is formed in a particular atom as a result of the magnetic moments

of the electrons and protons that rotate around themselves, generating vortex magnetic spin moments, and when they rotate around a specific axis, they generate an orbital magnetic moment [5]. Magnetic materials are divided into three main categories:

1. Paramagnetism.
2. Diamagnetism.
3. Ferromagnetism.

Paramagnetic materials: These are materials that possess magnetic moments and whose atoms act as small magnets. They are arranged in the direction of the external magnetic field, strengthening it. The paramagnetic phenomenon arises as a result of the presence of individual, unpaired electrons in the shells of atoms or ions, and they have magnetic moments that are distributed randomly. When a magnetic field is applied, these moments are organized in the direction of the magnet. The magnetic susceptibility is positive, but it is very small. The permeability is calculated and is Closest to the correct one [6]. As for diamagnetic materials, they are materials whose atoms do not have magnetic moments, so they do not act as small magnets, but rather act as a self-induction coil. When an external magnetic field is applied to the atom, it generates a self-inducing magnetic field that opposes the external field and weakens it, so the magnetic susceptibility is negative, and it depends on the temperature [7]. Langevin's theory explains that the current resulting from the movement of the electron in a circular path leads to the emergence of a continuous magnetic moment. Movement [8]. As for ferromagnetic materials, "ferromagnetic materials" are materials whose atoms act as small magnets, but they differ from paramagnetic materials in that they remain aligned in the direction of the external field even after its disappearance. Therefore, they act as permanent magnets [9]. The Zeeman effect deals with the effect of the magnetic field on An atom with electrons whose magnetic moments are opposite, these electrons act as small magnets that attract and repel each other

with the external field, acquiring a different potential energy. This difference leads to a difference in the energies of the electrons, and gives the change in energy ΔE from the relationship:

$$\Delta E = E_+ - E_- = \hbar\omega = g m_s \beta H$$

$m_s \equiv$ The spin quantum number of a magnet

$\beta \equiv$ Bohr magnetism

$H \equiv$ Magnetic field

$g \equiv$ Landi diffusion coefficient[10].

Theoretical Background:

Water:

Water is a transparent, colorless, odorless substance. It is the basic component of streams, lakes, seas, and oceans, as well as the fluids in all living organisms. It is the most widespread chemical compound on the surface of the Earth. The water molecule consists of a central oxygen atom to which two hydrogen atoms are connected on either end by a covalent bond, so that its chemical formula is H_2O. At standard conditions of pressure and temperature, water is a liquid; The solid state is formed at the freezing point, and is called ice. The gaseous state is formed at the boiling point, and is called water vapor. Water is the basis for the existence of life on planet Earth, and it covers 71% of its surface, and sea and ocean water represents the largest percentage of water on Earth, amounting to about 96.5%. The remaining percentages are distributed between groundwater and the ice of the polar regions (1.7% for both), with a small percentage in the form of water vapor suspended in the air in the form of clouds, and sometimes in the form of fog or dew, in addition to rain or snow showers[11,12]. The percentage of fresh water is only about 2.5% of the water present on Earth, and most of this amount (about 99%) is

present in the ice masses in the polar regions, while 0.3% of fresh water is present in rivers, lakes, and in the atmosphere [11]. As for nature, the state of water changes between the three states of matter on the surface of the Earth constantly through what is known as the hydrological cycle (or water cycle), which includes the occurrence of evaporation and transpiration (evaporative transpiration), then condensation, precipitation, and then flow to reach the mouth in bodies of water. Obtaining a pure source of drinking water has been important to the emergence of civilizations throughout history. In recent decades, cases of fresh water scarcity have been recorded in many regions of the world. United Nations statistics have estimated that about a billion people on the surface of the Earth still lack the means available to access a safe source of drinking water, and that about 2.5 billion lack an appropriate means for Water disinfection [13].

Physical properties of water:

Frequency:

It is a measure of the frequency of a periodic event, such as the frequency of a wave. Often we are talking about the frequency of a sound wave, the frequency of a light wave, or an electromagnetic wave. Since 1960, the frequency unit has been measured in the hertz (Hz), which is equivalent to 1/second. It is mainly used to measure the repetition number of a wave oscillation. The frequency of a periodic wave is 1 Hz if it goes through a complete cycle at a point in one second. The complete cycle of a wave. Let us imagine here a wave in the water. The wave in the water continues from rising to falling and then rising. This is the complete cycle. The distance between two successive crests in a wave or the distance between two successive troughs in a wave is called the wavelength [14,15,16].

Wave length:

Wavelength is the distance separating similar identical wave units, that is, it is the distance separating similar phases (peak with crest or trough with trough). There are a number of waves that we observe daily, such as light, sound or water waves. There is an inverse relationship between wave length and frequency. If two waves have the same speed, the shorter wave will have a greater frequency. In practice, a wave is a disturbance in local properties, such as pressure in sound and water waves or the intensity of the electromagnetic field in light waves[17].The extent to which human senses (such as sight or hearing) react to waves varies according to the wavelength. From the electromagnetic spectrum, the human eye can only pick up waves whose length ranges from 400 to 700 nanometers, while the ear picks up waves with a frequency between 20 Hz and 20 kHz, meaning that the longest waves range between 17 meters and 17 millimeters, respectively (1 kHz = 1000 Hz)[18].

Magnetic intensity:

Magnetic field strength is the strength of the magnetic field distributed at every point in space in a specific, uniform direction. It is symbolized by the symbol H. It is related to the property of matter with the equation:

$$\vec{B} = \mu . \vec{H}$$

Where represents the magnetic flux density, represents the permeability of the material to the magnetic field, and represents the magnetic intensity [19,20,21].

Chemical displacement:

The chemical shift in nuclear magnetic resonance (NMR) spectroscopy is the value of the resonance tension of the atomic nucleus relative to a standard

value measured in the same magnetic field. The value of the chemical shift when analyzing chemical compounds by NMR spectroscopy is related to the structure of the molecule [22,23,24].

Materials, advices and method:

The water sample was prepared. It was placed in a file according to the following specifications:

$$R\approx \quad 0.6\ \Omega\ ,N=250\ ,L\approx 22mH I_{max}=5A$$

DC power supple = $0 \rightarrow 16V$ $I=0 \rightarrow 5\ A$

Leybold Didactic spectromet ray 300nm

Made in USA 1150 nn

A magnetic field was applied to the water sample, then the coils were connected to an NMR spectrometer

NMR BETRIEB SOERT

NMR SUPPLY UNIT

The readings were taken via a USB device connection for display on a computer by changing the values of the light frequencies to record the absorption spectrum, changing the intensity of the magnetic field, and identifying the change in energy displacement and wavelength. Then the data was processed using Origin 8.6, version 6.

Results:

The graphs show the relationship between wavelength and the intensity of absorbed radiation, the relationship between frequency and the intensity of absorbed radiation, and also the relationship of chemical displacement with the magnetic intensity of water.

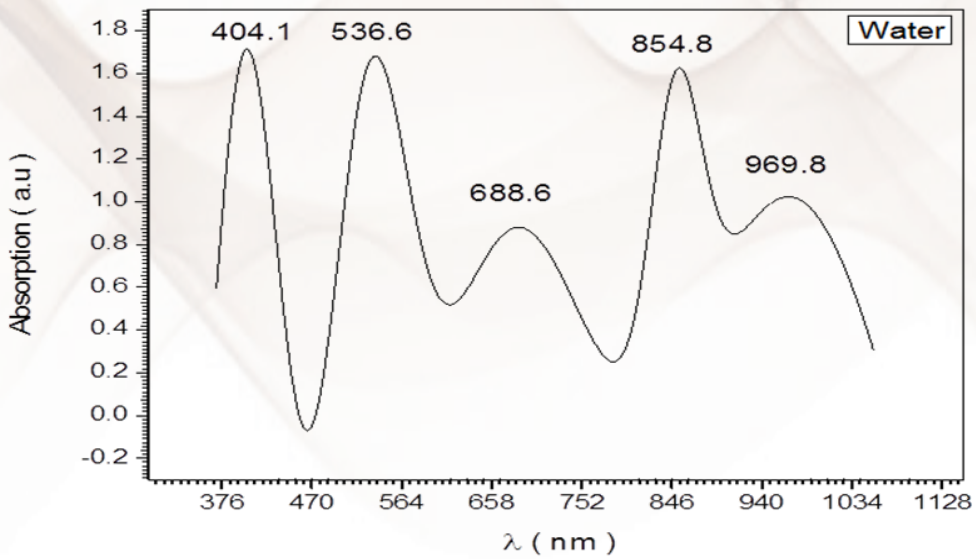

Figure (1) shows the relationship between wavelength and absorption for a water sample

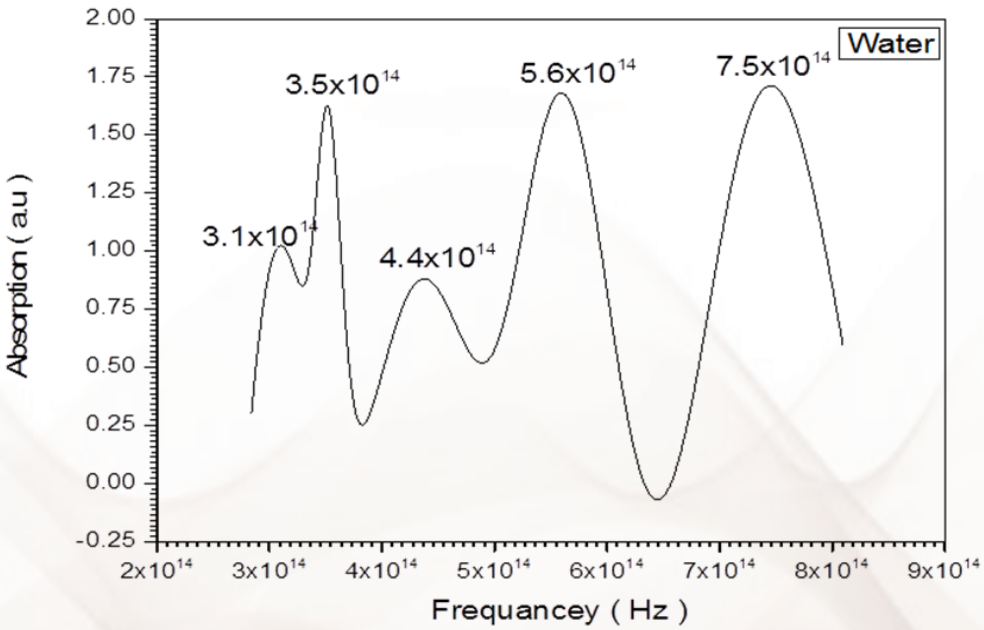

Figure (2) shows the relationship between frequency and absorption for a water sample

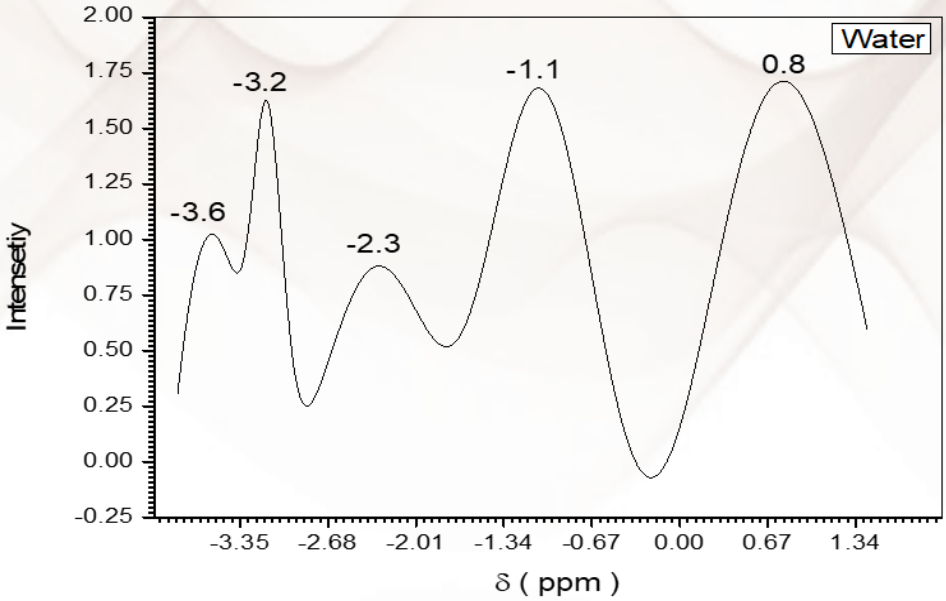

Figure (3) shows the relationship between chemical displacement and tension for a water sample

Discussion:

Looking at the figures (1) (2) (3) related to the absorption spectrum of the water sample, it is clear that absorption is at its maximum value at the wavelengths:

404.1nm, 536.6nm, 688.6nm, 854.8nm, 969.8nm . And at frequencies:

7.5×10^{14} HZ و 5.6×10^{14} HZ و 4.4×10^{14} HZ و 3.5×10^{14} HZ و 3.1×10^{14} HZ

When an external magnetic field is applied, the chemical displacement of energy is -3.6, -3.2, -2.3, -1.1, and 0.8 for intensities of 1, 1.60, 0.80, 1.70, and 1.72 Tesla, respectively. This shows that there is a direct proportionality between the chemical displacement and the intensity of the magnetic field, and this is consistent with The following theoretical equation:

$$\Delta E = E_{+} - E_{-} = \hbar\omega = g m_s \beta H$$

Conclusion:

This research shows that the absorption spectrum of water gives information about the electronic transitions allowed when visible light is shined on it. It also shows that the magnetic field causes a change in chemical displacement, and that there is a direct relationship between chemical displacement and the intensity of the magnetic field.

Recommendations:

The absorption spectrum and chemical displacement resulting from the application of a magnetic field to more compounds can be studied, and new theoretical relationships can be deduced to explain the phenomenon of chemical displacement.

References

(1) Ali Omar, Principles of Solid State Physics, Mars Publishing House, Riyadh, 2013.

(2) Bassam Al-Masrani and Fakhri Kannoun, Physics of the Solid Body, Damascus, 1983.

(3) Siham Tarabish, Medical Physics, Damascus University, 1990-1991.

(4) Ahmed Fouad Pasha, Fawzi Hamed Abdel Qader, Muhammad Nabil Yassin Bakri, and Sherif Ahmed Khairy, Fundamentals of Physical Sciences, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2008.

(5) Hassan Jawad Al-Sharbati, University Physics, Omdurman Islamic University House, Khartoum, 2002.

(6) Raafat Kamel Wassef, Fundamentals of Classical and Contemporary Physics, second edition, Universities Publishing House, Cairo, 2003.

(7) Mubarak Darar Abdullah, Applied Solids, first edition, Dar Al-Sudan, Khartoum, 2002.

(8) Raafat Kamel Wassef, Fundamentals of Solid State Physics, third edition, Universities Publishing House, Cairo, 2008.

(9) Muhammad Muhammad Al-Dhaidia, Properties of Solids, first edition, Arab Publishing House, Cairo, 2008.

(10) P. T. Matthews, Introduction to Quantum Mechanics, first edition, International Publishing House, Cairo, 1998.

(11) Gleick, P.H., editor (1993). Water in Crisis: A Guide to the World's Freshwater Resources. Oxford University Press. s. 13, Table 2.1 "Water reserves on the earth". Archived from the original on October 24, 2012.

(12) Water Vapor in the Climate System Archived May 1, 1997 on Wayback Machine., Special Report, AGU, December 1995 (linked 4/2007). Vital

Water UNEP. Archived copy dated January 27, 2011 on the Wayback Machine website. “Archived copy”. Archived from the original on 07/08/2009. Viewed on 01/01/2016.

(13) “MDG Report 2008” (PDF). Archived from the original (PDF) on 04-26-2018. Viewed on 07-25-2010.

(14) Pilhofer, Michael (2007). Music Theory for Dummies. For Dummies. s. 97. ISBN: 9780470167946. Archived from the original on 07-10-2017.

(51) »Definition of SOUND”. Archived from the original on November 23, 2017. Viewed on 10/03/2016.

(16) Elert, Glenn; Timothy Condon (2003). “Frequency Range of Dog Hearing”. The Physics Factbook. Archived from the original on 07/09/2006. Viewed on 10/22/2008.

(17) Optics (2nd ed.). Addison Wesley. s. 15–16. ISBN:0-201-11609-X. Archived from the original on 12/01/2022.

(18) Raymond A. Serway; John W. Jewett. Principles of physics (4th ed.). Cengage Learning. s. 404, 440. ISBN: 0-534-49143-X. Archived from the original on January 25, 2020.

(19) bigenc.ru”. bigenc.ru. Archived from the original on 12-09-2019.

(20) Information about magnetic field strength on britannica.com.” britannica.com. Archived from the original on 07/03/2016.

(21) “Information about magnetic field strength on d-nb.info.” d-nb.info. Archived from the original on 12/09/2019.

(22) Silverstein; Bassler; Morrill. Spectrometric Identification of Organic Compounds (4th ed.). ISBN:0-471-09070-0.

(23) Kemp, William. Organic Spectroscopy (3rd ed.). ISBN:0-333-41767-4.

(24) Balei, Metin. Basic 1H and 13C-NMR spectroscopy. ISBN:0-444-51811-8.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

ISSN: 1858-9766 ردمك